

MESC

مركز دراسات الشرق الأوسط - الأردن

معركة غزة

تحول استراتيجي في المواجهة مع إسرائيل

تحرير

أحمد سعيد نوفل | جواد الحمد

المشاركون

أحمد سعيد نوفل | إسحاق فرحان | أمين حطيط
إنطوان شلحت | أنيس قاسم | رائد نعيرات
صبري سميرة | صفوت الزيات | طلال عتريسي
عدنان أبو عودة | عدنان عمران | مسعود اغبارية
نظام بركات

ندوات ٥٧

معركة غزة ...
تحول استراتيجي في المواجهة مع إسرائيل

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجهات يتبناها مركز دراسات الشرق الأوسط

الطبعة الأولى

عمان - 2011

تطلب منشوراتنا من

مركز دراسات الشرق الأوسط

هاتف 4613451- فاكس 4613452

ص.ب 20543 – عمان (11118) الأردن

E-mail: mesc@mesc.com.jo

http://www.mesc.com.jo

وجميع المكتبات الأردنية والعربية الكبرى

مركز دراسات الشرق الأوسط
الأردن

معركـــة غزة ...

تحول استراتيجي في المواجهة مع إسرائيل

تحرير

أحمد سعيد نوفل		جـــــواد الحمـــــد

المشاركون

أنيـس قـاســـــم		إسحـاق فرحـان		أميـــن حطيـــط

إنطـــوان شلحـــت		أحمد سعيد نوفل		رائـــــد نعيـــرات

صبـــــري سميـــرة		صفـــوت الزيات		طـــلال عتريسي

عدنـــان أبو عـــودة		عدنـــان عمـــران		مسعـود اغباريـــة

نظـــام بركـــات

نـــــــدوات 57

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية- الأردن
2010/3/872

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

أبعاد المعركة وانعكاساتها الداخلية والخارجية

الملاحـــــــــــــق

التقديم

هذا الكتاب هو نتاج نـدوة علميـة عقـدها مركـز دراسـات الشرق الأوسـط في العاصـمة الأردنية عمان بعنوان "**معركة غزة ... ماذا بعد؟!**" يومي15- 2009/2/16.

وقد شكل انعقاد هذه الندوة وصدور ما قدم فيها مـن أبحـاث في هـذا الكتـاب، إضـافة نوعية في دراسات مراحل الصراع العربي- الإسرائيلي وتطوراته، وبرغم الانتصـار التـاريخي الـذي حققته المقاومـة الفلسـطينية بقيـادة حركـة المقاومـة الإسـلامية حـماس عـلى صـعيد الصـمود والتصدي للعدوان وإفشاله، غير أن اتجاهـات الحـراك السـياسي العـربي والفلسـطيني الرسـمي حاولت القفز عليه، إذ اعتبرت التوقف عند الانتصار والعمل على قطف ثماره يعنـي بـالضرورة، إعادة النظر بعملية السلام من جهة، وبطبيعة الصراع وفلسفة إدارته وتوازنه مـن جهـة ثانيـة، وقد اعتقدت الأطراف العربية والفلسطينية الرسمية أن ذلك سيحمّلها عبئاً ثقيلاً على صـعيدي الموقف السياسي والإعداد العسكري، مـما جعلهـا تفضـل نقـل اتجاهـات الحـراك السـياسي إلى مربعات أخرى على الصعيدين الفلسطيني والعربي.

لقد تمكنت الندوة من تقديم رؤية معمقة لطبيعة المعركة وأهدافها، وأداء الطرفين فيها، ومن ثَمَّ قيّمت انعكاسات المعركة وتداعياتها فلسطينياً وعربياً ودولياً، كـما درسـت انعكاسـاتها على إسرائيل.

وعلى صعيد آخـر قـدم البـاحثون في النـدوة رؤيـتهم لطبيعـة الانعكاسـات الاسـتراتيجية للعدوان الإسرائيلي على الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وبذلك يمكن القول بأن الندوة قدمت قراءة اسـتراتيجية وسياسـية وتاريخيـة عميقـة، ستسـاهم بجديـة في خدمـة الاسـتراتيجيات العربيـة والفلسطينية الجادة خلال الأعوام القادمة.

ولا يسعني في هذا المقـام إلا أن أتقـدم بالشـكر الجزيـل للمهنـدس وائـل السـقا نقيب المهندسين الأردنيين ولأعضاء مجلس النقابة لاستضافتهم الندوة، والتعـاون معنـا في تنظيمها وتمويلها، كما أشكر السادة رؤسـاء الجلسـات والبـاحثين والمفكـرين الكـرام

الذين أغنوا الندوة، ويلزم علينا شكر الـدكتور مـوسى أبـو مـرزوق نائـب رئـيس المكتـب السياسي لحركة حماس، والأستاذ منير شفيق المنسق العام للمؤتمر القومي الإسـلامي، والـدكتور حسن خريشة النائب الثاني لرئيس المجلس التشريعي الفلسطيني على مسـاهماتهم المميـزة في حفل الافتتاح بأفكار وتحليلات أغنت الندوة، كما يسـعدني أن أتقـدم بالشـكر الجزيـل إلى الأخ والزميل الأستاذ الدكتور أحمد سعيد نوفل على مشاركته في تحرير أوراق هذه النـدوة، وأتمنـى أن يكون هذا الكتاب قد حمل بين دفتيه روافع استراتيجية للفكر والتخطيط العـربي في ميـدان المواجهة مع المشروع الصهيوني، وشـكّل تسـجيلاً لتحـول اسـتراتيجي مهـم في برنـامج المقاومـة العربية الفلسطينية ليكون سجّل ذاكرة ومجد للأجيال القادمة.

المدير العام

جواد الحمد

المقدمة

عقدت الكثير من الندوات والمؤتمرات خلال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في الفترة ما بين نهاية عام 2008 ومطلع عام 2009 وبعد العدوان، ولكن قلة المنشور من أوراق تلك المؤتمرات وبحوثها قلل فرص الاستفادة منها وتوثيقها، ويأتي نشر هذا الكتاب للأوراق التي قدمت في الندوة التي عقدها مركز دراسات الشرق الأوسط بعنوان"معركة غزة: تحول استراتيجي في المواجهة مع إسرائيل" من ضمن تلك الندوات الهادفة التي عقدها المركز وأراد منها توثيق أحداث مهمة تمر بها القضية الفلسطينية، وبخاصة أنه شارك فيها سياسيون وباحثون وأكاديميون من مختلف الأقطار العربية، وقدمت فيها أوراق بحثية مهمة تناولت جميع أبعاد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.

ويضم هذا الكتاب تلك الأوراق التي توزعت على ثلاثة محاور رئيسة:

المحور الأول، بعنوان "البيئة السياسية والاستراتيجية للحرب وموقعها في الصراع العربي-الإسرائيلي" قدمت فيه ثلاث أوراق، الأولى قدمها الدكتور رائد نعيرات، أستاذ العلوم السياسية بجامعة النجاح الفلسطينية بعنوان " البيئة السياسية والإستراتيجية قبل الحرب وانعكاساتها"، والورقة الثانية بعنوان "موقع حرب غزة في الصراع العربي- الإسرائيلي ومقارنتها بالحروب السابقة"، قدمها الأستاذ أنطوان شلحت، الباحث في المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) في رام الله، وحلل الدكتور أحمد سعيد نوفل، أستاذ العلوم السياسية في جامعة اليرموك، في بحثه "أطراف المعركة السياسية واتجاهاتها الرئيسة من العدوان الإسرائيلي على غزة".

وقدم في **المحور الثاني** بعنوان "إدارة الحرب لدى الجانبين سياسيا وميدانيا وإعلاميا" خمسة أوراق تناولت جميع جوانب الحرب العسكرية والسياسية والإعلامية، وكانت الورقة الأولى التي قدمها الدكتور صبري سميرة، أستاذ العلوم السياسية ومدير وحدة الدراسات الإسرائيلية في مركز دراسات الشرق الأوسط، بعنوان "طبيعة المعركة السياسية وآثارها على الحرب"، والبحث الثاني بعنوان "أبعاد المعركة السياسية في التوصل إلى وضع سياسي" قدمه الدكتور نظام بركات أستاذ العلوم السياسية بجامعة اليرموك، وتناولت الورقة الثالثة التي قدمها العميد الركن صفوت الزيات، الخبير

العسكري والاستراتيجي، الأبعاد العسكرية للعدوان، وحملت عنوان "طبيعة الحرب ومتغيراتها العسكرية والأمنية"، وكانت الورقة الرابعة بعنوان "أنماط إدارة الحرب والتحول في الأهداف" قدمها الدكتور أمين محمد حطيط، الباحث والخبير في الشؤون الإسرائيلية العسكرية، وكانت الورقة الخامسة والأخيرة في هذا المحور بعنوان "أبعاد المعركة الإعلامية واتجاهاتها" وقدمها الدكتور طلال عتريسي، مدير مركز الدراسات الاستراتيجية الأسبق في بيروت، وأستاذ علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية.

وعالج **المحور الثالث** "نتائج الحرب وانعكاساتها الداخلية والخارجية" وقدمت فيه خمسة أوراق، الورقة الأولى بعنوان "التفاعلات داخل إسرائيل ومفاجآت الحرب" وقدمها الدكتور مسعود إغبارية الباحث والخبير في الشؤون السياسية الإسرائيلية، والورقة الثانية قدمها الأستاذ عدنان أبو عودة، رئيس الديوان الملكي الأردني الأسبق، وحملت عنوان "الانعكاسات الاستراتيجية على عملية السلام بين إسرائيل والفلسطينيين"، والورقة الثالثة، بعنوان "التفاعلات الإقليمية والدولية: ما بعد العدوان على غزة" قدمها الأستاذ عدنان عمران، وزير الإعلام السوري الأسبق، وفي الورقة الرابعة حلل الدكتور أنيس فوزي قاسم، المحامي وأستاذ القانون الدولي "انعكاسات الحرب على مستقبل الضفة الغربية والعلاقات بين الأطراف الفلسطينية"، وتناولت الورقة الأخيرة التي قدمها الدكتور اسحق الفرحان، الوزير الأردني الأسبق، ورئيس المؤتمر الشعبي للدفاع عن القدس "نتائج الحرب وانعكاساتها الداخلية والخارجية".

ولا شك في أن نشر جميع أوراق هذا الندوة، يأتي في باب توثيق الحرب التي عجزت إسرائيل بقوتها العسكرية عن تحقيق أهدافها بالقضاء على المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، في ضوء الحديث عن احتمال شن إسرائيل لعدوان جديد على قطاع غزة، في محاولة لتحقيق ما عجزت عن تحقيقه في العدوان الذي قامت به العام الماضي على القطاع، مما يعطي أهمية كبيرة لما قدم في هذه الندوة من معلومات وتحليل لجميع أبعاد العدوان الإسرائيلي السياسية والعسكرية والإعلامية، وانعكاسها المباشر على مجمل القضية الفلسطينية، لصانعي القرار والمهتمين في الوطن العربي.

أحمد سعيد نوفل

الفصل الأول

البيئة السياسية والاستراتيجية للمعركة

وموقعها في الصراع العربي- الإسرائيلي

الورقة الأولى

البيئة السياسية والاستراتيجية قبل الحرب

الورقة الثانية

موقع الحرب في الصراع العربي- الإسرائيلي

الورقة الثالثة

أطراف المعركة السياسية واتجاهاتها الرئيسة

الورقة الأولى

البيئة السياسية والاستراتيجية قبل الحرب

رائد نعيرات[*]

تعد بداية أي حرب امتدادا لعنصرين أساسيين: التغيير في المكان والتغيير في العلاقات الناظمة للفعل السياسي وفلسفته، فالتغيير الحاصل فيما يسمى الرقعة الجغرافية، سواء من ناحية الحدود أو التفاعلات المكانية على اختلاف أنواعها، مسبب لتطور الحالة السياسية بين طرفين وتحول الأزمة السياسية إلى حالتها الطبيعية، وأعلى عنوان لها هو استخدام القوة.

أما العنصر الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول، والمشكل لاستفحال الأزمة السياسية وتحولاتها الدراماتيكية، فهو طبيعة العلاقات الناظمة للفعل السياسي، سواء التحالفات أو التغيير في مستوى القوة والضعف للمنظومات الموجهة للفعل السياسي، ثم العنصر الآخر، وهو طبيعة الفلسفة السياسية وتغيراتها لدى كلا الطرفين والفئة الموجهة للفعل السياسي.

وبناء على هذه المتغيرات تتم عملية قياس البيئة السياسية والاستراتيجية الحاضنة، والرحم الأساسي لاشتعال فتيل الحرب بين أي كيانين سياسيين، علاوة على ذلك تتم عملية قياس مستوى النجاح أو الفشل في الحرب بقدرة أطراف النزاع على تحقيق مكتسبات سياسية تغير من معادلات الخصم داخل المساحة الاستراتيجية (بمعنى أن لكل حرب أهدافا استراتيجية غير معلنة، ومدى النجاح والفشل يقاس بمدى تحقق هذه الأهداف من عدمه أو مستوى التحقيق)، وعندئذ من السهولة قياس مدى النجاح والفشل عبر الوقوف على طبيعة المتغيرات ومقدار خدمتها لأهداف الخصم أو للذات.

---

[*] **د.رائد نعيرات**: أستاذ العلوم السياسية- جامعة النجاح الوطنية، ورئيس المركز الفلسطيني للديمقراطية والدراسات- نابلس.

ومن الطبيعي عند دراسة الحرب على قطاع غزة أن يأخذ الدارس بالاعتبار أن هذه الحرب ليست ككل الحروب، فهي ليست متكافئة بين خصمين (دولتين)، وكذلك ليست متكافئة من ناحية الموازين، ولكن لا يمكن إغفال أن هذه الحرب تشترك مع مثيلاتها من الحروب بالأهداف، سواء لدى إسرائيل بصفتها الدولة التي أعلنت الحرب، أو لدى المقاومة الفلسطينية بصفتها الطرف الذي لم يرضخ للمعادلات التي تريدها إسرائيل.

إذاً، وبمعنى آخر، اعتبرت قوى المقاومة أن خيار الحرب سيغير من بيئة الصراع، ويسمح بمنحها فرصة تغيير شروط اللعبة أو استحداث منهجية جديدة للتعامل معها لصالحها، مما جعل الحرب على قطاع غزة مختلفة عما سبقها من حروب بين إسرائيل والعالم العربي أو المقاومة الفلسطينية وذلك على عدة صعد:

1- هذه الحرب وجودية للمقاوم الفلسطيني، وعلى العكس فيما يخص الجندي الإسرائيلي.

2- أنها الحرب الأولى التي تقودها المقاومة الفلسطينية على الأرض الفلسطينية، واعتبار المقاومة سياسة عامة للنظام السياسي في القطاع.

3- لم تتوقف الحرب ضمن مشروع سلمي، وبذلك حرمت إسرائيل من التحكم في نتائجها ومخرجاتها.

4- كان مستوى القوى الداعمة للمقاومة وتغيرها على صعيدين: مستوى الدور الجماهيري، ومستوى دور النخب السياسية.

وأدى ذلك، إلى تمفصل في الموقف العربي، علاوة على دخول قوى جديدة ضاغطة ومن أبرزها تركيا.

على هذه الأرضية ستتم المناقشة في هذه الورقة منطلقة من البيئة الاستراتيجية والسياسية الجديدة التي تشكلت قبيل الحرب، ومدى تأثيرها في أهداف الحرب لدى كلا الطرفين، مشفوعة بالمقدرة على تحليل مؤشرات النجاح والفشل، سواء للمقاومة أو للإسرائيليين.

البيئة السياسية والاستراتيجية قبيل الحرب

أولا: فلسطينيا

جاءت عناصر البيئة السياسية قبيل الحـرب ضـمن مجموعـة مـن المتغـيرات، ومـن أبرزها:

أولا: جزء من النظام السياسي الفلسطيني يتبنى المقاومة في قطاع غزة وهذا يعتبر تحولا ومتغيرا استراتيجيا في العلاقة الفلسطينية- الإسرائيلية، وذلك على عدة محاور:

1- لأول مرة يتم تشكيل مقاومة منظمة ورسمية مدعومة بقرار سياسي ومستندة إلى سياسة عامة، وعلى الأرض الفلسطينية.

2- مستوى التهديد الذي تشكله المقاومة الجديدة للإسرائيليين، حيث إن هذا النوع من التهديد أصبح غير محدود، علاوة على تطوره وإشاراته الاستراتيجية.

3- شرعية المقاومة، فهي لم تعد حركة خارج الفعل السياسي، وإنما أصبحت أداة تنفيذ للسياسة العامة للسلطة في قطاع غزة، وتمتلك الشرعية عبر الانتخابات.

ثانيا: الانفصال السياسي بين الضفة الغربية وقطاع غزة والعلاقات الناظمة للسياسة الفلسطينية الداخلية والجدليات.

ثالثا: الجدل الدائر حول مخرجات عملية التسوية والمفاوضات، وطبيعتها ومدى الاستجابة لشروطها، ومستوى مخرجاتها، أي القدرة على إيجاد حل دائم.

ثانيا: إسرائيليا

شهدت الحياة السياسية الإسرائيلية مجموعة من المتغيرات قبيل الحرب ومن أبرزها:

1- إخفاقات الجيش الإسرائيلي في حرب تموز / يوليو2006 على جنوب لبنان، وفشله في تحقيق أهدافه ضد حزب الـلـه اللبناني.

2- الضعف السياسي الرسمي نتيجة لعدم وجود الحكومة الفعلية الناظمة للعمل السياسي، لأن حكومة أولمرت هي حكومة تسيير أعمال.

3- الصراع والحراك الحزبي الإسرائيلي الداخلي، فحزب كاديما أو ما أطلق عليه حزب المرحلة، لم يعد يمتلك قدرة على إعادة صناعة الذات ضمن برنامج

الانسحاب أحادي الجانب، وحزب العمل يطمح لإعادة هيبته السياسية، والليكود ينتظر تحولا في العلاقات تجاه تحقيق مكاسب انتخابية جديدة.

ثالثا: عربيا

1- انقسام عربي تجاه مكونات السياسة الفلسطينية، سواء في العلاقة مع السلطة الفلسطينية، أو في العلاقة مع حركة حماس في قطاع غزة.

2- عدم قدرة النظام العربي الرسمي على تخطي العقبات وتقديم بديل سياسي، يرفع من سقف الفعل السياسي العربي سواء يمينا أو يسارا، حتى أصبح يتمركز حول المبادرة العربية للسلام 2002.

رابعا: إقليميا

تشكل المشهد السياسي الإقليمي من بروز مجموعة من القوى التي تلعب دورا خفيا في محاولة تشكيل قوة إقليمية تمكنها من لعب دور، ومن أبرز هذه القوى:

1- إيران، حيث ظهرت قوة إقليمية في المنطقة، وفي الوقت نفسه أثبتت أنها الداعم القوي لقوى المقاومة.

2- تركيا، وتمثل الداعم القوي للموقف الفلسطيني والعربي ضد إسرائيل.

خامسا: دوليا

تشكل متغير أساسي دولي عشية الحرب، تمثل في المرحلة الانتقالية في الإدارة الأمريكية، وهذه المرحلة جاءت مشجعة لإسرائيل للقيام بالحرب من أجل تغيير بعض المعادلات المستقبلية، وتتمثل فيما يلي:

1- استغلال الدعم غير المحدود من إدارة جورج بوش الإبن.

2- تكبيل إدارة أوباما الجديدة وتوجيه بوصلتها بشكل معين.

مخرجات الحرب

بعد الاطلاع على أهم سمات هذه الحرب، وما رافقها من عوامل شكلت في مجملها بيئة الحرب، يمكن القول إن تلك السمات والعوامل ساهمت في صياغة مخرجات الحرب.

- المستوى الفلسطيني

جاءت مخرجات الحرب فيما يخص الجانب الفلسطيني ووفقا للبيئة الموضحة أعلاه مقللة من أهمية الإنجاز الذي حققته المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، فبالرغم من أن المقاومة الفلسطينية في هذه الجولة من المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي جاءت لأول مرة في إطار مؤسسات النظام السياسي الفلسطيني- الحديث هنا عن قطاع غزة- إلا أن حالة التنافر الماثلة بين قطبي الساحة السياسية الفلسطينية حرمت الكل الفلسطيني من استثمار مخرجات الحرب الميدانية لصالح القضية الفلسطينية سياسيا.

إضافة إلى ذلك، فإن بدء الحرب من قبل إسرائيل على قطاع غزة وعدم انعكاس ذلك على الموقف الفلسطيني من عملية التسوية ساهم بشكل ضمني في تكريس حالة الانفصال القائمة، بل وأظهر أن إسرائيل تعادي جزءا من فلسطين.

صحيح أن المفاوضات تم إيقافها فلسطينيا من خلال القائمين عليها احتجاجا على بدء الحرب، لكن هذا الموقف تبين بعد الحرب على أنه تعامل آني ليس أكثر؛ فبعد أن طوت إسرائيل دفتر الحرب، وفتحت صناديق الاقتراع، أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس استعداده للتفاوض مع أي حكومة تفرزها الانتخابات الإسرائيلية، وكان هذا التصريح انعطافة تهدف إلى إيصال رسالة إلى جميع الأطراف أن ما حصل في غزة لم يكن عاملا مؤثرا على بنية العلاقات بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل.

أما على الحرب ذاتها فقد كانت البيئة الفلسطينية المتوترة عاملا قويا في إظهار الضفة الغربية جزءاً متعاطفاً مع قطاع غزة وليس طرفا في الحرب يتعرض نصفه الآخر إلى الاعتداءات الإسرائيلية، وإن كانت هذه الملاحظة جزئية، إلا أن ما شهدناه من احتكاكات بين الشبان الفلسطينيين وجنود الاحتلال في الضفة كرد فعل على حرب غزة، كانت أضعف بكثير من تلك التي نشبت في غزة كرد فعل على عدوان إسرائيل على الضفة في عام 2001، وذلك نتاج الموقف الرسمي للسلطة في الضفة التي أرادت الهدوء للضفة الغربية.

- المستوى الإسرائيلي

أثرت البيئة السياسية والاستراتيجية التي كانت قائمة قبيل الحرب وأثناءها على قطاع غزة، على الطرف الإسرائيلي ضمن عدة محاور، وهي كالآتي:

الأول: محدودية الزمن، فقد شكل تنصيب أوباما رئيسا جديدا للولايات المتحدة الأمريكية وتسلمه لمنصبه، سقفا زمنيا ضمنيا للعمليات العسكرية الإسرائيلية، مما جعل إسرائيل مجبرة على وقف عدوانها والانسحاب من القطاع، كي لا تدفع أوباما لانتقاد إسرائيل في أول أيام رئاسته، فيما سمي حينها بسياسة تنظيف الطاولة من أمام أوباما، حتى لو لم تحقق أهدافها وهذا ما حصل فعلا.

إضافة لذلك فإن سقفا زمنيا آخر كان قائما داخل إسرائيل ذاتها وهو الانتخابات الإسرائيلية وحملتها الانتخابية، التي لعبت دورا في تحديد عنصر الزمن لدى الطرف الإسرائيلي، بشكل دفع إلى التدرج السريع في تنفيذ عملياته ميدانياً والانتقال من مرحلة إلى أخرى دون تحقيقه لأهدافه.

الثاني: عملت إسرائيل بعد عام 2006 وخسارتها لهيبة الردع نتيجة حرب تموز/يوليو مع حزب اللـه، على محاولة بناء الثقة من جديد في جيشها وقوتها العسكرية أمام مجتمعها على الأقل، وفي الحرب على غزة لعبت هذه البيئة التي تشكلت منذ عام 2006 على دفع إسرائيل الى أن تكون أكثر حذرا في عملياتها العسكرية، حتى لو أثر ذلك على قدرتها في تحقيق الأهداف، فالأهم كان بالنسبة لإسرائيل أن تقلل خسائرها وبخاصة في صفوف الجيش، وقد استطاعت جزئيا تغيير الصورة التي وصم بها الجندي الإسرائيلي في حرب لبنان، على الأقل في أعين الجنود فقط.

الثالث: إعادة تشكيل القوى الحزبية الإسرائيلية؛ إذ هيأت الحكومة الإسرائيلية مواطنيها قبل الحرب، أن التعامل مع قطاع غزة لا بد أن يكون عسكريا وقويا، فلم تجد سياسة الحصار نفعاً في إجبار حماس على الاستسلام والتراجع عن سياساتها، وهنا كان خيار الحكومة آنذاك بقيادة أولمرت شن الحرب على قطاع غزة، هذا الأمر ساهم في رسم خارطة حزبية جديدة محددها الأبرز القدرة على التعامل مع غزة

وفق خيار إسرائيل الأخير.

فإذا كان خيار إسرائيل وفقا للائتلاف الحكومي السابق هو محاربة حماس، فإن المجتمع الإسرائيلي سينظر إلى الأحزاب وفق هذا المعيار وحينها سيخرج بالآتي:

- حزب كاديما انتخب لقيادة إسرائيل حين أقنع شارون جمهوره بأهمية خطة الانسحاب أحادي الجانب، وغزة الآن تمثل فشل تلك الخطة، وهنا ستؤثر الحرب سلبا على كاديما.
- حزب العمل، لم تعد خيارات حزب العمل مقبولة ومنطقية في ظل التناقض القائم بين المزاج العام الإسرائيلي وبرنامج العمل السياسي.
- حزب الليكود سيكون الأقدر حسب الرؤية الإسرائيلية، ليس لكونه ليكودا، بقدر ما هو متناغم كحزب يميني مع ما هو مطلوب إسرائيليا للتعامل مع الفلسطينيين.
- إسرائيل بيتنا وبقية أحزاب اليمين المتطرف، يمثل نفس ما يمثله الليكود للإسرائيليين، لكن بصورة أكثر تطرفاً وحدة.

وأكدت نتائج الانتخابات ذلك، فبالرغم من أن كاديما حصل على أعلى نسبة من الأصوات، إلا أن الانتخابات لم تكن حزبية بقدر ما كانت برامجية. وهنا يمكن القول أن كاديما فاز بعدد الأصوات لكن اليمين انتصر في المحصلة النهائية، وهنا يظهر أن البيئة السياسية التي صنعتها الأحزاب المشاركة في الائتلاف الحكومي آنذاك، ساهمت في أزاحتها وإدخال أطراف يمينية بقوة إلى معادلة الحكم في إسرائيل.

الورقة الثانية

موقع حرب غزة في الصراع العربي- الإسرائيلي

أنطوان شلحت*

كانت إسرائيل عند نشوب "حرب غزة"، في الفترة ما بين 2008/12/27-2009/1/17، مشغولة في مسألة كيفية استعادة قوة الردع، التي تتوهم امتلاكها، وذلك بعد أن اعترتها، بحسب قراءتها، ثقوب كثيرة إثر حرب تموز/يوليو 2006 في لبنان.

وعقب انتهاء حرب غزة، قال رئيس الحكومة الإسرائيلية، إيهود أولمرت، في معرض إجماله لنتيجتها، خلال مقابلة أدلى بها إلى صحيفة معاريف الإسرائيلية: إن قوة الردع الإسرائيلية باتت الآن أفضل مما كانت عليه في أي وقت مضى، وليس فقط أفضل مما كانت عليه خلال العقد الأخير، وهي تنطوي على ما من شأنه أن يردع عناصر محور الشرّ كلها"[1].

ورغم ما يقوله أولمرت، وخلافًا له، فإن الانطباع أو الشعور العام الذي لا يزال طاغيا على أوساط واسعة في المؤسسة السياسية والمؤسسة العسكرية في إسرائيل، وكذلك على معظم أوساط الجمهور الإسرائيلي العريض، هو أن إسرائيل"فوّتت فرصة انتصار أخرى" في هذه المعركة، وهو شعور يتناقض مع ما حاولت قيادة المؤسستين السياسية والعسكرية أن تروّج له، وفحواه أن "إسرائيل حققت أهداف المعركة كاملة"، وقدظلت الحرب في غزة تفتقر إلى هدف محدّد حتى بعد مرور أسبوعين على اندلاعها، وفي أثناء ذلك بقي الهدف الغالب على الخطاب الإسرائيلي العام هو "جعل حركة حماس تتخلى عن الرغبة في مهاجمة إسرائيل"، وبعد ذلك جرى تحديد أهداف الحرب على غزة في ثلاثة أهداف رئيسة:

---

* أ. أنطوان شلحت: باحث في المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار.

1. معاريف، 2009/1/23.

الأول- تحقيق الهدوء على الجبهة الجنوبية لفترة طويلة.

الثاني- وقف "عمليات التهريب" إلى القطاع.

الثالث- الإفراج عن الجندي الإسرائيلي شاليط، الذي تحتجزه حماس منذ 32 شهرا.

وثمة أسباب كثيرة لنشوء هذه الفجوة الكبيرة بين ما تروّج له المؤسستان السياسية والعسكرية، وبين الشعور العام المهيمن على الجمهور العريض بشأن معركة غزة، وسأذكر ثلاثة أسباب تُعدّ رئيسة من بينها:

الأول: عقب حرب تموز/يوليو 2006 دأبت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وعلى رأسها رئيس هيئة الأركان العامة للجيش، غابي أشكنازي على التأكيد بأنه يتعين على إسرائيل في أي مواجهة عسكرية مقبلة أن "تحقق حسمًا جليًا في الميدان، بصورة لا تدع أي مجال لطرح السؤال بشأن هوية الطرف المنتصر"، وقد خلق هذا التوكيد "توقعات منطقية" بأن المعركة المقبلة ستنتهي، من ناحية إسرائيل، بحسم واضح غير قابل للتأويل.

الثاني: لا شكّ في أن "الوعي بالانتصار" يتكون عادة، وخصوصا لدى الرأي العام الواسع، في منأى عن "الأهداف الرسمية للمعركة"، التي تحددها المؤسسة السياسية، ويستند هذا الوعي إلى موقف مستقل لدى الرأي العام نفسه إزاء الأهداف التي يفترض أن تكون للمعركة، وبناء على ذلك فإنه يصدر حكمه على امتحان النتيجة النهائية، وأستطيع القول: إن الانطباع العام بأن "إسرائيل أهدرت فرصة انتصار أخرى في غزة" انعكس على نحو كبير للغاية في وسائل الإعلام الإسرائيلية المختلفة، وأساسًا ترتبًا على ثلاثة عوامل ظلت النتيجة النهائية للمعركة مفتقرة إليها، وهي:

1- أن حماس لم ترفع "الراية البيضاء"، كما أنها لم تطلب، بصورة علنية، وقف إطلاق النار من دون قيد أو شرط.

2- لم تسفر المعركة عن التوصل إلى حل مُرض، من ناحية إسرائيل، لما تسميه بـ "عمليات تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة".

3- لم تؤد المعركة إلى تحسين ظروف الإفراج عن الجندي الإسرائيلي غلعاد شاليط.

الثالث: في سياق المقابلة الصحافية المذكورة أعلاه قال أولمرت: "هل سمع أحد منكم على لساني شيئًا يتعلق بالهدف الذي أردت تحقيقه فعلاً من وراء المعركة؟ لماذا لم أفعل ذلك؟ لأني كنت أعتقد أنه ليس من الصواب الإقدام على هذا".

وبناء عليه يمكن القول: إن الشعور الذي تملك الجمهور الإسرائيلي العريض، هو أن الأهداف الرسمية للمعركة، التي طرحت من قبل المؤسسة السياسية، لم تكن تعكس الأهداف الحقيقية التي تطلعت إليها، ويبدو أن هذا الأسلوب هدف إلى توفير غطاء للمؤسسة السياسية حال عدم تحقيق الأهداف الأوسع والأبعد مدى للمعركة، والتي لم تتحقق فعلاً.

"حرب غزة" في سياق المفهوم الأمني الإسرائيلي

يبدو لي أن المعلق السياسي والعسكري الإسرائيلي عوفر شيلح كان أول من أشار إلى كون "حرب غزة" تندرج في إطار "عقيدة أمنية جديدة" في إسرائيل، ووفقًا لقراءته فقد تبلورت هذه العقيدة في الآونة الأخيرة، إنما من دون أن تكون نتاج تفكير مدروس.

إن فحوى هذه "العقيدة الجديدة" هو أن تتصرف إسرائيل باعتبارها "دولة هوجاء" في مقابل "أعداء يتبنون استراتيجية الاستنزاف وإطلاق النار عن بعد"، وبكلمات أخرى "أن تردّ على مصادر إطلاق النار بعملية عسكرية كبيرة ووحشية، بغض النظر عن عدد الضحايا في صفوفها[1]".

وعقب إشارة شيلح هذه أكد أكثر من معلق سياسي وعسكري إسرائيلي أن جانبًا من التطبيقات المفرطة في وحشيتها لهذه العدوانية الإسرائيلية الهوجاء في غزة مستوحى قلبًا وقالبًا من "مقاربة الحرب الروسية في جورجيا"، خلال صيف 2008، والتي تقف في صلبها عقيدة أن "كل شيء في الحرب مباح"!

1. صحيفة معاريف، 2008/12/28

وذهب المعلق العسكري لصحيفة "يديعوت أحرونوت"، أليكس فيشمان، إلى حدّ القول إنه من الآن فصاعدا ما عاد في إمكان الجنرالات الإسرائيليين، الذين سبق أن تحدثوا بلهفـة عن الأساليب التي استعملها الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين خلال حربه على جورجيا، إلا أن يتحدثوا باللـهفة نفسها عن أداء الجيش الإسرائيلي في القطاع.

لكن من الصعوبة بمكان التسليم بأن تلك "العقيدة الجديدة" تبلورت من دون تفكير إسرائيلي مدروس، ذلك أنها في العمق مسكونة، بكيفية ما، مما اصطلح قبل فترة وجيزة على تسميته بـ "استراتيجيةالضاحية" أو "عقيدة الضاحية"، التي كان قائد المنطقة العسكرية الشمالية في الجيش الإسرائيلي، الجنرال غادي أيزنكوت، أول من تحدّث بشأنها، في سياق مقابلة أدلى بها إلى صحيفة "يديعوت أحرونوت" في 3 تشرين الأول/ أكتوبر 2008.

ومما قاله في هذا الصدد:"أنا أُسمّي ذلك عقيدة الضاحية، وفحواها أن ما حدث في حي الضاحية الجنوبية في بيروت، خلال حرب لبنان الثانية عام 2006، هو ما سيحدث أيضًا في أي قرية لبنانية إذا ما أطلقوا النار منها على إسرائيل، أي أننا سنفعّل ضدها قوة غير متناظرة، ونتسبب في ضرر ودمار بالغين، وسيغدو الحديث، من ناحيتنا، يدور على قواعد عسكرية، لا على قرى مدنية".

وردًا على سؤال فيما إذا كان هذا يعني أنه يوصي هيئة الأركان العامة والمؤسسة السياسية في إسرائيل بإنزال أقصى العقوبة بأي قرية لبنانية تُطلق نيران منها؟ أجاب أيزنكوت: "هذه ليست توصية، إنها خطة، وقد تمّ إقرارها".

وطبقًا لما قاله هذا الجنرال فقد منيت إسرائيل، خلال حرب لبنان الثانية، بإخفاقين: "الأول عدم تقصير أمد الحرب، والثاني إتاحة المجال، طوال 33 يومًا، لشنّ هجمات بالصواريخ على إسرائيل ولإطلاق النار على نطاق غير مسبوق منذ حرب الاستقلال 1948".

أمّا النتيجة التي يتوصل إليها فهي ما يلي: يجب أن يتم حسم الحرب المقبلة، في حال اندلاعها، بسرعة وقوة، ومن دون أي اعتبار للرأي العام العالمي، فـ "لدينا القدرة على

القيام بذلك، ولدينا قوة كبيرة، بالمقارنة مع ما كان، وليست لديّ أي أعذار لعدم تحقيق الأهداف التي سأُكلف بإنجازها!".

بطبيعة الحال ثمة إمكانية للتطرّق إلى "معركة غزة" من نواح كثيرة، غير أن هذه الناحية تحديدًا تبقى، في رأيي، شديدة الأهمية في الوقت الحالي، نظرًا لما تعنيه من تداعيات في المستقبل المنظور، علاوة على كونها تشفّ عن جوهر إسرائيل في أعين قادتها، ماضيًا وحاضرًا وأيضًا مستقبلاً.

وإذا ما شئنا تأصيل الأشياء، أي إعادتها إلى أصولها، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن من الوقائع الواردة أعلاه بشأن "العقيدة العسكرية الإسرائيلية الجديدة" هو كونها منشدّة إلى مبدأ أصلي من مبادئ إسرائيل منذ إقامتها، بل وحتى قبل ذلك أيضًا، وهو مبدأ "الجدار الحديدي"، وكان زعيم "التيار التنقيحي" في الحركة الصهيونية، زئيف جابوتينسكي، هو الذي صكّ هذا المبدأ في عشرينات القرن الفائت في صيغة "رؤيـة" لا أكثر، غير أن الممارسات اللاحقة لخصومه من "تيار العمل"، وفي مقدمهم أول رئيس للحكومة وأول وزير للدفاع دافيد بن غوريون، أكدت أن هذا المبدأ شكل أساسًا لتحليل مفهوم أو نظرية الأمن الإسرائيلية، وكان جابوتينسكي قد كتب، خلال الفترة المذكورة، مقالين شكلا أساساً لفهم النظرية الأمنية الإسرائيلية منذ ذلك الوقت وحتى الآن، وقد حمل المقال الأول عنوان "على الجدار الحديدي (نحن والعرب)"، فيما حمل الثاني عنوان "فضيلة الجدار الحديدي".

ووفقًا لنص جابوتينسكي نفسه فقد كانت الفكرة الكامنة وراء "الجدار الحديدي" بسيطة في رأيه، مؤداها ما يلي: لا توجد سابقة تاريخية تخلى فيها شعب ما طواعية عن وطنه، ولذلك فإن "عرب أرض إسرائيل" لن يتخلوا أيضاً "عن أرضهم" لصـالح "اليیشـوف اليهودي"، بل سـيبذلون قصارى الجهـد مـن أجـل إلحـاق الهزيمـة بمجتمـع الاسـتيطان اليهودي، ومنعه من التوسع في البلد، وفي ظل هذه الظروف هناك طريقة واحدة لحمل العرب على التسليم بوجود أغلبية يهودية وسلطة يهودية في البلد، هي حرمانهم مـن امـتلاك القـدرة عـلى تصـفية "الكيـان اليهـودي" بـالقوة، وفقـط إذا أيقـن

العرب أن محاولة فرض إرادتهم بالقوة هي أشبه بعبور "جدار حديدي" يستحيل اختراقه، فسوف يكونون عندئذٍ مستعدين للتسليم بالسيطرة اليهودية على "أرض إسرائيل".

وفي رأي عضو الكنيست السابق من حزب كاديما، البروفسور يتسحاق بن يسرائيل، وهو جنرال في الاحتياط ترأس "برنامج الدراسات الأمنية" في جامعة تل أبيب ويعد من أبرز الخبراء في الشؤون الأمنية الإسرائيلية، أن بن غوريون أدرك أن أي انتصار ستحرزه إسرائيل على العرب سيكون مؤقتًا، وأنه سيكون في إمكانهم، بحكم ما يمتلكونه من موارد بشرية ومادية، إعادة بناء جيشهم وشن حرب جديدة ضد إسرائيل كل خمس أو عشر سنوات حتى لو أبيد جيشهم بأكمله في الجولة السابقة، وهذا يعني عملياً أن نهاية القصة (أي النظرية الأمنية الإسرائيلية) ستأتي فقط إذا انتصر العرب وهُزمت إسرائيل.

وبناء على ذلك فقد انصرفت الجهود كلها، أولاً، نحو بناء جيش كبير قياسًا مع الحجم الطبيعي لدولة إسرائيل، وبدلاً من احتفاظ الدولة، كما هو مألوف في سائر الدول الطبيعية في العالم، بنحو نصف في المئة من رجالها في الجيش، فإن إسرائيل تحتفظ بنحو خمسة بالمئة، ومن هنا يملك الجيش الإسرائيلي حالياً عدداً من الجنود والطائرات والمدافع والدبابات... الخ يفوق ما تملكه بريطانيا "العظمى"، وقد أدى ذلك، في حينه، إلى طرح السؤال التالي: كيف بإمكان الدولة أن تبني جيشاً أكبر بعشرة أضعاف (بالمقارنة مع حجم وتعداد إسرائيل) من أي دولة أخرى، من دون أن يؤدي ذلك إلى انهيار الاقتصاد الإسرائيلي؟، وكان الجواب هو: بواسطة إقامة جيش لا يتقاضى أفراده رواتب... وأن يكون المكونان الرئيسيان للجيش معتمدين على جنود خدمة إلزامية (لا يتلقون أجرًا) وعلى تشكيلات احتياط (لا تكون مجندة بشكل عام)، على أن يتم سد باقي الفجوات بواسطة "ميزة التراث اليهودي، الذي يربي على التفوق والثقافة الواسعة والنظرة النقدية والمتشككة للعالم".. أما "الجدار الحديدي" فسوف يُشيّد تدريجيًا، بواسطة ما وصفه يغئال ألون بـ "الردع المتراكم"، الذي يمكن أن يتحقق إذا ما انتصرت إسرائيل في كل جولة حربية على أعدائها بصورة لا تقبل التأويل، فقد ساور بن غوريون ورفاقه الأمل

في أنه وبعد بضع جولات من هذا القبيل، سيبدأ قسم من أعداء إسرائيل بالخروج من دائرة الحرب.

بهذا الشكل بُنيت نظرية أمنية خاصة تقوم على مفهوم "الحسم"، الذي لا يوجد مثيل له في النظريات الأمنية لدى الدول الأخرى، ومن شأن الحسم في كل جولة قتالية بين إسرائيل وجيرانها أن يتحول في تراكمه إلى "ردع" يشكل "جدارًا حديديًا".

واستنادًا لذلك يمكن القول إن "الحسم" و"الردع" يشكلان حجري الزاوية في نظرية الأمن الإسرائيلية.

وحتى أواخر الستينات من القرن العشرين لم يكن هناك اهتمام كبير بالجبهة الإسرائيلية الداخلية، باعتبار أن الحروب تدور في جبهات القتال، وقد بدأ الاهتمام بهذه الجبهة منذ حرب الخليج الأولى في عام 1991، وذلك عقب إطلاق صواريخ سكود العراقية على العمق الإسرائيلي، وأنشئت قيادة عسكرية خاصة لهذا العمق، لكن الوزن الأكبر لا يزال من نصيب الردع.

وعلى صلة بهذا الموضوع لا بُدّ من التنبيه إلى أن سياسة الأمن الإسرائيلية تقوم على قاعدة أن في الوسع تحقيق "أمن إسرائيل" من خلال تفوقها العسكري فقط، ومن شأن هذا التفوق أن يفضي إلى نتيجتين متصلتين:

الأولى- ردع العرب عن القيام بأعمال عسكرية

الثانية- في حال عدم ارتداعهم يكون في إمكان إسرائيل، من خلال الاعتماد على تفوقها العسكري، أن تحرز نصرًا كاسحًا يشحن في الوقت نفسه بطاريات الردع.

بحسب هذه السياسة الأمنية فإن "أمن إسرائيل" يرتكز إلى مدماك القوة فقط، وما عدا ذلك كله يبقى عديم الأهمية، والحديث عنه لا يعدو كونه ضريبة كلامية لا أكثر.

يرى د. أوري بن يوسيف، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة حيفا، أنه في حزيران/ يونيو عام 1956 قدم وزير الخارجية الإسرائيلية في ذلك الوقت، موشيه شاريت، استقالته من منصبه، بعد أن اضطره رئيس الحكومة دافيد بن غوريون إلى ذلك، وكان

شاريت المسؤول الوحيد في القيادة الإسرائيلية آنذاك، الذي اعتقد بأن سياسة الأمن الإسرائيلية يجب أن تقوم على قدمين: واحدة عسكرية وأخرى سياسية، ومنذ ذلك الوقت أضحت هذه السياسة مرهونة بالقوة فقط.

ولقد كانت حرب حزيران/ يونيو 1967 الإثبات الأبرز على تفوق إسرائيل العسكري، ورأى أكثر من خبير إستراتيجي إسرائيلي أنه عقب هذه الحرب "خسر العرب القدرة على تهديد الأرصدة الإستراتيجية الرئيسة لدى إسرائيل، وباتوا عرضة لمدافع الجيش الإسرائيلي وطائرات سلاحه الجوي".

وطبقًا لمفهوم إسرائيل الأمني كان من المتوقع، في إثر تلك الحرب، أن تبلغ قوة الردع الإسرائيلية ذروتها المطلوبة، لكن في هذه الفترة بالذات بادرت مصر، لأول مرة منذ عام 1948، إلى حربين ضد إسرائيل: حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر/تشرين عام 1973 حرب "يوم الغفران"، وانطوت حرب تشرين على رسالة واضحة تتعلق بحدود القوة، غير أن النتيجة الوحيدة، التي استخلصتها إسرائيل منها هي ضرورة تعزيز قوتها العسكرية، إلى درجة كادت أن تؤدي إلى انهيارها اقتصاديًا.

بعدها اندلعت حرب لبنان في عام 1982، وفي عام 1987 اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وبحسب ما تقدّم بالإمكان أن نقرأ عملية أوسلو كانعكاس لفشل مفهوم القضاء على الانتفاضة الأولى بالقوة و"تكسير عظام الفلسطينيين"، لكن سرعان ما ثبت أنه "تطور" مؤقت، وقد أديرت محادثات كامب ديفيد في سنة 2000، من جانب إسرائيل، باعتبارها "عملية عسكرية" هدفت إلى أن تملي على الطرف الفلسطيني نتائج المحادثات حتى قبل أن تبدأ فعلاً.

وتعتبر مواجهة الانتفاضة الثانية، منذ عام 2000، تعبيرًا آخر عن مفهوم القوة في سياسة الأمن الإسرائيلية، كما أن هذا المفهوم يشكل العصب الرئيس لسياسة الأحادية، التي تمثلت أكثر شيء في "خطة الانفصال" عن غزة في عام 2005.

إن ما يتعين أن نلتفت إليه، في غمرة ذلك كله، هو ما يلي:

أولا: اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية في وقت كانت إسرائيل فيه في قمة تفوقها

العسكري، وذلك عقب الحرب على العراق، وزيادة المساعدات العسكرية وغيرها من الولايات المتحدة

ثانيا: هذا التفوّق لم يحل دون فشلها العسكري في حرب تموز/يوليو عام 2006

ثالثا: هذا التفوق لا يؤدي إلى كبح مشروع إيران من أجل التسلح النووي

رابعا: بالنسبة لمعركة غزة، ما من إجماع في إسرائيل أكبر من الإجماع على أنها خاضتها في ظل "ظروف مثالية"، سواء من الناحية العسكرية إثر استخلاص العبر اللازمة من تموز/يوليو عام 2006، أو من الناحية الدبلوماسية، غير أنها في الإجمال العام لم تؤد لا إلى تسوية مع حماس، ولا إلى تضييق الخناق على سلطتها في قطاع غزة.

إن"اتفاق التهدئة"، وكذلك"صفقة تبادل الأسرى" المتوقعة، سيجعلان حماس، وفقًا لأحد المعلقين العسكريين الإسرائيليين، تجني الأرباح كلها من هذه المعركة، وفي مقدمتها الاعتراف بشرعيتها وتعزيز مكانة سلطتها في غزة وفتح المعابر والإفراج عن نوابها في المجلس التشريعي الفلسطيني، الذين اعتقلوا عقب اختطاف الجندي شاليط، وعلى الرغم من ذلك لا يزال قليلون في إسرائيل يستوعبون أن هذه المعركة، التي قيل إنها "ألحقت أضرارًا كبيرة بحماس"، منحت هذه الحركة "انتصارًا لم تكن تحلم به قطّ".

وعليه لا يجوز قراءة معركة غزة بعيدًا عن سياق تأثيرها على مفهوم القوة في سياسة إسرائيل الأمنية، وهو برأيي تأثير مهم للغاية، ومن شأنه أن يراكم المزيد من الشواهد على فشل هذا المفهوم أولاً ودائما.

الورقة الثالثة

أطراف المعركة السياسية واتجاهاتها الرئيسة من العدوان الإسرائيلي على غزة

أحمد سعيد نوفل[*]

انتهى العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ولكن لم تنته تداعياته، فقد اعتبر بأنه يشكل نقطة تحول رئيسة في الصراع العربي الإسرائيلي، ليس بسبب فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها فقط، بل للتداخل الكبير بين الأطراف المختلفة التي لعبت أدوارا مهمة في الأحداث قبل العدوان وبعده، والتي سيكون لها نتائج مهمة في المستقبل على مجمل القضية الفلسطينية والصراع العربي- الإسرائيلي، حيث أفرزت بعد انتهائها مواقف سياسية وجغرافية جديدة، وتعددت الأطراف السياسية، من فلسطينية: حماس والسلطة الفلسطينية، وعربية: دول الاعتدال والممانعة من جهة والجماهير العربية، وأطراف إسرائيلية ودولية.

- **الطرف الفلسطيني**

أولا: حماس والمقاومة الفلسطينية

لا شك في أن الصمود الفلسطيني في قطاع غزة، قد سار بعكس ما اشتهته الرياح الإسرائيلية، فقد كان الهدف المعلن من الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة، إضعاف حركة حماس والمقاومة الفلسطينية من جهة، ووقف إطلاق الصواريخ الفلسطينية على جنوب فلسطين المحتلة، هذان الهدفان لم يتحققا، وخرجت حماس منتصرة وقوية أكثر مما كانت عليه قبل العدوان، كما أن إسرائيل وافقت على وقف إطلاق النار وسحب قواتها من القطاع، في الوقت الذي استمرت فيه الصواريخ تتساقط على المدن والمستوطنات الإسرائيلية، ولهذا يمكن القول أن حماس خرجت منتصرة تقود تيار المقاومة الفلسطينية. ونالت بذلك تأييد الجماهير العربية، وشاركت في مؤتمر الدوحة لدعم غزة، وأعادت

[*] **د. أحمد سعيد نوفل:** أستاذ العلوم السياسية- جامعة اليرموك- الأردن

بعض الدول العربية الاتصال معها، ولهذا فقد حققت حماس النتائج التالية:

1. إدارة ناجحة لشؤون القطاع خلال وبعد العدوان، وقيادتها للمقاومة الفلسطينية مما أدى إلى إفشال العدوان، وزيادة شعبيتها، فقد أظهر استطلاع حديث للرأي أجراه مركز أبحاث المستقبل الفلسطيني في الفترة 1/29- 2009/2/2، أن 38.7% من المستطلعة آراؤهم أيدوا حركة حماس بعد الحرب، مما يمثل ارتفاعاً لشعبية الحركة بخمس نقاط لآخر استطلاع أجراه المركز قبيل الحرب، وجاءت حركة فتح في المرتبة التالية بحصولها على 25.2%، ثم حركة الجهاد بنسبة 4%، ثم المبادرة الوطنية 3.5%، والجبهة الشعبية 3.4%، وعن أداء المقاومة خلال العدوان فقد أجاب 48.8% أنه كان جيد جداً، فيما قال 20.7% أنه جيد، ورأى 16.8% أنه عادي، بينما رأى 12.9% فقط أنه ضعيف، وهو ما يؤشر على ثقة الشارع في قطاع غزة في المقاومة وإنجازاتها، إلى ذلك أوضح الاستطلاع أن 55.5% قالوا إن الحرب عززت من قوة حماس، فيما رأى 26.2% أنها لم تؤثر، وفي المقابل رأى 42.5% أن الحرب أضعفت حركة فتح، فيما قال 40.3% أنها لم تؤثر، أما بالنسبة لأداء الحكومة في غزة ورام الـلـه وحركة فتح أثناء الحرب، أعرب حوالي 50% عن أن أداء السلطة والرئاسة في رام الـلـه كان ضعيفاً، بينما رأى حوالي 28.8% أنها كانت جيدة جداً أو جيدة، في حين رأى حوالي 54.4% منهم أن أداء الحكومة الفلسطينية في غزة كان جيداً جداً أو جيداً، فيما رأى 20.9% عكسه ذلك، وفي الإطار نفسه اعتبر 46.2% أن أداء حركة فتح كان ضعيفاً، فيما رأى 27.7% فقط أنه كان جيداً جداً أو جيدً، وفيما يخص العدوان على غزة والظروف المحيطة به وتداعياته، فقد رأى 73.9% أن العدوان جاء بتوافق إسرائيلي عربي، فيما رفض ذلك الافتراض 25%، وحول تحديد الطرف المنتصر في غزة، أعرب ما نسبته 55.3% أن فصائل المقاومة هي المنتصرة، بينما رأى 12.3% أن إسرائيل هي المنتصرة، في حين أجاب 26.5% أنه لا منتصر في الحرب[1].

---

(1) صحيفة فلسطين 2009/2/13.

2. رفعت الجماهير العربية شعاراتها وهتفت في الشوارع تأييدا لها خلال التظاهرات العربية والدولية طيلة أيام العدوان، مما أحرج الأنظمة العربية التي فتحت قنوات اتصال عربية ودولية معها بصفتها لاعباً رئيساً في القضية الفلسطينية، بعد فشل محاولات تجاهلها، وأثبتت أنها تملك أوراقاً مهمة لا يستطيع أحد إنكارها، رغم محاولات إضعافها.
3. فضحت عبثية نهج التسوية والمفاوضات التي لم تحقق شيئا طيلة السنوات الماضية، وأحرجت السلطة الوطنية التي لم تكن تتوقع صمود المقاومة الفلسطينية في غزة 3 أسابيع.
4. أثبتت أن العدوان على غزة يعد محطة مهمة وتكاد تكون نقطة تحول فاصلة في تاريخ الصراع في المنطقة إذا أحسن استثمار الآثار الإيجابية المترتبة عليها، والتي تشكل قوة راجحة في منسوب القوة نحو المقاومة ونحو القضية الفلسطينية برمتها.
5. أعادت القضية الفلسطينية على رأس الأحداث الدولية والاهتمام الدولي، ونالت تأييد شعوب العالم ومعظم الدول، وخير شاهدٍ على ذلك ما جرى في اجتماع الهيئة العمومية للأمم المتحدة، التي أدانت بأغلبية ساحقة العدوان على غزة.
6. حققت وحدة الشعوب العربية والإسلامية في تأييدهم للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة وحقّه في المقاومة المشروعة، وشكلت صحوة عربية إسلامية متصاعدة وقادرة على إدراك أبعاد العدوان.
7. زادت من جرعة الثقة بالنفس للشعب الفلسطيني، والثقة بخط المقاومة الذي أثمر ثباتاً بطولياً خلال العدوان، وتمسك الفلسطينيين بالأرض والتفافهم حول المقاومة، على الرغم من مراهنة البعض على حدوث تمرد في صفوفهم ضد سلطة حماس في القطاع، بسبب الخسائر الكبيرة التي لحقت بهم من شهداء وجرحى وتدمير.
8. أن القتال الذي حدث هو الأول بين الفلسطينيين والإسرائيليين على أرض فلسطين.
9. فشل محاولات بعض القوى التي حاولت التقليل من صمود الفلسطينيين والنصر

10. الذي حققوه، لحرمان حماس والجهاد وفصائل المقاومة والشعب الفلسطيني من جني ثمار انتصارهم، وسعيهم إلى أن يحققوا ما عجز العدوان العسكري أن يحققه، وذلك بمحاولة محاصرة سلطة حماس وضربها.

ثانيا: السلطة الفلسطينية

منذ الساعات الأولى للعدوان، اتهمت السلطة الفلسطينية حركة حماس في قطاع غزة، بأنها المسؤولة عن العدوان، بدلا من اتهام إسرائيل بذلك، بحجة استمرار الحركة بإطلاق الصواريخ ووقف العمل بالتهدئة مع إسرائيل، ومنعت التحرك الجماهيري الفلسطيني في الضفة الغربية تأييدا للصمود في القطاع، الذي كان من الممكن أن يؤدي إلى اندلاع انتفاضة شعبية في مدن الضفة الغربية وقراها تأييدا للمقاومة في القطاع، كما أنها وقفت إلى جانب دول الاعتدال، ورفضت المشاركة في مؤتمر الدوحة لدعم صمود غزة.

ومن جهة أخرى، فقد كان من الممكن أن تتحقق المصالحة الفلسطينية بين مختلف الفصائل وبالذات بين حركتي فتح وحماس، للرد على العدوان الإسرائيلي، ولكن تصريحات بعض رموز السلطة الفلسطينية حال دون ذلك، لأن السلطة شعرت بأن الصمود والمقاومة في القطاع، سوف يفشل نهج التسوية والمفاوضات مع إسرائيل لأنها لم تحقق أية مكاسب للقضية الفلسطينية، بعكس المقاومة التي أعادت الاعتبار للقضية الفلسطينية وفضحت الجرائم الإسرائيلية.

كما زاد من عزلة السلطة الفلسطينية في الشارع الفلسطيني والعربي، بل طالب البعض بمقاطعة رموز السلطة الفلسطينية ومنع دخولهم إلى دولهم.

- **الطرف العربي**

لم يحدث أن وصل النظام الرسمي العربي، إلى ما وصل إليه خلال العدوان، من الانقسام والتشرذم والخلافات، وحينما وصف الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى الحال العربي بمرارة كان يدرك جيدا ما يقول، وهذا الحال تجلى واضحا في زحمة القمم العربية والتقسيمات العربية ما بين الاعتدال والممانعة، وجعل الدول العربية تتجه

نحو مجلس الأمن الدولي، في محاولة للخروج من المأزق العربي، كما عقد مؤتمر عربي في الدوحة لدول الممانعة العربية، ومؤتمر آخر في الكويت على هامش القمة الاقتصادية، ولم تستطع القمة إصدار قرارات عربية ضاغطة على الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي، في حال عدم التزام إسرائيل بالشرعية الدولية، وخرجت الدول العربية منقسمة، وكان من الفروض تحقيق مصالحة عربية حقيقية، وان يضع الجميع دعم صمود الشعب الفلسطيني، فوق كل الاعتبارات الخارجية والضغوطات الدولية عليهم، وأن تتعامل مع الدول الغربية بلغة المصالح والابتعاد عن التبعية للولايات المتحدة الأمريكية.

ويتلخص الموقف العربي بالنقاط التالية:

1- أثبت التأييد الشعبي العربي الكبير من المحيط إلى الخليج للمقاومة الفلسطينية، بأن القضية الفلسطينية ما زالت القضية المركزية في الوطن العربي، وأن الشعوب العربية صادقة في وقوفها إلى جانب القضايا الوطنية والقومية العادلة، وإنها ترفض الوصاية الأجنبية عليها ممثلة بالولايات المتحدة وأن الجماهير العربية تجاوزت النظام العربي الرسمي وقياداتها السياسية المعادية للمقاومة.

2- أن الخلافات الرسمية العربية فيما بينها، لم تؤثر على وحدة الجماهير العربية في وقوفها خلف المقاومة ودعم صمود الشعب الفلسطيني، وفي الوقت الذي زادت فيه الخلافات بين الأنظمة العربية، توحدت الشعوب العربية، وسبقت تلك الأنظمة في تحركها ودعمها الحقيقي للفلسطينيين.

3- عجز النظام السياسي العربي عن اتخاذ مواقف موحدة من أجل انعقاد قمة عربية أو اتخاذ قرارات على مستوى العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.

4- وضوح عمق الهيمنة والسيطرة الأمريكية على القرار السياسي العربي، مما أفشل التحرك العربي لمدة ثلاثة أسابيع من العدوان، لاتخاذ قرارات لوقفه.

5- عجز النظام العربي عن استخدام أوراق الضغط السياسية والاقتصادية التي يمتلكها في الضغط على الولايات المتحدة وإسرائيل والأوروبيين، في إحقاق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وغيرها من القضايا العربية والقومية مثل قطع

العلاقات الدبلوماسية مع الاحتلال وإغلاق السفارات والممثليات، والمقاطعة الاقتصادية للدول والشركات الداعمة للاحتلال,والتهديد بتخفيض إنتاج النفط إلى اقل من النصف، وسحب الأرصدة العربية من البنوك الأوروبية التي تعد عماد الاقتصاد الأوروبي، في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية.

6- بروز التيار الإسلامي كقوة سياسية مهمة على الساحة العربية والإسلامية في قيادة التحركات الشعبية المناهضة والمنددة بالعدوان على غزة، وحشد عشرات الآلاف، مما يعني اتساع شعبية هذا التيار في الأوساط الشعبية وأوساط المثقفين، وأنه أصبح القوة السياسية الأولى المؤثرة في قيادة الشعوب في المستقبل مع غياب واضح للتيارات الأخرى.

7- عندما انتصرت المقاومة اللبنانية في صيف عام 2006، ولقيت تأييدا كبيرا من الجماهير العربية والإسلامية، قيل أنها مقاومة مرتبطة بإيران الشيعية، ولا يجوز تأييدها، لأن حزب الـلـه هو حزب شيعي، وبعد انتصار حماس، لا يستطيع أحد أن يدعي أنها مرتبطة بطائفة معينة، على الرغم من أن البعض ربط انتصار حماس بالدعم الإيراني، وليس بصمود الشعب الفلسطيني وقدرته على المقاومة.

8- أثبت العدوان أن وضعا عربيا جديدا قد ينشأ بسبب الموقف العربي الرسمي الذي جاهرت به بعض الدول العربية لجهة تحميل حماس مسؤولية ما جرى ورفض عقد قمة عربية وعدم السماح بفتح معبر رفح، وفي مثل هذا الوضع قد تزداد الاضطرابات الداخلية ضد تلك الحكومات، ولاسيما أن فلسطين لها أبعاد دينية ووجدانية لدى الشعوب العربية والإسلامية.

9- أثبت العدوان فشل جامعة الدول العربية كمؤسسة رسمية عليها أن تدافع عن الشعب الفلسطيني وترفع الحصار وتفتح المعابر، وكان من المفروض أن يقوم الأمين العام لجامعة الدول العربية مع وفد من وزراء الخارجية العرب بالدخول إلى غزة بعد وقف إطلاق النار، كإشارة للدعم العربي الرسمي للفلسطينيين في القطاع.

10- عبأ العدوان الإسرائيلي الملايين من الجماهير العربية وبالذات من الأجيال الصاعدة، بالوعي العميق ضد الكيان الصهيوني، وضرورة دعم النضال الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية بدلا من اللامبالاة التي اتهمت بها الجماهير العربية في السنوات الأخيرة، والتأكيد على عدوانية إسرائيل ليس ضد الفلسطينيين فقط بل ضد جميع العرب.

- **الطرف الإسرائيلي**

هيأت إسرائيل المسرح الدولي لاستقبال عدوانها على غزة, واختارت أن تبدأ الحرب وتنهيها في الأسابيع القليلة السابقة على تسلم باراك أوباما مهام منصبه رئيسا جديدا للولايات المتحدة الأمريكية، لأنها أرادت تجنب حدوث توتر مع رئيس أمريكا الجديد فعملت على إنهاء الحرب قبل تسلمه السلطة.

إلا أنها اعتبرت الخاسر الأكبر لأنها لم تحقق أهدافها المعلنة منه، وهو القضاء على حركة حماس ووقف تساقط الصواريخ الفلسطينية، وتحرير الأسير الإسرائيلي شاليط، ولا شك أن إسرائيل قد استغلت الفترة الانتقالية في الولايات المتحدة قبل تولي أوباما الرئاسة الأمريكية، للقيام بالعدوان، وكانت تتوقع أن تحقق أهدافها خلال أيام قليلة، إلا أنها لم تستطع طيلة ثلاثة أسابيع أن تحقق أهدافها، على الرغم من سقوط آلاف الشهداء والجرحى، والتدمير الكبير الذي لحق بالمباني المدنية والمؤسسات والجوامع.

وكشف العدوان الوجه الحقيقي لإسرائيل والفكر الصهيوني، فقد دمرت إسرائيل سمعتها وعزلت نفسها عن الرأي العام وعرّضت الجاليات اليهودية إلى ضغوط من الرأي العام من حوله، مما يدفعها إلى تشديد الضغوط على القيادات الصهيونية، وهو ما عكسته بيانات كثيرة صدرت عن منظمات دولية تعمل في مجال حقوق الإنسان، التي شجبت العدوان وأدانته، وأكد العدوان على طبيعة الحركة الصهيونية وإسرائيل ضد العرب والفلسطينيين، وكان من الطبيعي أن يمارس الجيش الإسرائيلي القتل والتدمير في غزة لأن ذلك مرتبط بعقيدة هذا الجيش العدواني.

وأرادت إسرائيل من عدوانها، إلى جانب ما ذكر من قبل:

1. رفع معنويات الجيش الإسرائيلي الذي دمرت معنوياته في صيف عام 2006 في لبنان بسبب فشله في تحقيق أهدافه ضد حزب الله.
2. ساهمت ثقافة القتل في زيادة شعبية الأحزاب الإسرائيلية، فقد قالت ليفني "لقد دمرنا نصف غزة وقتلنا مئات المسلحين، من يجرؤ على مخاصمتنا الآن؟"وهذا الأمر ساهم في ارتفاع عدد المقاعد التي حصل حزب كاديما عليه في انتخابات الكنيست الأخيرة.
3. تحقيق هدف زيادة الخلافات بين التنظيمات الفلسطينية، وبالذات بين حماس وفتح، والظهور بأنها تريد إعادة الشرعية لقطاع غزة، وأنها تفرق بين شرعية السلطة الفلسطينية وعدم شرعية حكومة حماس.

ومن جهة أخرى، فقد أكد يائير ليفي، الخبير العسكري الإسرائيلي والأستاذ في قسم العلوم الاجتماعية والسياسية بالجامعة المفتوحة العبرية، في صحيفة لوموند الفرنسية، أن إسرائيل انهزمت في قطاع غزة، وعدد مظاهر هذا الفشل بأنها لم تستطع وقف صواريخ حركة حماس والمقاومة عن السقوط في جنوب فلسطين المحتلة، وأن الوضع في غزة لم يتغير وبقيت حماس تحكم، بالإضافة إلى حالة السخط العالمية ضد القوة المفرطة التي استخدمها جيش الاحتلال في حربه ضد غزة، كما أن العديد من كبار القادة العسكريين في الجيش الإسرائيلي هم الآن عرضة للملاحقة أمام المحاكم الدولية، وهو ما يزعج القيادة السياسية كثيرا، والتي من الممكن أن تلجأ- حسب قوله- إلى تحقيقات داخلية تحمي بها ضباطها، وتظهرها بمظهر من يأخذ هذه الادعاءات على محمل الجد، وأن تقديرات وزير الحرب الإسرائيلي إيهود باراك للعمليات العسكرية كانت تشير إلى أن الحرب ستستمر يومين فقط، إلا أنها ظلت أكثر من 22 يوما دون أن تخرج بنتائج واضحة على الصعيد العسكري أو السياسي، على حد تعبيره.

وأكد ليفي أن حماس، خرجت قوية من الحرب، واستطاعت رغم العمليات

العسكرية أن تحافظ على كيانها وقوتها وسيطرتها على القطاع، مشيرا إلى أن على الدولة العبرية أن تتعامل بشكل سياسي مع قوة تستطيع السيطرة على القطاع، وهو ما تقدر عليه حماس، واستبعد الخبير تمكن إسرائيل من منع وصول السلاح إلى حماس، كما فشلت في منع صواريخ المقاومة.

وفي كل الأحوال مهما كانت نتائج هذه الحرب فإن أية إطالة لأمدها لا تعتبر انتصارا لإسرائيل التي اعتادت أن تنهي حروبها في أيام قليلة، أي إن إسرائيل بعد حرب يوليو 2006 وحرب غزة 2008 باتت في وضع جديد لا تستطيع فيه تحقيق الانتصارات الخاطفة، كما أن العدوان جعل أكثر من مليون إسرائيلي يعيشون تحت مرمى الصواريخ الفلسطينية حيث لا يوجد مكان آمن داخل إسرائيل.

- **الطرف الدولي**

ترافق إعلان إسرائيل في الثامن عشر من كانون أول/يناير 2009، عن وقف إطلاق النار بتحركات كثيرة على الصعيد الدولي، لتتويج جرائمها في غزة بالإدعاء بأنها حققت نصرا سياسيا لأنها كانت في حالة الدفاع عن النفس، فقد تنادى زعماء حلف الأطلسي (فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا والتشيك) إلى إسرائيل في العشرين من شهر كانون ثاني/يناير الماضي، لتجديد الدعم لها بشكل علني ومشاركتها في كل ما قامت به من جرائم.

وتعامل المجتمع الدولي مع العدوان بمقياسين، فقد ساوى بين الضحية الفلسطيني والجلاد الإسرائيلي، وأن إسرائيل كانت في حالة الدفاع عن النفس عندما شنت عدوانها على القطاع، بينما خرجت مظاهرات في معظم العواصم الأوروبية مستنكرة العدوان ومطالبة بمحاكمة جنرالات الجيش الإسرائيلي.

ولا شك في أن المنظمات الدولية كمجلس الأمن، قد سقطت أخلاقيا وإيديولوجيا ولم تعد تلك المؤسسات تمثل الإرادة الدولية والقيم الإنسانية الخلاقة بسبب الهيمنة والضغوط السياسية الأوروبية والأمريكية عليها، وأصبحت وسيلة ضغط في يد هؤلاء

للضغط على الدول الضعيفة للابتزاز السياسي والاقتصادي، وكان الضوء الأخضر الذي أخذته إسرائيل من إدارة بوش قبل أيام من تركه البيت الأبيض للقيام بالعدوان، هو السبب الذي شجع إسرائيل على عدوانها، ولهذا فقد رأت الولايات المتحدة أنه لا بد من وقف العدوان، قبل حفل تنصيب الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما لكي لا يتحمل مسؤولية العدوان.

ودعا الاتحاد الأوروبي تسيبي ليفني وزيرة خارجية إسرائيل لكي تلتقي مع الوزراء الأوروبيين للبحث في آليات فرض حصار دولي على غزة بحرا وجوا وبرا لإسقاط حماس، كما وقعت الوزيرة الإسرائيلية اتفاقاً مع وزيرة الخارجية الأمريكية المنصرفة كوندليزا رايس تضمن به الولايات المتحدة فرض طوق أمني علي قطاع غزة يمنع حماس من الحصول علي أية أسلحة، والاستفادة من النصر الذي حققته في غزة، وفرض حصار على القطاع، وتطويق هذا الصمود بحصار جديد من نوع آخر، ومع أن تفاصيل الاتفاق الأمريكي ـ الإسرائيلي بقي طي الكتمان، إلا أنه يكفي ما ورد على لسان كل من ليفني ورايس خلال المؤتمر الصحفي الذي عقدتاه في واشنطن في 16 كانون ثاني/يناير 2009، وما نشرته الصحف الأميركية في هذا الشأن، وبخاصة (هيرالد تريبيون وواشنطن بوست) في اليوم التالي لمعرفة أهم بنود الاتفاق:

- التعاون بين كل من واشنطن وتل أبيب من جهة والدول المجاورة بالتوازي مع أطراف أخرى في المجتمع الدولي من جهة أخرى لمنع إمداد الأسلحة والمواد المتعلقة بها لما وصفته المذكرة بـ"المنظمات الإرهابية" التي تهدد أيا من الطرفين الأميركي أو الإسرائيلي، مع التركيز بشكل خاص على تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة، والمقصود بطبيعة الحال حركة حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة، مع تعذر الوصول إلى اتفاق مع مصر لنشر قوات دولية على الحدود بين سيناء وقطاع غزة، والبالغ طولها حوالي 14.5كم.
- تعمل الولايات المتحدة مع شركائها في المنطقة، وفي حلف الأطلسي، على مراقبة تهريب الأسلحة إلى غزة من خلال الممرات المائية الرئيسة في المنطقة، وخصوصا الخليج

العربي وخليج عدن والساحل الشرقي من البحر الأحمر في إفريقيا والبحر المتوسط، و"تحسين الترتيبات القائمة أو إطلاق مبادرات جديدة لزيادة فاعلية هذه الترتيبات".

وفي حقيقة الأمر، فإن هناك الكثير من الشواهد التي تشير إلى أن هذه الترتيبات يجري الإعداد لها من وقت طويل، ولعل أبرز هذه المؤشرات تزايد الوجود العسكري في البحر الأحمر وخليج عدن باسم مكافحة القرصنة قبالة السواحل الصومالية؛ حيث أرسل حلف الأطلسي والاتحاد الأوربي، بالإضافة إلى الصين وقوى آسيوية أخرى قوات إلى هذه المناطق.

ومن بين الأدوات التي ستستعمل لتنفيذ عملية مراقبة ومنع تهريب السلاح إلى قطاع غزة برا وبحرا، تعزيز التعاون بين وكالة المخابرات المركزية الأميركية (CIA) والحكومات الإقليمية، لمنع تدفق الأسلحة إلى غزة.

وحسب ما جاء في الاتفاق، فإنه سوف يكون هناك تعاون بين المخابرات والقيادة العسكرية الأميركية في إفريقيا والقيادة العسكرية الأميركية في أوروبا، وقيادة العمليات الخاصة الأميركية، بهدف تعزيز الجهود بين المخابرات والقوات البحرية الدولية، والقوات البحرية التابعة لحلف الناتو لمنع دخول الأسلحة قطاع غزة.

كما تعهدت كل من الولايات المتحدة وإسرائيل في هذا الإطار الاستخباري بتبادل المعلومات لتحديد مصدر الأسلحة التي ترد إلى غزة، وتسريع جهود المساعدات اللوجستية والفنية لتدريب وتجهيز قوات الأمن في إسرائيل على تعزيز برامجها في هذا الإطار.

ومن يحلل الاتفاق، يعتقد بأن القطاع تحول إلى ترسانة أسلحة ثقيلة، ويبدو أن هذا التصور قد جاء بسبب صمود المقاومة واستمرار إطلاق الصواريخ، التي لم تتوقعها إسرائيل.

وإلى جانب هذه الأطراف، فقد دخلت تركيا بشكل قوي في الأحداث خلال العدوان، وساهمت في كشف همجية إسرائيل، ودعت منذ اللحظات الأولى للتحرك

لوقف العدوان، وزار رئيس وزرائها طيب أردوغان العواصم العربية للتنسيق معها، وكان للحكومة التركية مواقف متقدمة عن بعض الدول العربية في إدانة العدوان، كما طالبت بإشراك حركة حماس في البحث عن حلول لرفع الحصار وفتح المعابر.

اعترفت إسرائيل أنها خططت لعدوانها على غزة قبل ستة أشهر من بدء العدوان، ومع ذلك فقد فشلت في تحقيق ما كانت تطمح إليه، ولكن الشيء المؤكد أن المقاومة الفلسطينية استطاعت بصمودها أن تفشل العدوان، وأن تثبت أنها قادرة على تحقيق مكاسب للقضية الفلسطينية خلال ثلاثة أسابيع، أكثر بكثير مما حققته السلطة الفلسطينية منذ سنوات.

الفصل الثاني

إدارة المعركة لدى الجانبين

سياسيا وميدانيا وإعلاميا

الورقة الأولى

طبيعة المعركة السياسية وآثارها على مسار الحرب

الورقة الثانية

دور المعركة السياسية في التوصل إلى وضع سياسي جديد

الورقة الثالثة

طبيعة المعركة ومتغيراتها العسكرية والأمنية

الورقة الرابعة

أنماط إدارة المعركة والتحول في الأهداف

الورقة الخامسة

أبعاد المعركة الإعلامية واتجاهاتها

الورقة الأولى

طبيعة المعركة السياسية، وآثارها على مسار الحرب

صبري سميرة*

من أجل المنهجية في البحث والتحليل والعرض، لا بد أن نثبت ابتداء أن أشكال العدوان الشامل كافة على قطاع غزة إنما هي معارك أخرى تضاف إلى قائمة طويلة قديمة من المعارك التي شنها الاحتلال الصهيوني والإسرائيلي ضمن حربه المستمرة الشاملة على الشعب الفلسطيني والعربي، ومن خلال هذه الحرب التي بدأها الصهاينة منذ قرابة القرن من الزمان– وتابعهم فيها الإسرائيليون– مدعومين من الأغلبية العظمى ليهود العالم وأمريكا والدول الأوروبية وبخاصة الغربية، أراد المحتلون إقامة دولة إسرائيل والحفاظ عليها- على كامل أرض فلسطين وتهويدها وتفريغها من شعبها وتشريدهم-، بل وتوسعة نفوذها في الإقليم بالأشكال المتاحة، ومن أجل أن يكسبوا هذه الحرب المصيرية على الشعب الفلسطيني والعربي، قام الصهاينة والإسرائيليون بشن المعارك الكثيرة المتنوعة للتخلص من أو السيطرة على أو إضعاف أية جماعة أو مجتمع فلسطيني أو دولة عربية أو إسلامية أو تحالف إقليمي أو دولي يقف أمام تحقيق مخططاتهم العدوانية التوسعية، ومن هنا جاء عدوانهم الشامل على قطاع غزة للقضاء على صمود ومقاومة الغزيين وحركة حماس وفصائل المقاومة الأخرى.

أشكال العدوان الشامل على قطاع غزة

إن العدوان الحالي الشامل على قطاع غزة، الذي وصل ذروته بالعدوان العسكري على الأبرياء المدنيين والبنى التحتية كافة، والمرافق الخدمية للمجتمع الفلسطيني هناك، وقد بدأت فصول مرحلته بعد فوز حركة حماس بالأغلبية الكبيرة بصورة ديمقراطية ونزيهة بالانتخابات التشريعية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة في كانون ثاني/

* **د. صبري سميرة:** أستاذ علوم سياسية، وباحث ومحلل سياسي- الأردن.

يناير عام 2006، وتصاعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة بعد سيطرة حركة حماس عليه في حزيران/ يونيو عام 2007، وقد أخذ هذا العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة أشكالا كثيرة من المعارك والاقتصادية والسياسية والإعلامية والأمنية واالعسكرية، ونشر الفتنة والتآمرية الداخلية الفلسطينية والعربية، وبناء المحاور والتحالفات الإقليمية والدولية- بما فيها ما فرضته إسرائيل على قطاع غزة من حصار خانق دولي و"عربي وفلسطيني" شبه شامل قبل العدوان العسكري.

الأسباب العسكرية للعدوان الإسرائيلي

سعت إسرائيل مدعومة بمواقف أمريكا والغرب إلى خنق حركة حماس وتثوير الغزيين ضدها لإسقاطها أو تسهيل تلك المهمة أمامهم، ولكن مع نجاح حركة حماس في قيادة القطاع وخدمة سكانه مدعومة بمحور الممانعة والحركة الإسلامية العالمية، ومع ثباتها على برنامجها السياسي القائم على الصمود والمقاومة، وعدم تقديم التنازلات لإسرائيل، وعدم التبعية للسياسات الأمريكية، فقد تعاظمت شعبية حركة حماس لدى الغزيين والفلسطينيين عموماً والعرب والمسلمين، حيث أصبح صمود حماس في هذه الحالة أصبح عائقا أمام الإستراتيجيات الإسرائيلية والأمريكية الساعية للهيمنة على المنطقة، وتدمير محور الممانعة، وفرض التسويات غير العادلة للقضية الفلسطينية.

وبعد أن لم ينجح إسقاط حماس أمنيا وسياسيا، ومن ثم اقتصاديا وجماهيريا، فقد لجأت إسرائيل إلى العدوان العسكري.

الأسباب السياسية للعدوان الإسرائيلي

ما دامت حركة حماس وفصائل المقاومة والفلسطينيون والعرب بعامة- لا يشكلون خطرا عسكريا حقيقيا مباشراً آنيا على إسرائيل ولا يلوحون بذلك، وما دامت حركة حماس لم ترفض تهدئة حقيقية مع إسرائيل، فلماذا أقدمت إسرائيل على العدوان العسكري ضد قطاع غزة؟ ولماذا كان هذا التوقيت بالذات؟ وبشكل عام فإنه يمكن التأكيد بأن دوافع العدوان الإسرائيلي العسكري الشامل على قطاع غزة ونتائجه هي سياسية بالأساس بهدف الحفاظ على تفوق عسكري أمني وهيمنة إسرائيلية على فلسطين

والمنطقة بما لا يسمح بوجود بدايات لتشكيل أي تهديد لإسرائيل، ويمنع قيام أي كيان فلسطيني حقيقي على أية بقعة بسيادة كاملة.

وقد اختارت الحكومة الإسرائيلية بقيادة حزبي كاديما والعمل (أولمرت، ليفني، باراك) أن تشن عدوانها العسكري على قطاع غزة في أواخر شهر كانون الأول/ديسمبر عام 2008 لأسباب ترتبط بالانتخابات الإسرائيلية، ومطامح حزبية وشخصية لقيادات إسرائيلية متعلقة بذلك، ومرتبطة بالفترة الانتقالية للحكم في أمريكا، وبالانقسامات الفلسطينية والعربية، وبتداعيات الأزمة المالية العالمية، ويمكن تلخيص هذه الظروف السياسية المحيطة بالعدوان العسكري على قطاع غزة بالآتي:

1. مصالح القيادات الإسرائيلية لتحقيق مجد شخصي، وتأكيد قدراتهم على حماية أمن إسرائيل.
2. مثّلت الفترة الانتقالية للحكم في أمريكا فرصة مثالية لإسرائيل لتنفيذ عدوانها العسكري، حيث تحصل على الدعم المطلق من أمريكا دون أن يدفع جورج بوش وحزبه أي ثمن لذلك خارجيا أو داخليا، وفي الوقت نفسه، تجنبت إسرائيل أية ضغوطات كان من الممكن أن تأتيها من الرئيس باراك أوباما بعد أستلامه للحكم.
3. لعب الانقسام والصراع الفلسطيني الداخلي بين حركة فتح وحركة حماس دورا كبيرا في تشجيع إسرائيل على عدوانها العسكري على قطاع غزة.
4. الانقسام العربي بين معسكري- الممانعة والاعتدال-، وأثارة موضوع ايران ومواجهة النفوذ الإيراني، وانشغال الدول العربية بمشاكلها الداخلية.
5. الاستفادة من أنشغال العالم بالأزمة المالية الدولية.

مبررات العدوان الإسرائيلي

مهدت إسرائيل لعدوانها على قطاع غزة بالكثير من الجهود السياسية التحالفية والإعلامية على الصعيدين الداخلي والخارجي، وإدراكا منها للحساسيات السياسية الداخلية والإقليمية والعالمية، لم تحدد إسرائيل أهدافا دقيقة وواضحة تحاسب عليها في عدوانها على قطاع غزة وتركت الواقع الميداني يفرض نفسه، لتقوم بصياغة أهدافها

بمرونة وفق ما يمليه، ومن بين مبررات التي واجهتها:

1. أن إسرائيل تبحث عن أمنها أولاً قبل الولوج في الحلول السياسية.
2. إقامة ترتيبات عسكرية وأمنية جديدة على حدود قطاع غزة، تضمن وقف إطلاق الصواريخ من القطاع باتجاه الجانب الإسرائيلي، وتدمير الأنفاق ووقف التهريب عبر الحدود مع مصر.
3. تدمير البنية التحتية العسكرية ومصادر الإمداد العسكري لحركة حماس وفصائل المقاومة.
4. تحقبق انتصار عسكري يعوض الوضع النفسي المتردي للجيش والحكومة في الكيان الإسرائيلي بعد حرب 2006
5. هزيمة حماس وإضعافها لأضعاف محور الممانعة، وانشاء حكومتها في القطاع.
6. تأكيد قدرة الدروع الإسرائيلية في الشرق الأوسط.

وبالنظر إلى مجريات العدوان العسكري على قطاع غزة وما رافقه من معارك سياسية وإعلامية ودبلوماسية وشعبية وغيرها، فقد فشلت إسرائيل فشلت في تحقيق أهدافها وتكبدت خسائر إضافية، حيث لم تستطع القضاء على المقاومة وحركة حماس، بل و زادت من قوتها وشعبيتها السياسية والجماهيرية والدولية، كما إن أستمرار تهديد مستوطنات جنوب الكيان الإسرائيلية بالصواريخ الفلسطينية ولم يتحقق الشعور بالأمن الكامل، وأما عدد القتلى من الجنود والجرحى- وإن تم التكتم الشديد عليه- واستخدام عبوات ناسفة وصواريخ بعيدة المدى زاد من حالة الهلع والخوف في المستوطنات الإسرائيلية ولدى الجنود الإسرائيليين.

كما أن إن وحشية العدوان وحجم الدمار وأعداد القتلى الناتجة عن الحرب ودعم الشعب الإسرائيلي بقواه كافة للعدوان، عززت الاتجاه الشعبي الصراعي في الجانب العربي والإسلامي والعالمي ضد إسرائيل، كما أن فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها عسكريا ودخول أوروبا وأمريكا لمساعدتها، يزيد من قدرة هذه الأطراف بالضغط على

إسرائيل ومواقفها المتطرفة، ولا يجعلها مستقبلا طليقة اليدين في شن العدوان على من تشاء وقتما تشاء، كذلك، لم تستطع إسرائيل عزل حركة حماس على المستوى الرسمي العربي والإسلامي والدولي، حيث تسبب صمودها وأفشالها للعدوان الإسرايلي بزيادة أخذها الاعتبار في الحسابات الاقليمية والدولية كقوة صاعدة هزمت الجيش الإسرائيلي كما تقوي محور الممانعة وايران وتركيا وسوريا ودول أخرى رأت علاقة حسنة بحماس وبعضها يناهض السياسات الأمريكية.

موقف حركة حماس من العدوان الإسرائيلي

تسعى استراتيجية حماس العامة إلى زيادة قوتها ونفوذها الشامل داخل فلسطين وخارجها، ولاسيما زيادة قوتها العسكرية الميدانية داخل فلسطين وتعزيز قدرتها على الصمود والمقاومة، بحيث تستطيع التأسيس لقيام دولة فلسطينية حقيقية تتمتع بسيادة كاملة على الأرض الفلسطينية.

وقد طورت حماس من عملها وتقدمت في المراحل إلى أن وصلت إلى السيطرة الكاملة على قطاع غزة، وبعد أن تصدت لكل محاولات إسقاطها، وبعد أن جربت تهدئة لم تلتزم بها إسرائيل، اتخذت حماس قرارا بعدم التوقيع على أي تهدئة لا تحقق لها هدفين تحتاجهما لاستراتيجيتها، وهما فتح المعابر إلى قطاع غزة بصورة طبيعية، وفك الحصار بصورة كاملة، وجاء العدوان العسكري الإسرائيلي، وأصبح لدى حماس أهداف جديدة لتحقيقها، وأهمها الصمود الشامل والعسكري، والمقاومة العسكرية، والسيطرة الميدانية الأمنية والشعبية، ووقف العدوان العسكري، والانسحاب الإسرائيلي الكامل من قطاع غزة، ولتحقيق ذلك كله، كان على حركة حماس أن تعمل على جبهات داخلية وعربية وإقليمية ودولية كثيرة، رسمية وشعبية ومؤسسات دولية، سياسية ودبلوماسية وإعلامية، إضافة إلى العسكرية والاستخبارية.

وقد نجحت حركة حماس في تحقيق هدفين من أهدافها الأربعة التي أعلنتها خلال معركة غزة، وهما: وقف إطلاق النار، والانسحاب من قطاع غزه، ولم تحقق حتى الآن- وإن كانت قد قاربت- الهدفين الآخرين المعلنين وهما: فتح المعابر بصورة طبيعية، وفك

الحصار بصورة كاملة، وبتحليل الأرباح والخسائر فإن حماس نجحت في الصمود والمقاومـة على الجبهات كافة، وأثبتت أنها كانت مُستعدة للتصدي للعدوان في المجالات الممكنة.

فعسكريا، انتشر وتخندق مُقاومو حماس وفق خطة مدروسة، واستخدموا أسلحتهم القليلة والبسيطة بصورة مُنظمـة وذكيـة، ووصـلت صـواريخهم مـدى أوسـع مـما توقعـه الإسرائيليون، ويتوقع الإسرائيليون أن حماس لم تسـتخدم كـل أنـواع الأسـلحة التـي لـديها، وأوقع المقاومون خسائر مادية وبشرية في جنود الاحتلال وآلياتهم، تكتمـت إسرائيـل عـلى مُعظمها، ولكن الشهادات المتوالية للجنود تثبت أنهـم كـانوا يواجهـون مُقاومـة شرسـة لم يتمكنوا من تجاوزها أو هزيمتها، وإنما كـانوا كثـيرا مـا يتراجعـون بعـد أن يـدخلوا منـاطق المباني السكنية حتى تصبح المعارك مواجهة ويُمكن للمقاومة أن تواجهها.

وعلى الرغم مـن فظاعـة المفاجـأة ووحشـيتها، والعـدوان الشرس المسـتمر لمختلـف وحدات الجيش الإسرائيلي، فقد نجحت حـماس في الصـمود العسـكري والتصـدي للقـوات الإسرائيليـة، ولم يسـقط الكثـير مـن المقـاومين، واسـتمروا في التمتـع بإمكانيـات إطـلاق الصواريخ ومدافع الهاون حتى النهاية، وهي أهداف كـان يسـعى الإسرائيليـون لتحقيقهـا، وأثبتـت المقاومـة أنهـا عـلى درجـة عاليـة مـن التـدريب والتحضـير والمعنويـات العاليـة والتماسك والتواصل وحُسن الإستراتيجية، وأنها هي التي بقيت مسيطرة على المنـاطق غـير المفتوحة لصواريخ الطائرات الإسرائيلية، حيث إن مجـرد صـمود حـماس العسـكري يُعتـبر نجاحاً هو الأهم والأخطر في إفشال العدوان الإسرائيلي.

وحتى على مستوى التهريب عبر الأنفاق فلم تستطع إسرائيل وقـف تزويـد حـماس بالسلاح والعتاد والمؤن طوال المعركة، حيث استمر استخدام الأنفاق حتى أثناء المعارك.

أما على المستوى الأمني، فقد نجحت حماس نجاحا كبيرا، حيث تمكنت مـن حمايـة قياداتها وعناصرها ومخازن أسلحتها ومنصات صواريخها لدرجة كبيرة جـدا، ولم يسـقط في الأسر أحد من المقاومين، وسقط قياديان شهيدان، هما نـزار ريـان ووزيـر الداخليـة سـعيد صيام، وتحقق هذا النجاح الأمني لحماس رغم وجود شبكة قوية من العملاء لدى إسرائيل وبعض المرتبطين معها من أجهزة السلطة السابقة.

وأما على المستوى الإعلامي، وعلى الرغم من الإعداد الإسرائيلي المسبق الكبير للسيطرة على الحرب الإعلامية، فقد نجحت حماس في إفشال إسرائيل إعلامياً، بل وتفوقت عليها في كثير من الأحيان، فطوال المعركة استمرت وسائل إعلام حماس بالعمل والتغطية الميدانية، وتمكنت قياداتها العسكرية والسياسية من إيصال رسائل مستمرة للمقاومة وللشعب الفلسطيني وللعالم أجمع، وتمكنت من تقديم خطاب ومضامين إعلامية مُناسبة، وقد لعبت وسائل الإعلام العربية والعالمية، وبخاصة الفضائيات والإنترنت في نجاح حماس الإعلامي، وقد ضربت إسرائيل بعضا من مقرات هذه الوسائل الإعلامية.

أما على مستوى الحرب النفسية، فلم تترك إسرائيل أسلوباً إلا واستخدمته لإضعاف معنويات المقاومين والشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية الداعمة للمقاومة، فاستخدمت المناشير، والبث التلفزيوني والإذاعي وفريق"بروباغاندا" (حرب إعلامية) متخصص، ولم تنجح إسرائيل في ذلك عبر ما نشرته من انتصارها وانسحاق المقاومة وتدمير مقراتهم وقواعدهم ومنصات صواريخهم وقتل وأسر الكثيرين منهم، ولم تنجح في تأليب أهالي غزه ضد المقاومين، حيث ثبت كذب وتضليل هذا الإعلام عمليا بعد انجلاء المعركة، والأهم أن وحشية الصدمة ووحشية العدوان لم توهن معنويات أهالي غزه والمقاومين، ولم يستسلم أحدٌ منهم، ولم يعترض أحدٌ على المقاومة، بل استبسل الجميع بالصمود والمقاومة، وكان للدعم الشعبي العربي والإسلامي والعالمي أكبر الأثر على معنويات القيادات السياسية والعسكرية لحماس.

فعلى المستوى الشعبي، فلسطينيا في الضفة الغربية وفي داخل الخط الأخضر وفي المخيمات والشتات فقد تعاظمت شعبية حماس إلى أقصى درجاتها، وهب الفلسطينيون في العالم يعلنون تأييدهم المعنوي والسياسي والإنساني والإغاثي، وارتفع لديهم منسوب الهوية والوطنية الفلسطينية من جديد، وزادت آمالهم وتوقعاتهم في أن تحيا قضيتهم وأن تتولاها الأجيال القادمة المتحمسة المؤمنة بحتمية إنهاء الاحتلال الإسرائيلي والتصدي لغطرسته وعدوانه.

ولم تكن هبة العرب والمسلمين في العالم بأقل عاطفة ووعيا، وقد كان للحركة الإسلامية- وبخاصة الإخوان المسلمين- الدور الأكبر في تجييش الشعوب والمؤسسات والرأي العام لنصرة حماس والمقاومة، وأما شعوب العالم الغربي والآسيوي والأفريقي والأمريكي اللاتيني فقد شهدت بدورها بعض صحوات الضمير الإنساني، والتعبير السياسي المناهض لإسرائيل وداعمتها أمريكا.

إن معركة غزه بما فيها من عدوان إسرائيلي وحشي وصمود بطولي للغزيين والمقاومة وحماس أنتجت جميعها أضخم وأوعى تعاطف شعبي عالمي سيترك آثارا على عقول ونفوس ومواقف الأجيال القادمة في نصرتها لقضية فلسطين، وهذا نجاح آخر لحماس عالميا.

في المقابل فإن حركة حماس كانت تتابع وتحلل حسابات الأرباح والخسائر، حيث إن الجانب الفلسطيني في قطاع غزة الذي تمثله وتقوده حماس قد تكبد خسائر بشرية ومادية واقتصادية، جراء العدوان الهمجي الإسرائيلي، فأعداد الشهداء وصلت قرابة (1400) شهيد، والجرحى عدة آلاف جريح، كثير منهم قد ينتهي بهم المقام بإعاقات دائمة أو جزئية، وأما البيوت فقد دمر منها قرابة (4.000) بيت تدميرا كاملا، و(16.000) بيت تدميرا جزئيا، إضافة إلى آلاف المتاجر والمصانع والشركات والمباني الحكومية والعامة والتجارية، ومساحات شاسعة من الدمار في الشوارع والأراضي الزراعية والشواطئ والبُنى التحتية الأخرى: كهرباء، ماء، مجاري... الخ، ويُقدر حجم الدمار المباشر بحوالي مليار دولار، وأما الخسائر الاقتصادية الناتجة عن تعطيل دورة الحياة والإنتاج فلا بد أن تتجاوز ذلك الرقم.

إن هذه الكلف البشرية والمادية والاقتصادية تُشكل خسائر كبيرة ضاغطة على قرارات حماس الخاصة بالمقاومة والصمود أو الملاحقة العسكرية لإسرائيل، بما فيها إطلاق الصواريخ، وهي- وإن كان الفلسطينيون يعلنون استعدادهم للتضحية والمقاومة المستمرة- إلا أنها عُنصر كبير وضاغط على سياسات حماس ومواقفها.

كذلك فإن حركة حماس واجهت واقعا قاسيا على المستوى السياسي الدولي والأمني، فلم تستطع حماس كسر المقاطعة الدولية المفروضة عليها في تلك المستويات بصورة تتناغم وحجم التعاطف ضد عدوانية الحرب على غزة، وحجم الصمود البطولي في وجه ذلك العدوان، حيث حافظت إسرائيل- مع تسهيل مهمتها من قبل أطراف عربية يقوده محور الاعتدال- حافظت إسرائيل على موقف دولي، وبخاصة أمريكيا أوروبيا أمميا، مضاد لحركة حماس، حيث أصر هؤلاء على دعمهم لإسرائيل وأمنها وحقها في الوجود وحقها في الدفاع عن نفسها، وتعهدوا بمساعدتها لوقف ما يسمونه تسريب سلاح حماس عبر اتفاقية أمريكية مدعومة أوروبيا وبشجب أممي لصورايخ المقاومة، ولم تصل حركة حماس حتى الآن في أن تكون جزءا من أي اتفاق مباشر لتهدئة أو هدنة مع إسرائيل، بل تمت محاولة ذلك عبر مصر.

وأمام المعطيات السابقة كافة، الإيجابية والسلبية والضاغطة، استطاعت حركة حماس أن تتعامل معها وأن توظفها، وهي المهمة الأهم والأخطر في تعزيز النجاح العسكري الميداني والبناء عليه ، وقد نجحت حماس في هذا البعد السياسي داخلياً وخارجياً وعربياً وإسلامياً وشعبياً، وقد عاظم انتصار الصمود والمقاومة في معركة غزة من شرعية وسلطة حماس السياسية وامتداداتها في المنطقة والعالم، فابتداءً عززت حماس من دورها كحكومة فاعلة ومسئولة، حيث استمرت في أداء ما يُمكنها من مهمات ومُتابعة عسكرية وأمنية وسياسية وإعلامية وصحية وإغاثية ورقابية وعلى الحدود، ونتيجة لسيطرتها الميدانية وحُسن معالجتها للأمور وثقة الناس فيها استطاعت حماس وحكومتها من تحقيق الأمن المجتمعي والتكامل الاجتماعي بأعلى صورة، فلم تسجل أي حالة للخروج على الأحكام والقانون أو الانفلات والتمرد، وفي الأوقات التي كان يتحرك الناس فيها أو عند وقف إطلاق النار كان الجميع يلتزم بقرارات حكومة حماس وسياساتها.

وعلى مستوى إدارة الصراع السياسي والعلاقات السياسية والمفاوضات فقد نجحت حماس في استيعاب جوانب المعركة، وكانت ناضجة في تعاملها معها، ومع الفصائل الفلسطينية، والأطراف العربية والإسلامية والدولية، فلم ترضخ لضغوطات سلطة أبو

مازن وأطراف عربية أخرى حمّلتها في البداية مسؤولية العدوان الإسرائيلي، وتركتها لتواجه مصير ما اقترفته يداها، ولم ترضخ حماس لمطالب هؤلاء ولمطالب إسرائيل، بل أعلنت مواقفها بقوة، وهيجت الشوارع العربية والإسلامية والعالمية، فكان أن تراجعوا وغيروا- على درجات- من مواقفهم ومطالبهم، واستفادت حماس من الدعم السياسي لمجموعة أخرى من الدول- سوريا، إيران، تركيا، قطر- ونجحت في أن تُشكل منهم مجموعة مُتقاربة داعمة لها، وتمثلت أحسن حالاتها في مؤتمر الدوحة، الذي حضرته بعض فصائل المقاومة بقيادة حماس.

وكانت حماس على درجة عالية من الوعي والمسؤولية وإدراك المصلحة العليا، فرغم عدم رضاها عن دور مصر في المعركة غير أنها استمرت في التعامل مع المبادرة المصرية لوقف إطلاق النار في قطاع غزة، ولكنها لم تتنازل عن شروطها تحت كل الضغوط، مما أجبر إسرائيل على الهروب من شروط حماس وإعلان وقف إطلاق النار من طرف واحد، وتوقيع اتفاقية مع أمريكا لمراقبة تهريب سلاح حماس، وهذا يُعتبر نجاحاً لحماس، فهي لم توقع اتفاقيات هزيمة، ولم تستسلم للضغوط، وكانت هذه الصفقة الإسرائيلية لمصر بمثابة دعم لرؤية حماس بألا تثق مصر بإسرائيل وألا تقف معها ضد حماس.

وفي المجمل فإن نتائج معركة غزه السياسية تمثلت بدفع حركة حماس قدما في إستراتيجيتها المتبناة، وزادت في تثبيت شرعية حركة حماس على الأرض في غزة، وفي قيادة المقاومة وفصائلها، وفي إنجاح أسلوب المقاومة في التصدي للاحتلال والهيمنة الإسرائيلية، وفي زيادة شعبية حماس، وفي إضعاف السلطة في الضفة الغربية، ورفض نهجها في التسوية والتنازلات، ورسخت وجود حركة حماس كقوة لا يُمكن القضاء عليها ولا يُمكن معالجة القضية الفلسطينية بدونها، وجعلت منها لاعباً إقليمياً عربياً وإسلامياً، وجعلتها رمزاً للصمود والمقاومة في العالم أجمع، ورفعت من سقف المطالب الفلسطينية، وأرسلت هزة كبيرة في النظام السياسي العربي لمراجعة حساباته تجاه عملية التسوية، وتجاه نُصرة القضية، وتجاه الضغط على إسرائيل لوقف عدوانها.

موقف السلطة الفلسطينية وحركة فتح من العدوان الإسرائيلي

سارعت السلطة الفلسطينية في رام اللـه في الأيام الأولى من المعركة إلى تحميل حماس مسؤولية العدوان الإسرائيلي، وأنها جلبته لنفسها وللفلسطينيين، والاستهزاء بالصواريخ العبثية، ولكن- ومع صمود الغزيين والمقاومة وحماس- اضطربت مواقف ودور السلطة، ثم بدأت بعض الأصوات تحاول إنقاذ موقفها، فأظهرت تعاطفا، وطالبت بوقف العدوان، ثم تطورت إلى أن دعت للحوار والوحدة... إلخ.

وأما في الضفة الغربية، فقد منعت السلطة أي مظاهر فعلية لمقاومة الاحتلال أو الاقتراب من حواجزه، وقمعت المظاهرات، وأنزلت رايات حماس، وأما المعتقلون السياسيون في سجونها، فلم تُطلقهم، بل زادت من أعدادهم.

وعلى المستوى الإعلامي، فقد هاجمت السلطة حماس مُباشرة، ثم استخدمت أساليب غير مُباشرة لانتقاد حماس، مثل سرقة المساعدات الإنسانية، ومنع دخول المساعدات، والتعنت في التجاوب مع المبادرة المصرية، وغير ذلك، وأما على المستوى الأمني، فاستمرت السلطة بالانفتاح والتعاون مع إسرائيل.

وأما على المستوى السياسي- وهو الأخطر- فقد تناغمت السلطة تماما مع المطالب الأمريكية والمصرية، ولم تأخذ مواقف سياسية قوية ضاغطة، فلم تُعلن وقف العلاقات مع إسرائيل، ولا وقف العمل بأي اتفاقيات، ولا حرضت الشارع في الضفة والخارج، ولم يذهب أبو مازن إلى غزة- لو على الحدود المصرية- ولم يعتصم في هيئة الأمم، وأفشل أي انعقاد لقمة عربية خاصة بغزة، بل غاب عن قمة الدوحة، وانشغلت السلطة فيما بعد بقضايا غنائم المساعدات الإغاثية، والسيادة على المعابر، ومن يوقع اتفاقات لإنهاء العدوان، ومن يشرف على إعادة الإعمار.

إن تحليل النجاح والفشل والأرباح والخسائر للسلطة في ضوء العدوان على غزة يُظهر أن هذه السلطة خسرت الكثير على المدى القريب والبعيد؛ فأمام مسؤولياتها كقيادة للشعب الفلسطيني، فقد فشلت في أبسط واجباتها في الدفاع العسكري والأمني والميداني عن مواطنيها، بل فشلت في إسناد المقاومة التي تدافع عن كينونة الشعب الفلسطيني

ومستقبل قضيته، بل تصرفت كخصم وخاذل للمقاومة، وتطاول بعض رموزها على تضحيات الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، بل ظهرت السلطة كمعاون إعلامي واستخباري لإسرائيل وأمريكا، ومع ظهور قضية المساعدات الدولية، ظهرت السلطة كتاجر يبحث عن مصالح المنتفعين في قيادتها، كل هذه الجوانب جعلت الشعب الفلسطيني في أماكن كثيرة من العالم ُشارك العرب والمسلمين في إدانة هذه القيادة الفلسطينية، وهي أول مرة في تاريخ القضية الفلسطينية التي تدان فيها قيادة فلسطينية في مناسبات دعم القضية ذاتها.

إن الأداء الهزيل للسلطة ميدانيا وإعلاميا وقياديا وسياسيا وإقليميا ودوليا، جعلها تخسر الكثير من شرعية وجودها وقيادتها، لصالح مشروعية المقاومة والصمود والممانعة، مما سيضعف على المدى البعيد دور السلطة في أي تسويات للقضية مستقبليا، ويزيد من أهمية دور حماس وقوى المقاومة، حيث حصرت السلطة نفسها في نطاق المفاوضات والتسوية.

الموقف العربي من العدوان الإسرائيلي

أظهر العدوان العسكري على قطاع غزة المستوى الكبير من الهشاشة والتخبط واضطراب الأولويات لدى الجسم العربي الجمعي والدول العربية منفردة، وقد أدت حالة التمحور والانكفاء نحو الداخل الوطني والتخفف من العبء القومي العربي، إلى تسهيل التدخل والتحكم والفاعلية الخارجية في تقرير كيفية التعامل مع العدوان العسكري الإسرائيلي على قطاع غزة، وكان أبرز علامات الحال السيئ هذا هو عدم إمكانية عقد مؤتمر قمة واحد خاص بقطاع غزة، بينما تكاثرت القمم الانقسامية في الدوحة والكويت والرياض وشرم الشيخ وأبو ظبي، وأظهرت الأحداث عدم قدرة الطرف العربي على الضغط على المجتمع الدولي، فلم يكن للعرب الرسميين دور في صمود غزة أمام الهجمة العدوانية عليها ولم يكن لديهم دور في صدور قرار مجلس الأمن أو حتى قرار وقف إطلاق النار أو حتى القمة الأوروبية، وقمة شرم الشيخ التي جاءت لإعطاء مخرج للوضع الإسرائيلي ولإعطاء إسرائيل تغطية لانسحابها من قطاع غزة وتبريراً لمجازرها.

هكذا وطوال فترة العدوان على قطاع غزة استمر الانقسام العربي بين معسكر التسوية والاعتدال ومعسكر المقاومة والممانعة، وبالرغم من التفاهمات التي حصلت في مؤتمر الكويت فقد عادت الاتهامات المتبادلة، وعجز المؤتمر عن اتخاذ قرارات حاسمة من مجال الصراع، مما يعكس استمرار المواقف الحقيقية للأطراف العربية بالرغم من إظهار روح التعاون، وهكذا استمر محور الممانعة– مدعوما بالتأييد الجماهيري والنخبوي– في دعم حركة حماس ماديا ومعنويا وسياسيا ودوليا، أما محور الاعتدال فقد استمر في دعم السلطة، وحدد دوره المستقبلي في دفع المساعدات للإعمار عن طريق هذه السلطة، وتصر دول محور الاعتدال على ضرورة قبول وتفاهم حركة حماس مع السلطة ليتم التعامل معها والقبول بدور لها في غزة وفلسطين ومساعدات الإعمار، وقد دخلت تركيا على الخط- وبقبول حماس- كوسيط إضافي موثوق، وضمانا لتنفيذ الالتزامات.

أثبت التفاعل ضد العدوان على قطاع غزة حضور وفاعلية الحركة الإسلامية في مختلف الدول العربية وعالميا وتعاظم تأثيرها لصالح القضية الفلسطينية، ومن المتوقع أن يتزايد هذا الاتجاه، ولعب الإعلام العربي- خاصة المرتبط بمحور الممانعة وأنصاره- دوراً كبيرا في توجيه الرأي العام العربي والإسلامي، وهناك اتجاه واضح لزيادة دور الإعلام في الصراع العربي- الإسرائيلي كبديل لضعف دور القوى السياسية، وقد ساهم هذا الإعلام في كشف صورة إسرائيل العدوانية أمام العالم، مما دعم الدعوات لمحاكمة مجرمي الحرب الإسرائيليين أمام محكمة الجنايات الدولية، في المقابل فإنها أظهرت عجز الأنظمة العربية عن استيعاب المتغيرات الديمقراطية والشعبية في مجتمعاتها، وسمحت ببعض المجال للقوى الشعبية لإظهار تأييدها للقضية الفلسطينية وللتنفيس عن مشاعرها.

القضايا السياسية الخلافية المرتبطة بالعدوان الإسرائيلي

أثناء العدوان العسكري على قطاع غزة، وبعضها قبله وبعده، كان ولا زال الصراع السياسي على أشده تجاه قضايا خلافية لأطراف الصراع، ونلخصها بالآتي:

1) **قضية المعابر:** تصر حركة حماس على فتحها بشكل كامل، وتصر إسرائيل على التحكم بها وفق هواها، وتصر السلطة على السيطرة عليها ويدعمها في ذلك أمريكا

وأوروبا ومصر، وقد كشفت قضية فتح معبر رفح عجز العرب عن اتخاذ قرارات حاسمة لصالح القضية الفلسطينية ودعم صمود شعب غزة بعيدا عن الموقف الأمريكي، ولذلك فقد دفعت مصر ثمنا باهظا من سمعتها وهيبتها، وعرّضتها لضغوط شعبية هائلة على الصعيد الداخلي والخارجي، وتسعى مصر وأمريكا والغرب للضغط على حركة حماس لتوافق على تشكيل حكومة وفاق وطني ومصالحة مع السلطة لفتح المعابر والحدود بمشاركتهم.

2) **قضية إعادة الإعمار:** تسعى إسرائيل لاستخدام تمرير المساعدات ولوازم الإعمار كسلاح سياسي لتحقيق ما فشل العدوان العسكري في تحقيقه، وأن يكون الإعمار شاغلا للفلسطينيين والعرب والمجتمع الدولي عن بذل الجهد المطلوب لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي، ويسعى كل أعداء وخصوم حركة حماس إلى أن تأتي المساعدات عن غير طريقها- ويفضل عن طريق السلطة- لإظهار أنها تأتي بالدمار وغيرها وأسلوب التسويات يأتي بالنعم.

3) **الحوار والمصالحة الوطنية الفلسطينية:** ضغط محور الاعتدال- ومن ثم سانده الأوروبيون وتابعهم الأمريكيون- على حركة حماس للجلوس على طاولة الحوار الوطني الفلسطيني وإنجاز مصلحة وطنية وتشكيل حكومة وفاق وطني ومن ثم التجهيز لانتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية متزامنة، ولم يكن موقفهم هذا هو موقفهم قبل العدوان العسكري على غزة حينما أرادوا استبعاد حركة حماس وعزلها والقضاء عليها، ولكن بعد نجاحها في الصمود والمقاومة خشي جميعهم على وجود وشرعية ومستقبل السلطة في رام الله شريكهم الضعيف في الضفة الغربية وعلى الساحة الفلسطينية، وبما أن إسرائيل لم تستطع القضاء على حماس فقد اتجه التفكير نحو مشاركة السلطة في إخراج حماس من القيادة السياسية للشعب الفلسطيني، ويبدو أن نتائج الانتخابات الإسرائيلية نحو اليمين فرضت مزيدا من الضغط على محور الاعتدال لينجز المصالحة الوطنية الفلسطينية، حيث أن موقفه الساعي للسلام مع إسرائيل يتعرض لصفعة وعقبات كبيرة قادمة.

الورقة الثانية

دور المعركة السياسية في التوصل إلى وضع سياسي جديد

د. نظام بركات*

إن التحولات المتوقعة على الوضع السياسي بشكل عام سواء على الصعيد المباشر لأطراف الصراع العربي- الإسرائيلي، أو على صعيد العلاقة مع المجتمع الدولي إنما تنبع في الأساس من نتائج المعركة العسكرية والسياسية ومدى قدرة الأطراف المعنية على توظيف هذه النتائج لمصلحتها والاستفادة منها في تقوية وتعزيز موقفها على ساحة الصراع.

إن الحكم على نتائج المعركة عسكرياً وسياسياً يرتبط إلى حد بعيد بتحديد أهداف الأطراف المعنية بالمعركة، وماذا تحقق منها، حيث يلاحظ بأن الطرفين المباشرين للحرب إسرائيل وحماس تقولان بأنهما حققتا انتصاراً، وذلك لأن جزءاً من أهدافهما قد تحقق، وهناك جزء من أهداف الطرف الآخر لم يتحقق، مع ضرورة إدخال الخسائر الناجمة عن الحرب من قبل الطرفين في تقييم مدى النصر أو الهزيمة في المعركة.

مدخلات العملية السياسية

إن دراسة مستقبل الصراع السياسي في المنطقة سيعتمد على مجموعة من المدخلات الرئيسية التي ستقرر مصير الحل السياسي والمنطقة بشكل عام وأهمها:

1- **المصالحة الفلسطينية وتوحيد الحكومة والسلطة،** باعتبار أن هذه القضية ستحسم جملة قضايا فرعية أخرى، منها على سبيل المثال:

أ- قضية فتح المعابر والجهة المشرفة عليها.

ب- عملية الإعمار والجهة المشرفة على إدارة المساعدات.

ج- قضية المفاوضات المستقبلية مع المجتمع الدولي واللجنة الرباعية ومع إسرائيل.

د- مستقبل منظمة التحرير الفلسطينية.

* **د. نظام بركات:** أستاذ العلوم السياسية، جامعة اليرموك- الأردن.

2- تشكيل الحكومة الإسرائيلية

باعتبار أن هذه القضية ستحسم:

أ- مسألة استمرارية المفاوضات والعملية السلمية وبخاصة أن أحزاب اليمين الفائزة في الانتخابات ترفض الاعتراف بدولة فلسطينية.

ب- الوقوف أمام الضغوط الأمريكية والمجتمع الدولي وهذا ما جعل حزب الليكود يصر على حكومة وحدة وطنية.

3- قدرة العرب على التوحد وحشد الدعم العربي الإسلامي للموقف العربي

4- ملاحظات عامة على دور المعركة سياسياً

- لم تستطع هذه الحرب كسابقاتها حسم الصراع بين أطرافه وادعاء كل طرف أنه المنتصر النهائي فيها:
  - إسرائيل ضربت عسكرياً ودمرت وتجنبت الخضوع للضغوط والعقوبات.
  - حماس صمدت سياسيا وميدانيا وكسبت تعاطفاً وتأييداً شعبياً.
  - السلطة الفلسطينية كانت أكثر الخاسرين في البداية خلال المعركة، لكنها عادت واحتلت موقعاً مركزياً من خلال جهود الإعمار والحلول السياسية.
- عمقت المعركة الانقسام الفلسطيني سواء على صعيد القيادات أو المؤسسات وحتى على صعيد غزة والضفة، ولكن كان هناك توحد شعبي، وظف المعركة نحو بروز أهمية التوحد الفلسطيني لمواجهة وضع ما بعد المعركة.
- كشفت المعركة تراجع أهمية الموقف العربي الجماعي، وعكست المعركة الانقسام العربي الواضح سواء في مؤتمر الدوحة أو الكويت.
- أظهرت المعركة الدور الشعبي المساند للقضية الفلسطينية وذلك من خلال امتداد المظاهرات لمختلف أرجاء العالم، ولكن يلاحظ أن تأثير التأييد الشعبي بقي محدوداً على الصعيد الواقعي، وأن هذا التأييد ذو طابع عاطفي وانفعالي مهم، ولكنه بحاجة إلى زمن لإحداث تغيير حقيقي على مواقف أطراف الصراع.

- برز الإعلام عاملاً فاعلاً في إدارة المعركة والتأثير على الرأي العام وبخاصة فيما يتعلق بالجوانب الإنسانية.
- تزايدت الدعوات لمحاكمة مجرمي الحرب الإسرائيليين أمام المحاكم الدولية وحسب مبادئ القانون الدولي الإنساني، وانشغلت كثير من اللجان والمنظمات في تجميع المعلومات عن الجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية.
- الاتجاه نحو تزايد دور القوى الإقليمية في المنطقة وبخاصة كل من إيران وتركيا، في ظل غياب الدور العربي الفاعل، وكذلك تقدم دور الاتحاد الأوروبي من خلال دور فرنسا على حساب دور الولايات المتحدة الأمريكية.
- كشفت المعركة هشاشة المجتمع الدولي وعجزه عن تنفيذ قراراته أو الضغط على إسرائيل لوقف الحرب في غزة.

مؤشرات مستقبلية

إن مستقبل العرب القادم سياسياً يتوزع بين ثلاثة اتجاهات رئيسة:

الاتجاه الأول: يركز على الحقوق السياسية وأن المعركة تعكس حالة وطنية وأزمة تتعلق بجوهر القضية الفلسطينية والاحتلال وضرورة التوصل إلى تسوية سياسية أو حالة سلام في المنطقة.

الاتجاه الثاني: يركز على العوامل الإنسانية ويحاول تركيز جهوده على الدعم المادي والطبي والإعمار، وضمان حلول اقتصادية للحالة المعيشية المتردية في قطاع غزة.

الاتجاه الثالث: يرى أن المعركة تمثل حالة أمنية تبحث عن طرق لحلها وتلافي الخسائر وضغط الحدود، وإمكانية العودة للحلول العسكرية.

الورقة الثالثة

طبيعة المعركة ومتغيراتها العسكرية والأمنية

صفوت الزيات*

إن التقييم الفوري لحرب ما زال غبار معاركها ودخان مدافعها لم ينقشع بعد مسألة لها خطرها الدائم وانحيازها الكامن وعدم الدقة القائم، والأمر صحيح عندما تتحول المهمة من وصف لقتال إلى استخراج لدروس من بيانات ومعلومات لم يكتمل بعد مبناها، ومن المهم أن نتذكر أن الأمر قد يأخذ ما بين عام كامل وعام ونصف لتأكيد المطروح من أرقام وسبر غور وقائع الحدث.

الحرب الإسرائيلية - الفلسطينية الأولى، والحرب الإسرائيلية- العربية السابعة أو ما بات يعرف بـ "عملية الرصاص المنصهر" خطط لها منذ عامين من اندلاعها، وتحديدا عقب انتهاء الحرب الثانية على لبنان صيف العام 2006، وروجعت خطوطها العامة في زيارة الرئيس الأمريكي الخاطفة للمنطقة في كانون ثاني/يناير من العام 2008، حيث تسرب آنذاك قدر من التفاصيل التي نفذ الكثير منها في العملية العسكرية الأخيرة.

الخطوط التفصيلية للعملية تم تدقيقها في منتصف حزيران/يونيو 2008، على التوازي مع إعلان اتفاق التهدئة بين إسرائيل وفصائل المقاومة في القطاع، ثم عرضت الخطة على وزير الحرب الإسرائيلي إيهود باراك للموافقة في 19 تشرين ثاني/نوفمبر 2008، وصادق عليها هو ورئيس وزرائه إيهود أولمرت في 13 كانون أول/ديسمبر 2008، واعتمدت من قبل مجلس الوزراء الإسرائيلي بكامل هيئته مساء 24 كانون أول/ديسمبر 2008، في اجتماع أعلن عنه تحت عنوان خادع لـ"بحث مخاطر الجهاد الدولي"، وتحت ستار خادع وصلت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفنى إلى القاهرة صباح اليوم التالي 25 كانون أول/ديسمبر لمشاورات بشأن الأزمة في قطاع غزة، ثم

---

* أ. **صفوت الزيات:** عميد ركن متقاعد، ومحلل عسكري استراتيجي- مصر.

إمعانا في الخداع أعلنت إسرائيل في اليوم التالي عن فتح المعابر الحدودية مع القطاع لعبور أرتال الإمدادات إلى داخله.

وهكذا، في منتصف نهار 27 كانون أول/ديسمبر 2008 شن الطيران الإسرائيلي أولى ضرباته الجوية الأكثر عنفا وكثافة وسط مدينة غزة مستهدفا خلال ما لا يزيد على (30) دقيقة (150) هدفا شملت مقرات حكومية ومنشآت بنية أساسية لحركة حماس ومواقع لإطلاق الصواريخ بعيدة المدى، وأبنية مدنية، ومساجد، بدعوى حيازتها لمخزونات أسلحة وذخائر تابعة للحركة في تكرار واضح لإستراتيجية "الصدمة والرعب" الأمريكية وإيذانا ببدء واحدة من أكثر الصراعات المسلحة وحشية ودموية دامت 23 يوما بكاملها أودت بحياة حوالي 1315 وإصابة حوالي 3500 من الفلسطينيين غالبيتهم من المدنيين الأطفال والنساء، وإتلاف وتدمير ما يزيد على 20.000 مبنى ومنشأة، كلي (4000-6000 مبنى) وجزئي (16 ألف مبنى)، وبتكاليف إجمالية قاربت ملياري دولار.

في هذه الورقة سنعرض لجوانب أساسية في هذه الحرب:

- طبيعة الحرب "الحرب غير المتماثلة".
- الاستعداد العسكري لأطراف الحرب.
- الأهداف السياسية لأطراف الحرب.
- التخطيط للعملية العسكرية "الرصاص المصبوب".
- تنفيذ العملية العسكرية "الرصاص المصبوب".
- إنهاء العملية العسكرية "الرصاص المصبوب" ومؤشرات عن المحصلة.

"الحرب غير المتماثلة"

إن الحرب التي دارت في غزة نوع من الحروب التي تدور بين عسكريات دول من جانب بقدراتها العسكرية التقليدية المتفوقة الحائزة للأسلحة المتطورة والتقنيات الحديثة وتكتيكات القتال المحترفة، وفي حالتنا هذه إسرائيل المالكة لأدوات الثورة الحديثة في

الشؤون العسكرية وجوهـرها نظـام الأنظمـة SYSTEM OF SYSTEMS، وبيـن أطـراف من غير الدولNON-STATE ACTORS ممثلة في حركات مقاومة مدعومة برصيد شعبي مؤسس على أبعاد إثنية أو ثقافية أو دينية أو إيديولوجية وحائزة لقدرات عسكرية متواضعة مع امتلاك قدرة عالية على توظيف أدوات العولمة الحديثة من نظم المعلومات والاتصالات والإعلام في صراعها مع الطرف الأول، وفي حالتنا هذه حركة حماس وباقي فصائل المقاومة الفلسطينية، والأمر الثابت من تحقيق التاريخ غلبة الطرف الأضعف غير الدولة.

يطلق على هذا النوع من الحروب مسمى الحروب غير المتماثلة " ASSYMETRIC WARFARE" باعتبار التباين الشديد بين أطرافها في القدرات القتالية وأساليب القتال واستراتيجيات الحرب المتبعة.

الطرف غير الدولة يدرك صعوبة النصر العسكري الحاسم بقدر ما يمكن إمكانية الانتصار السياسي عبر الاستهداف الدؤوب لعقلية صناع القرار السياسي للخصم (الدولة) بهدف إقناعهم أن أهدافهم السياسية من الحرب لن تحقق أو أن تكلفة تحقيقها تزيد بكثير عن المنفعة المدركة منها.

الطرف الأضعف سيتجنب إذاً نطاق التفوق التقليدي للخصم (أنظمة استخبارات ومراقبة واستطلاع - أسلحة متطورة- أساليب قتال تقليدي) وسيسعى للعمل أسفل وأعلى هذا النطاق.

في **الأسفل** عبر إدارة حرب عصابات مدينية داخل مناطق سكانية مأهولة يدرك فيها تفوقه في هذه البيئة المعروفة لديه، كما يدرك فيها ثقل وطأة الخسائر المدنية التي سيوقعها الخصم في تلك البيئة وانعكاساتها الإقليمية والدولية الهائلة.

في **الأعلى** سيركز على معركة سياسية تستهدف إرادة القتال لدى صناع القرار السياسي للخصم، والعمل على تآكل قاعدة دعمه الداخلية عبر كل من إطالة مدة الصراع وإيقاع منتظم للخسائر فيه وتوظيف جيد للإعلام بأدواته المختلفة.

الأهم أن عدم التماثلية لا تكمن فقط في القدرات القتالية وأساليب القتال والاستراتيجيات المعلنة، بل يكمن أيضا في أن قياسات النصر والهزيمة أيضا غير متماثلة، فالطرف الأقوى عليه تحقيق النصر وإلا يكون قد فشل، والطرف الأضعف عليه تحقيق البقاء عند خاتمة الصراع والاستمرار في إظهار قدرة القتال لتحقيق النجاح.

الاستعداد العسكري لأطراف الحرب

- **إســرائيــل**

يمكن إبراز أهم عناصر التهيؤ الإسرائيلي لـ"عملية الرصاص المصبوب" في الأبعاد الثلاثة التالية:

- **البعد التنظيمي:** أعادت القوات الإسرائيلية هيكلة نظام القيادة والتدريب والجاهزية العملياتية فور انتهاء حرب لبنان الثانية عام 2006، حيث استبعد التركيز على العمليات الشرطية منخفضة الحدة التي مارسها خلال السنوات 2000 - 2005 ضد الفلسطينيين، وركز على التدريبات والتمارين الواقعية على مستوى تشكيلات كبرى بحجم الفرق واستوعب دروس الحرب السابقة في حدود فاعلية القوة الجوية ومخاطر القتال البري والعمل على خطوط عمليات متعددة، وأعاد الاهتمام بتدريب القوات الاحتياطية ورفع كفاءتها القتالية.
- **البعد الاستخباراتي:** طور قائمة بأهداف الخصم على مدى سنوات عبر خرائط تصوير جوية متداخلة بتفاصيل عالية الدقة مدعومة باستخبارات بشرية فعالة مع إدامة تحديثها على أساس شبه آني، كما تعاونت القوات الإسرائيلية مع جهاز الأمن الداخلي SHIN BET لأول مرة لتعزيز تفاصيل قائمة أهداف الخصم اعتمادا على عناصر استخبارات بشرية (فلسطينية) واستخبارات فنية أخرى.
- **البعد الخداعي:** حققت مستوى عالياً من سرية التخطيط النسقي المستقل للعملية، وحظرت التغطية الإعلامية في منطقة العمليات، ومنعت وسائل الاتصال اللاسلكية الفردية، وأدارت عمليات خداع وتمويه سبق الإشارة إليها آنفا، وحددت توقيت بدء

العملية في يوم السبت الموافق لأحد أعيادها الدينية وفي منتصف نهاره واتخذت تشكيلات الطائرات المهاجمة مسار الطيران التجاري القادم من اتجاه البحر المتوسط.

- **حمــــــــاس**

لا تتوافر معلومات موثوقة عن الطرف الفلسطيني المقاوم- باعتبار طبيعة حركات التحرر الشعبية- وإن كان يمكن طرح أبعاد التهيؤ التالية في العام الأخير قبل الحرب:

- حيازة أنظمة صاروخية ذات مديات أطول منها صواريخ (MM122GRAD) القياسية ذات مدى 30كم، وأعلنت عنها بإطلاقها في 23 شباط/فبراير 2008 على مدينة عسقلان، والصواريخ (MM122GRAD) المعدلة الأكثر مدى حتى 43كم، والتي مثلت مفاجأة للطرف الإسرائيلي إبان الحرب.
- حيازة أنظمة صاروخية خفيفة مضادة للطائرات (7SA-) و(5HN-) كما حازت أنظمة صاروخية مضادة للدبابات منها القاذف الصاروخي المطور 29RPG-.
- تجهيز منطقة العمليات المتوقعة داخل وحول مدينة غزة وامتداداتها بتطوير شبكة أنفاق لأعمال المناورة بالقوات وإطلاق الصواريخ، وأعمال التلغيم وتنظيم الشراك الخداعية ومناطق العبوات المتفجرة المصنعة على محاور التقدم المتوقعة لآليات العدو.
- التوسع في التصنيع المحلى وتطويره لسلسلة صواريخ القسام بمدياتها المختلفة (آخرها الصاروخ قسام-3، ذي المدى 10-12كم).

الأهداف السياسية للحرب

- **الطرف الإسرائيلي**

حددت إسرائيل أهدافها الرئيسة في الآتي:

- إضعاف القدرة السياسية والعسكرية لحركة حماس.
- استعادة مستوى الردع الإسرائيلي.
- تغيير البيئة الأمنية في جنوب إسرائيل.

وهي في مجملها أهداف ملتبسة لا تتوافر لها قياسات كمية متعارف عليها، ويبدو أن القيادة السياسية الإسرائيلية ممثلة في الثلاثي أولمرت- ليفنى- باراك لم تكن على إجماع حول مدة العملية ولا للأولوية التي تعطى للعمل الدبلوماسي ولا للشروط التي عندها يمكن إنهاء القتال.

- **الطرف الفلسطيني**

حدد أهدافه الرئيسة في:

- وقف الحصار الدائم على القطاع منذ أكثر من عام ونصف 2007-2008.
- فتح المعابر الحدودية مع كل من مصر وإسرائيل.
- صد العدوان ومنعه من تحقيق أهدافه.
- المحافظة على الجبهة الداخلية.
- تحسين وضع حماس السياسي فلسطينيا وعربيا ودوليا.

وذلك مقابل وقف إطلاق الصواريخ على التجمعات السكانية الإسرائيلية في الجنوب.

التخطيط العسكري الإسرائيلي لعملية "الرصاص المصبوب"

عملت القيادة العسكرية الإسرائيلية في التخطيط للعملية على ضوء محددات ثلاثة فرضتها القيادة السياسية شملت تجنب احتلال مطول للأراضي الفلسطينية، والحد الأدنى للخسائر البشرية الإسرائيلية، إضافة إلى عدم خلق مستوى صراع يكون غير محتمل داخل إسرائيل أو يؤدى إلى أزمة دولية ممتدة وبخاصة مع الإدارة الأمريكية الجديدة.

ويمكن القول إن القيادة العسكرية وفرت خطة مرنة لم تشمل جداول زمنية صلدة أو خطوط مراحل جامدة بل تركت الأمر في ذلك إلى النتائج المحققة على الأرض والقرار السياسي للانتقال من مرحلة إلى أخرى، وقد شملت العملية مرحلتين أساسيتين:

- المرحلة الأولى: الحملة الجوية AIR CAMPAIGN

تعتمد فيها الاستخدام الموسع شبه المنفرد لسلاح الجو الإسرائيلي الذي يتمتع بحيازة

أحدث طائرات القتال وأنظمة الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع التي توفر وعيًا آنيا REAL TIME بالموقف التكتيكي للقادة والوحدات المقاتلة وصولا لمنصات الإطلاق SHOOTERS، إضافة إلى ذخائر توجيه دقيقة يمكن أن توفر قدرات قصف "جراحية" في المناطق المأهولة سكانيا، فضلا عن منظومة كاملة من الطائرات المسيرة لمهام المراقبة والاستطلاع والتهديف معا، وقد شملت قائمة أهداف القصف (603) أهداف رئيسة، وقدر لتنفيذ مهمة المرحلة حوالي 7 أيام.

- المرحلة الثانية: الحملة البر جوية AIR-LAND CAMPAIGN

تتولى تنفيذها الفرقة 162 المدرعة "فرقة غزة" مدعومة بفرقة أخرى في الاحتياط وبلواء مظلات وعناصر دعم أخرى بهدف استكمال تحقيق الأهداف الرئيسية الثلاثة بالتعاون مع القوات الجوية وعناصر من البحرية الإسرائيلية، حيث يتم العمل البري باستخدام 3 مجموعات كل منها بقوة لواء مدعم لتطويق مدينة غزة من الشمال والوسط والجنوب، وتأمين منطقة إطلاق الصواريخ الفلسطينية قرب الحدود الشمالية للقطاع وعزل معظم قوات فصائل المقاومة داخل مدينة غزة عن باقي القطاع.

وقد قدرت رئاسة الأركان الإسرائيلية ومعها القيادة العسكرية الجنوبية المسؤولة عن إدارة العملية مدة المرحلة بحوالي 7 - 10 أيام، حيث رأت أن الحرب عندئذ ربما تكون قد وصلت إلى نقطة الذروة التي بعدها ستبدأ في تقليص المكاسب المحققة وتراكم الآثار السلبية، باعتبار ما تفرضه التطورات على الأرض من وضع استاتيكي للقوات البرية الإسرائيلية، وتنامي قدرة حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية الأخرى على التكيف مع بيئة العمليات التي يكون قد انقضى منها حوالي أسبوعين كاملين.

ومن الملاحظ على هذه المرحلة أنها ارتبطت بالمحددات السياسية الثلاثة السابقة، رغم أن الحديث كان قد كثر عن وجود **مرحلتين أخريين،** إحداهما الاحتلال الكامل للقطاع وتدمير قوات حركة حماس، والأخرى هي تهيئة الأوضاع لإعادة إدخال السلطة الفلسطينية وقوات حركة فتح للقطاع مرة أخرى، إلا أن أسبابا عدة حالت دون ذلك رغم ما تردد من أن الأمر ظل مطروحا بقوة خلال الإعداد للعملية.

مراحل تنفيذ العملية العسكرية

- المرحلة الأولى: الحملة الجوية AIR CAMPAIGN

رغم أن سلاح الجو الإسرائيلي لم يصدر تفاصيل كاملة عن الجهد الجوي المنفذ خلال تلك المرحلة، فإن المتاح من بيانات ومعلومات تشير إلى أن سلاح الجو قصف (150) هدفا في اليوم الأول من الحملة، ثم (90) هدفا في اليوم التالي من الحملة، واستمر معدل التهديف في حدود (40-70) هدفا حتى نهاية هذه المرحلة التي استغرقت (7) أيام كاملة.

وهناك أقوال تشير إلى أن سلاح الجو الإسرائيلي استنفذ قائمة أهدافه الـ603 هدفا بكاملها في اليوم الرابع من بدء الحملة التي شملت مناطق مصنفة أنها مناطق نشر أنظمة الإطلاق الصاروخية المجهزة، ومنشآت تخزين الأسلحة والذخائر، والتصنيع، ومناطق تواجد الأنفاق والملاجئ، ومقرات حركة حماس ومنازل القادة والمسئولين فيها، إضافة إلى القصف العميق للأنفاق المنتشرة على طول الحدود بين غزة ومصر فيما يعرف بمحور فيلادلفيا.

ورغم ما نشر من أرقام في بيانات إسرائيلية عن عدد القتلى في صفوف حركة حماس (حوالي 450 مقاتلا) والأهداف التي قصفت، فإن عددا من كبار الضباط الإسرائيليين أشاروا إلى أن حركة حماس ظلت سليمة إلى حد كبير في قدراتها العسكرية باعتبار القوة البشرية لمقاتليها والتي قدروها بـ(6.000 - 10.000) مقاتل مؤهل بخلاف ضعف هذه الأرقام من المتطوعين المؤقتين، وكذلك باعتبار القدرة المتواصلة على الاطلاقات الصاروخية تجاه التجمعات السكانية الإسرائيلية في الجنوب والتي زادت عن 500 صاروخ، ويشير الضباط الإسرائيليون إلى نجاح حركة حماس في سرعة إعادة نشر وإخفاء الكثير من الأسلحة والذخائر تحت القصف الإسرائيلي، ويبدو في المحصلة أن القيادة السياسية الإسرائيلية واجهت معضلة استراتيجية في نهاية هذه المرحلة، حيث وضح أنه رغم الزعم بالمكاسب التكتيكية التي تحققت على الأرض من تدمير لكثير من القدرات العسكرية لحركة حماس حسب الادعاءات الإسرائيلية الإعلامية، إلا أن الأخيرة لم تبد أي

قدر من التنازل عن شروطها لوقف إطلاق النار، وكأن الأمر عاد لذات المواقف التي كان عليها الطرفان قبل شن الحرب.

- المرحلة الثانية: الحملة البرجوية AIR - LAND PHASE

نفذت القوات البرية الإسرائيلية عملياتها على مستوى مجموعات الألوية وليس على مستوى الفرق كما كان في السابق، وقد قامت بتطويق مدينة غزة من الشمال والوسط والجنوب، بينما اندفعت تجاه الساحل جنوب المدينة لعزلها والنطاق الشمالي عن بقية قطاع غزة، وقد اعتمدت هذه القوات النيران البعيدة الكثيفة التي وفرتها وحدات المدفعية على المستوى الأفقي والقوات الجوية على المستوى الرأسي في إزالة الشراك الخداعية، وتطهير المناطق الهامشية المحيطة بمدينة غزة، تجنبا لوقوع اشتباكات متلاحمة مع عناصر المقاومة قد تؤدي إلى خسائر بشرية عالية في صفوف القوات الإسرائيلية، كما توسعت هذه القوات في العمليات الليلية لشل قدرة المقاومة في عمليات رد الفعل السريع، وبرز استخدامها الموسع للبلدوزرات المدرعة- 9D على نحو خاص لفتح ممرات تقدم غير متوقعة عبر تجريف الأبنية تجنبا لطرق التقدم المعتادة التي بث فيها المقاومة الفلسطينية شبكات كثيفة من العبوات المتفجرة، ويبدو أن السمة السائدة كانت العمليات الهامشية بعد إتمام تطويق مدينة غزة، مع تنفيذ اختراقات سريعة ومحسوبة إلى داخل الأحياء الإطارية، بينما أحجمت حماس عن العمل في المناطق الهامشية المفتوحة، وتجنبت الاشتباكات المباشرة تحسبا للمواجهات المرتقبة داخل المناطق ذات الكثافة السكانية، وهو الأمر الذي أحجمت عنه القوات الإسرائيلية في المقابل.

وفي نفس الوقت استمرت فيه العمليات الجوية لدعم عمليات القوات البرية إضافة إلى مطاردة منصات الإطلاق الصاروخية التي استمرت في إطلاقاتها تجاه التجمعات السكانية الإسرائيلية في الجنوب.

ويمكن القول إن هذه المرحلة قد وفرت مكاسب تكتيكية للطرف الإسرائيلي شملت:

- تطويق مدينة غزة وعزلها عن بقية القطاع بمن فيها من عناصر قوات المقاومة الفلسطينية.

- تأمين الطرق الرئيسة في وسط القطاع وشماله.
- إدامة ضغط ثابت على قوات المقاومة الفلسطينية ومحاولة إنزال خسائر في قواتها وبنيتها الأساسية.
- عمل بعض الاختراقات المحدودة إلى داخل الأحياء الإطارية لمدينة غزة.

نفذت المرحلة البر- جو على مدار 16 يوما وانتهت بإعلان إسرائيل لوقف نار أحادي من جانبها، يبدأ سريانه اعتبارا من الساعة 02.00 صباح 18 كانون أول/يناير 2009.

ويبدو نجاح الطرف الإسرائيلي في الحفاظ على **معدل خسائره البشرية في حده الأدنى**، حيث تكبد حسب بياناته 10 جنود قتلى وعدة عشرات من الجنود المصابين، بينما بلغت خسائره في المدنيين (4) قتلى و (84) مصابا جراء الهجمات الصاروخية للمقاومة، وهي أرقام غير واقعية في حديثه عن حجم الهجمات الصاروخية للمقاومة كما ونوعا، وربما يعزو هذا النجاح إلى عاملي استخدام النيران الكثيفة البعيدة الرأسية والأفقية معًا وإلى تجنب الاشتباك المتلاحم مع عناصر المقاومة الفلسطينية بالامتناع عن الدخول إلى قلب المناطق السكانية الكثيفة في مدينة غزة وبقية مدن القطاع.

على جانب حماس فالتقديرات الإسرائيلية تعترف بأنها **خرجت من هذه المرحلة ومن الحرب عمومًا بقدرات عسكرية سليمة إلى حد كبير** باعتبار:

- محدودية الخسائر البشرية في صفوف مقاتليها، فتقديرات القوات الإسرائيلية تشير إلى خسارتها لحوالي (600) مقاتل وهى نسبة بسيطة مقارنة بقوة تصل في تعدادها إلى حوالي (10.000) مقاتل، بينما تقدر حركة حماس أن خسائرها لم تتجاوز (48) مقاتلا فقط.
- توافر رصيد من القدرة الصاروخية لدى الحركة توفر لها الاشتباك على مستوى معتدل في المستقبل، فالبيانات الإسرائيلية تزعم بأن الحركة أطلقت حوالي (600) صاروخ، ودُمر لها حوالي (1.200) صاروخ وأن المتبقي لديها من رصيد يصل إلى

حوالي (1.200) صاروخ، ويزعم خبراء إسرائيليون أن الحركة قد استأنفت الحصول على إمدادات من الخارج لهذه الأنظمة مباشرة فور توقف القتال، رغم عدم وضوح حقيقة تدمير أي صواريخ أو مخازنها أو منصاتها، باستثناء ما تدعيه إسرائيل بلا أدلة على الأرض.

- أن حركة حماس التي بدأت الحرب دون خبرة قتال يتوافر لديها الآن خبرات قتال عالية اكتسبتها من واقع المواجهة مع آلة عسكرية تقليدية متقدمة بصورة كبيرة.
- أن حركة حماس أصبحت تتوافر على وعاء تجنيدي غير مسبوق بحكم حالة الغضب الشعبي الناجم عن العنف الإسرائيلي وجرائم الحرب التي ارتكبتها إسرائيل إبان هذه الحرب.

وهو الأمر الذي أشار إليه الاستراتيجي الأمريكي الشهير أنتونى كوردسمان ANTHONY H. CORDESMAN في دراسة حديثة له عن الحرب بقوله:**"لا خبير إسرائيليا واحدا يشعر بأن حماس قد أعيقت من هذه الحرب، أو خسرت كل إمكانياتها التصنيعية، أو أن لديها نقصا في الأسلحة والذخائر، أو أنها استنفدت ما لديها من الصواريخ والهاونات"**.

إنهاء العملية العسكرية ونتائجها العسكرية

أعلنت إسرائيل في 17 يناير 2009 وقفاً أحادياً من جانبها لإطلاق النار اعتباراً من الساعة 2:00 صباح اليوم التالي 18 يناير 2009، وفي الوقت الذي أعلن فيه رئيس الوزراء إيهود أولمرت أن "أهداف العملية تحققت بالكامل"، فإن ثمة ما يشير إلى أن الأمر لم يكن كذلك، ليس فقط لأن الأهداف السياسية لهذه الحرب قد وضعت بصورة غامضة ملتبسة، ولكن لأن الأوضاع أيضا على الأرض لم تكن تدعم بأي حال أي نتيجة محققة سوى أن **الإنهاء الإسرائيلي جاء متزامنا مع نتائج غير حاسمة تؤشر لفشل إسرائيل** في إنجاز قدر ملموس في أي من أهدافها السياسية التي قدرتها لشن هذه الحرب:

— فالقدرة العسكرية لحركة حماس وباعتراف القادة والخبراء الإسرائيليين ما زالت

على قدر كبير من الفاعلية، وكذلك الموارد المادية رغم الإقرار بتعرضها لخسائر بشرية ومادية كبيرة على أي حال.

– كما أن القدرة السياسية لحركة حماس واستمرار قبضتها على السلطة في القطاع أعلنت عن نفسها منذ الساعات الأولى التي تلت الوقف الأحادي للنار من الجانب الإسرائيلي.

– ثم إن مستويات الردع الإسرائيلي التي تزعم اسرائيل أنها استعادتها ما زال مشكوكا في صحتها، حيث أن إرجاء حركة حماس لوقف النار من جانبها واستمرارها في إطلاق الصواريخ والهاونات لفترة ما بعد التوقف الإسرائيلي لإطلاق النار، واستئناف الحركة لإمداداتها من الذخائر والسلاح، إضافة إلى ضعف أثر الرسائل التي سعت إسرائيل من خلال هذه العملية لإرسالها لأطراف إقليمية أخرى كحزب اللـه وسوريا وإيران تبدو جميعها مؤشرات قوية على الشك في مسألة الردع.

– ثم إن إنهاء العمليات العسكرية جاء في وقت لم تحسم فيه مسألة البيئة الأمنية الجديدة في الجنوب الإسرائيلي، بل إن الأمر ما زال مرهونا بترتيبات تهدئة وتحركات دبلوماسية إقليمية ودولية متباطئة تؤشر إلى أن محصلة هذه الحرب لم تكن حاضرة على موائد المفاوضات والمباحثات الجارية.

مرة أخرى، ها هي إسرائيل وخلال عامين ونصف العام تنهى حربا ثانية على حدودها دون نتائج واضحة ولكن بأرض محروقة، ثم إنها تنهى حربا على الخارج لتبدأ معها حروبا في الداخل حول معالم الفشل الواضح في هذه الحرب، الأمر الذي يتطلب ليس فقط الإنصات بشدة لهذه الحروب ولكن الإمعان في ملامح المعضلات الوجودية للدولة الإسرائيلية ذاتها.

الورقة الرابعة

أنماط إدارة المعركة والتحول في الأهداف

أمين حطيط*

مقدمة

في توقيت انتقالي حرج وفي الأسبوع الأخير من عام 2008 شنت إسرائيل عدوانا واسع النطاق على قطاع غزة الذي كانت قد انسحبت منه في العام 2005، وعللت حربها بأسباب شتى لم تثبت على واحد منها، بل كانت تتدحرج الأهداف مع شمس كل يوم تطلع على القوات الإسرائيلية في الجو والبر والبحر وهي تمعن في القتل والتدمير في القطاع، واستمر العدوان لمدة 22 يوماً استعملت فيها إسرائيل شتى أنواع الأسلحة ولجأت إلى مختلف الأساليب النارية والميدانية تبدل خطة وتعدل أخرى إلى أن اضطرت إلى اتخاذ قرار بوقف إطلاق النار من جانب واحد عملت به في 2009/1/18، وعندها طرحت الأسئلة: هل حقق العدوان أهدافه؟ ولكن وقبل ذلك لا بد من السؤال لماذا كان هذا العدوان أصلا؟ وما هي الأهداف الحقيقية التي سعت إسرائيل إليها؟ وكيف أدارت معركتها فيه وكيف واجهتها المقاومة.

أسئلة تطرح وسنحاول الإجابة عليها في هذه الورقة بعد تمهيد لها بعرض ما كان قائماً قبل العدوان وكيف تم التحضير له قبل انطلاقه.

استعدادات ما قبل الحرب: التهدئة والحصار

أدركت حركة المقاومة الفلسطينية الإسلامية "حماس" أن هناك خطة تستهدفها في غزة تنفيذاً لخطة دايتون الأمنية، فاستبقت المخططين بعمل أمني سريع في حزيران/يونيو من العام 2007 أدى إلى إمساكها منفردة بزمام القطاع وطرد ممثلي السلطة الفلسطينية منه، والاستئثار بإدارة القطاع عبر الحكومة التي كانت انبثقت عن الانتخابات النيابية، وأعطت لحركة حماس أكثرية برلمانية مكنتها من الحكم، وكان في ذلك تحول سياسي وأمني

---

* **د. أمين حطيط:** عميد ركن، وباحث عسكري واستراتيجي- لبنان.

في قطاع غزة رفضته السلطة الفلسطينية المركزية في رام الـلـه واعتبرته انقلاباً على الشرعية حيث أقدم رئيسها محمود عباس على إقالة حكومة حماس برئاسة إسماعيل هنية وعين بدلاً منها حكومة لتصريف الأعمال دون أن يعرضها على المجلس التشريعي بسبب خشيته من سقوطها، حيث إن الأكثرية النيابية هناك هي لحركة حماس، وهكذا نشأت حكومتان فلسطينيتان تتنازعان الشرعية، واحدة مقالة ويدعمها البرلمان وتمارس السلطة في قطاع غزة، وأخرى معينة بعيداً عن ثقة البرلمان وتمارس السلطة في الضفة الغربية.

تمسكت حكومة حماس في غزة بموقفها من إسرائيل رافضة الاعتراف بها ومعتبرة المقاومة نهجا استراتيجيا لتحقيق الأهداف الوطنية في التحرر وتنفيذ حق العودة للاجئين، وبعد أسابيع قليلة على قيام هذا الوضع المستجد للمرة الأولى منذ 1967م، أي ظهور منطقة فلسطينية تديرها سلطة ترفض الاعتراف بإسرائيل، بدأت المناوشات وأعمال المقاومة المنطلقة من غزة، وبخاصة اللجوء إلى الصواريخ رداً على الاعتداءات الإسرائيلية على القطاع، وتفاقمت العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد هذا القطاع إلى الحد الذي أعلنت فيه إسرائيل في شباط/فبراير 2008 عن النية بأحداث "محرقة غزة"والتخلص من المقاومة، ولكن ولدى المحاولة فشلت إسرائيل في تنفيذ رغبتها ولاسيما بعد أن وقفت على القدرات الفلسطينية من حيث امتلاك صواريخ أرض- أرض تستطيع أن تصل إلى مسافة تتعدى 25كم في عمق إسرائيل، كما أن مقاتلي المقاومة أبدوا في المواجهة المباشرة مع القوات البرية الإسرائيلية بأسا وقوة وحسن تدريب وتنظيم حمل القيادة الإسرائيلية على إعادة النظر بالأمر الذي قادها إلى السعي لفترة تهدئة مع حركة حماس لمدة ستة أشهر تنتهي في 2008/12/19، فترة كانت تحتاجها إسرائيل لتقييم الموقف الذي استطلعته وسبرت أغواره في عملية الشتاء، وكانت تحتاجها المقاومة لإعداد نفسها لمواجهة لا بد قادمة لان إسرائيل والمنظومة العربية الدولية التي تهتم بالشأن أظهرت رفضها لاستمرار واقع استفراد حركة حماس بحكم القطاع غير منصاعة لأمر رئيس السلطة الذي يعمل لتنفيذ مشروع التسوية الموضوع من قبل أميركا وتديره اللجنة الرباعية الدولية، ونعتقد أن الطرفين كانا على يقين بأن التهدئة هي فترة انتقالية،

والأصح هي فترة ما قبل الحرب "الحاسمة"، حسم تريده إسرائيل لأكثر من سبب وعلة، ولا تستطيع تأجيله لأبعد من العام 2008.

وبالفعل بدأت إسرائيل ومنذ اللحظة الأولى للتهدئة بالعمل على جمع المعلومات ووضع الخطط المناسبة للموقف، ثم اتجهت إلى تدريب جنود النخبة لديها لتعالج الأمر في أقصر وقت ممكن وبأقل الخسائر أيضا، وحتى تيسر على نفسها مواجهات تنتظرها في الحرب القادمة تذرعت ببعض عمليات المقاومة وأغلقت القطاع في حصار محكم حيث سدت كل المعابر التي تربطها به، وساعدتها مصر في إغلاق معبر رفح تحت ذريعة عدم السماح لحماس بإنشاء حكم انفصالي وتجزئة أو تقسيم الأرض المحتلة، لقد توقعت إسرائيل من الحصار إن يضعف قدرات المقاومة في عمليات التسلح والتموين ما يسهل عليها، عندما تقرر الهجوم، أمر تحقيق أهدافها، وبأقل خسائر ممكنة في مواجهة عدو مستنفد ضعيف خائر القوى.

عندما انتهت فترة التهدئة كانت إسرائيل قد أكملت استعداداتها للإجهاز على المقاومة في غزة، وكانت قد نفذت قبل ذلك بشهرين مناورة أخيرة في صحراء النقب ضمن بيئة جغرافية أعدتها خصيصاً لذلك لتكون شبيهة بقطاع غزة، كما أنها كانت قد أجرت"مناورة الجبهة الداخلية"، ومناورة "شبك الأذرع" أي بكلمة موجزة كانت قد عالجت وفقاً لما صدر عن قادتها العسكريين ووزير حربها كل الثغرات التي أظهرتها "حرب لبنان الثانية" بالتسمية الإسرائيلية 2006، إضافة إلى ذلك كانت قد فرغت من رصد وتحديد كل الأهداف الإستراتيجية والتكتيكية العملية في غزة بحيث إنها انتهت إلى تجهيز"بنك أهداف" من نيف و300 هدفاً فلسطينياً في القطاع.

أما المقاومة الفلسطينية في غزة وفي مقدمتها حركة حماس فقد كانت على ثقة أن إسرائيل تسعى لحرب تحتاجها لاعتبارات عسكرية ذاتية وسياسية داخلية وإقليمية عربية ودولية عامة، لهذا كان عليها أن تستعد لذلك، وبالفعل حضّرت أرض معركتها بما تيسر لها من قدرات وصنعت ما تقدر على إنتاجه من الصواريخ، واستقدمت من الخارج ما تستطيع إدخاله من السلاح والذخيرة والتجهيزات عبر أنفاق حفرتها لتتغلب على

الحصار المفروض عليها والرقابة المشددة التي اعتمدت على معبر رفح وفقاً لاتفاق عقد عام 2005 بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية يمنع إدخال أي سلاح إلى القطاع، كما أنها استفادت من نموذج المقاومة اللبنانية التي نظمها حزب الـلـه جنوب لبنان، لا سيما أداء هذه المقاومة في حرب تموز/يوليو 2006، والتي انتهت إلى منع إسرائيل من تحقيق أهدافها من العدوان، وإلى هزيمة إسرائيلية أدخلت إسرائيل في مآزق سياسية وعسكرية لا زالت تتخبط في تداعياتها.

وكان الأسبوع الأخير من العام 2008 وقتاً مثالياً بالنسبة لإسرائيل لتشن حربها وفقاً لما خططت، وتحقيقا للأهداف التي وضعت، نقول "مثالية"لأنها فترة تقع ما بين عيدي الميلاد ورأس السنة لدى العالم، وما فيهما من تعطيل دولي شبه عام، وتسبق الانتخابات الإسرائيلية بستة أسابيع، وتأتي قبل انتهاء الولاية القانونية لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس بأسبوعين، وتسبق تسلم الرئيس الأميركي الجديد باراك أوباما لمسؤولياته في الحكم بأربعة أسابيع، وهي مثالية لأن إسرائيل تستطيع أن تنفلت من أي ضغط دولي كما ظنت، ومهما كان مصدره، وتستطيع في حال النجاح أن تضع الجميع أمام أمر واقع جديد يوافقها ولا يمكن لأحد أن يقفز فوقه، لهذا انطلقت لحربها وفقاً لخطة أعدت ولأهداف وضعت، فواجهتها المقاومة بما تيسر؟ فكيف كان القتال والنتيجة؟

أولا: الحرب الإسرائيلية: الخطة، المضمون، النتائج

انطلقت صبيحة يوم 2009/12/27، 32 طائرة حربية إسرائيلية لتغير،وفي لحظة واحدة ،على أهداف في قطاع غزة، وكان ذلك إيذانا ببدء الحرب، وترافق الهجوم مع تصريح لتسيبي ليفني وزيرة الخارجية الإسرائيلية قالت فيه:"نريد أن نغير الواقع في غزة"، وأعقبها وزير الحرب الإسرائيلي إيهود باراك بالقول: "يجب أن ننهي التهديد الإرهابي القائم في غزة وبشكل نهائي، ونحقق الأمن لجنوبي إسرائيل"، أما أولمرت الذي لا زال يعيش مرارة حرب تموز/ يوليو 2006 ونتائجها عليه فقد قال:" نعول على تماسك الجبهة الداخلية، وننفذ ما يحقق الأهداف الإسرائيلية، لا سيما الأمن لجنوب إسرائيل، وإن المهمة ستستغرق وقتا طويلا"، كانت هذه المواقف العلنية الأولية لثلاثي

السلطة المسؤول عن إدارة الحرب، ورغم اقتضابها غير أنها كانت كافية للدلالة على ما تريده إسرائيل، ثم كان السلوك في الميدان واضحاً في تحديد الخطة الأولية للحرب فكيف كان ذلك؟

اعتمدت إسرائيل لحربها خطة مركبة **تهدف إلى صنع نصر في الميدان بقوة النار والحديد**، وتقوم على مرحلتين عسكريتين، الأولى: جوية وقد نفذت، والثانية: برية لم يستكمل تنفيذها، أما الثالثة فقد كانت مرحلة أمنية- سياسية رهن تنفيذها بنجاح العملية العسكرية بمرحلتيها، لهذا صرف النظر عنها عندما أخفقت العملية العسكرية وعجزت عن بلوغ أهدافها، وفي التنفيذ الميداني يمكن التفصيل كما يلي:

أ. المرحلة العسكرية الأولى: المرحلة الجوية

وهي"مرحلة السحق والتدمير"، وتقضي بأن يدمر الطيران الإسرائيلي وبشكل مفاجئ جميع الأهداف المحضرة ضمن ما يسمى"بنك الأهداف"، هذه الأهداف التي ذكر باراك نفسه بأنه استغل فترة التهدئة لتمحيص ودراسة الواقع الميداني في غزة بدقة وصولاً إلى تحديدها بحيث ينتج عن تدميرها تحقيق الأهداف التالية:

- قطع رأس المقاومة، والإجهاز على منظومة القيادة والسيطرة لديها.
- تقطيع أوصال المقاومة وتشتيت أشلائها.
- عزل مواقع المقاومة وخلاياها ومنع أي إمكانية للتواصل بينها.
- الإجهاز على البنية التحتية واللوجستية للمقاومة بما في ذلك مخازن الأسلحة والذخائر والصواريخ.
- تدمير مخازن الأسلحة ومنصات الصواريخ، ومصانع الذخيرة والمتفجرات.
- قتل ما أمكن من قيادات المقاومة ومن المقاومين.
- إضافة إلى ذلك، ضرب البنية الإدارية لسلطة حماس بما يؤدي إلى منعها من الاستمرار في السيطرة على القطاع فيفتح الطريق أمام تغيير الوضع فيه.

وقد عوَّلت إسرائيل على نجاح المرحلة الجوية لتحقيق الأهداف المتوخاة منها لأن

نجاحها كان شرطاً لا بد منه لتنفيذ المرحلة الثانية من العملية (العملية البرية) في حدود ما رسم لها.

لقد نفذت المرحلة الجوية خلال **الأيام الثلاثة الأولى وفق ما خطط** لها، وتمكنت إسرائيل من معالجة جميع الأهداف التي أعدت في "بنك الأهداف" وأدى ذلك إلى قتل 320 شخصاً وإصابة 1250 آخرين بجروح، ولكن المقاومة استطاعت في اليوم الثالث أن تمطر إسرائيل بـ 42 صاروخاً متفاوتة المدى، وصل بعضها إلى مسافة 30كم، وهنا كان الذهول الإسرائيلي لسببين، الأول: يتعلق بقدرة المقاومة على استيعاب الضربة الجوية التي أرادتها إسرائيل أن تكون مفاجأة استراتيجية تقود المقاومة إلى الانهيار الميداني بتجريدها من وسائل القتال الأساسية، أو تقودها إلى الانهيار الإدراكي بأن تزرع في ذهن قيادتها هول المواجهة وجسامة الخسائر فترفع الراية البيضاء، وعلى أرض الواقع لم يحصل هذا ولا ذاك.

وكان التعديل الأول للخطة متمثلاً في تمديد المرحلة الجوية لأيام مماثلة على الأقل للاستمرار في معالجة الأهداف السابقة، والتعامل مع أهداف جديدة ظهرت في الميدان من خلال المراقبة لردة فعل المقاومة أو مراقبة حركة السكان والتجمعات السكانية.

أثناء الفترة الإضافية أو القسم المعدل من المرحلة الجوية بات واضحاً أن إسرائيل ستركز أكثر على المدنيين بعد أن ظهر عجزها عن تحديد أهداف المقاومة التي يكون تدميرها مؤثراً على سير المعركة لاحقاً، وهكذا **اعتمد أسلوب المجازر والتدمير** لأهداف غير عسكرية مباشرة أدخلت في دائرة النار الإسرائيلية بشكل يتقدم على الأهداف العسكرية ذاتها التي تبين أن إسرائيل لا تملك الكثير من المعلومات حولها، وقد أرادت إسرائيل في الخطة المعدلة أن تستعمل المدنيين أداة ضغط على المقاومة لتحملها على الاستسلام أو على الأقل لتتخلى عن تأييدها لها فتعزلها في المواجهة.

وبعد **خمسة أيام إضافية** من العمل الجوي المكثف استعملت فيها أكثر من 60 طائرة حربية معظمها من طراز ف16 وقصف فيها أكثر من 420 هدفاً في كامل القطاع، وقتل فيها أكثر من 630 فلسطينياً نصفهم أطفال ونساء وشيوخ وجرح أكثر من 2340 آخرين

تصورت إسرائيل أن الطريق بات مفتوحاً إلى تنفيذ المرحلة العسكرية الثانية وفقاً للخطة المرسومة رغم التأخر في انطلاقتها لمدة تتراوح بين 3-5 أيام، ولكن التصور هذا لم يكن في محله الواقعي إذ إن صواريخ المقاومة استمرت في التساقط على المناطق المحيطة بقطاع غزة حيث ألزم المستعمرون الصهاينة بملازمة الملاجئ وتوقيف الدراسة في المدارس في دائرة يصل شعاعها إلى 40كم بعيداً عن القطاع، أما سياسياً فقد استمرت لهجة قيادة المقاومة داخل القطاع وخارجه على نبرتها العالية إصراراً منها على التمسك بالحقوق والمطالبة بفك الحصار بعد وقف إطلاق النار وفتح المعابر كلها، سلوك أكد للإسرائيليين بأن العملية الجوية لم تحقق أهدافها، وأن الانهيار الذي تدفع المقاومة للوقوع فيه لم يحصل والنتيجة جاءت فشلا في المرحلة الأولى.

ب. المرحلة العسكرية الثانية: المرحلة البرية: مرحلة "الاحتلال والتطهير"

حشدت إسرائيل لهذا الأمر خمسة ألوية من الوحدات الخاصة، ألوية النخبة، أمثال لواء غولاني وجيفعاتي، وحضّرت لتعزيزها فرقة مشاة آلية كقوات لاحقة، إضافة إلى مجموعات الدعم والإسناد المدفعي واللوجستي والهندسي وأسراب طائرات الهليكوبتر المقاتلة وطبعاً مع استمرار الطيران الحربي النفاث بالعمل في مختلف أرجاء القطاع، لقد خصصت إسرائيل لعمليتها البرية قوى يصل مجموعها إلى 26 ألفا، أما أهداف العملية هذه فقد بدا أنها تتمثل في:

- احتلال الأماكن غير المبنية من القطاع في قفزة أولى، بما يؤدي إلى تجزئته مربعات ومناطق معزولة بعضها عن بعض.
- ثم محاصرة الأماكن السكنية والتضييق عليها بشكل متدرج.
- ثم التقدم إليها عبر عمليات قضم تحدد ظروف المعركة طول الوثبة فيها، وصولاً إلى إسقاط القطاع مع تجنب القتال الضاري في الأماكن المبنية.

وكان هاجس الخسائر البشرية في صفوف الجيش الإسرائيلي جراء القتال في الأماكن المبنية وحرب الشوارع مسيطراً على فكر واضعي خطة الهجوم تلك وذهنهم، لذلك كان الحذر واضحاً أثناء التنفيذ.

ومساء السبت 2009/1/3، أي بعد ثمانية أيام من القصف التدميري المتواصل، تحركت الآليات العسكرية الإسرائيلية باتجاه القطاع معلنة بدء العملية البرية، وكان التقدم أولا في شمال القطاع وعلى محاور ثلاثة من شمال القطاع وشرقه، وبدا أن الخطة قضت بعزل مدينة غزة ومخيمات جباليا وبيت حانون، وعملت على هذه الواجهة ألوية ثلاثة تقدمت بحذر شديد في أرض مكشوفة لا تصلح لقتال العصابات، ومع ذلك سجلت مواجهات أوقعت في الإسرائيليين بعض الخسائر، لكن الأقسى بالنسبة لإسرائيل هو إصابة بعض جنودها بنيران "قوى صديقة" على حد ما جاء في البيانات الإسرائيلية وفي ذلك أولى الدلالات على احد أمرين أو على الأمرين معاً:

- ضعف التنسيق بين الأسلحة، (وهذا ما كانت لجنة فينوغراد أشارت له)
- ارتباك وخوف في صفوف المقاتلين وهذا ما ينذر بمخاطر بالغة لانعكاسه على معنويات الجنود واستعدادهم لمعارك الالتحام.

لقد استهلكت القوات البرية المتقدمة في القطاع مدة 48 ساعة من أجل محاصرة مدن شمال القطاع ومخيماته، واستعدت لتنفيذ القصد من العملية ذاتها أي البدء بالقضم والاحتلال للسيطرة المتدرجة.

ولكن عندما دقت ساعة الحقيقة ليل 5 -6 كانون الثاني/يناير 2009 وحاولت القوات الإسرائيلية التقدم باتجاه غزة وجباليا كانت المواجهة الفعلية الكبرى مع المقاومين الذين حضروا دفاعاتهم على مشارف الأماكن المبنية وفي داخلها، وتعاملوا بشجاعة وجسارة ورباطة جأش مع القوات المتقدمة ما أمكنهم من إيقاع 42 إصابة في صفوفهم وأسر جندي إسرائيلي، (قتل بقصف إسرائيلي أباد الخلية المقاومة التي أسرته)، هذه النتائج حددت مسارا جديدا للعملية العسكرية برمتها، وفرضت تعديل الخطة الأساسية بشكل جذري، والعمل بخطة بديلة سنعرض لها أدناه، ولكن قبل ذلك لا بد من تسجيل ملاحظات أساسية على الخطة الأولى أهدافا ونتائج.

ج ـ مصير الخطة الأساسية ونتائجها

لم تحقق الخطة العسكرية الإسرائيلية أهدافها الرئيسية التي انطلقت من أجلها والتي تتلخص كما ذكرنا بتمكين قوات الاحتلال من السيطرة على القطاع لتغيير الواقع فيه، وكان إخفاقها كما بدا من الأداء وسجل في الميدان عائدا في جانب منه إلى طبيعة عمل المقاومة وتفاعلها مع شعبها (نعالجه لاحقا)، وفي جانب آخر عائدا إلى الأداء الإسرائيلي قبل وبعد العملية يذكر فيه النقاط التالية:

- **فشل استخباري في تحديد الأهداف** المؤثرة على عمل المقاومة وعلى قدراتها التقريرية، ما جعل الضربة الجوية عاجزة عن شل المقاومة وحال دون إسكات الصواريخ، ولا يغير في واقع الأمر ما تبين من وجود عملاء محليين ساعدوا القوات الإسرائيلية في الدلالة على بعض الأهداف أو أرشدوها إلى بعض الكمائن التي أعدت لهم فتجنبوا الوقوع فيها على حد ما صرح به بعض الضباط الإسرائيليين ونشره الإعلام الإسرائيلي بعد أسبوعين من توقف إطلاق النار (تصريح قائد قوات المظليين إلى القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي في 2009/2/8).
- **فشل استخباري في معرفة مدى الترابط بين الشعب والمقاومة،** حيث إن كل المجازر لم تستطع إيجاد شرخ بين القيادة والقاعدة، ولم يرتفع صوت سجله الإعلام ينحو باللائمة على المقاومة وقيادتها، بل العكس هو ما حصل.
- **إخفاق إسرائيلي في معالجة معضلة التنسيق بين الأسلحة،** وهذا أمر تكرر للمرة الثانية بعد الحرب على لبنان عام 2006، حيث تبين وباعتراف إسرائيلي فوضى في أكثر من موقع ميداني وفي غير عملية نارية أدت إلى قتل جنود صهاينة بنيران صديقة.
- **قصور في مستوى التدريب والشحن المعنوي للجنود** ما تسبب في التردد في خوض معارك الالتحام، مما أدى إلى خسائر لم يكن يتوقع حجمها في الساعات الأولى لتنفيذ العملية البرية الفعلية.

- **عدم تقدير واقعي للوقت اللازم لإنجاز العملية** وفقاً لما هو مطلوب، ولما هو متوفر من إمكانات وقدرات أو بصورة أدق القدرة العسكرية المعدة للتنفيذ.

وبنتيجة ذلك اقتنعت القيادة العسكرية الإسرائيلية، ورغم تبجحها بإنجازات الجيش في الميدان بأن عمليتها المسماة "الرصاص المتدفق" لن تحقق أهدافها الأساسية، وجاء تصريح قائد المنطقة الجنوبية المسؤول الميداني المباشر عن التنفيذ ليقطع الطريق على أي تفكير أو أي احتمال في متابعة العملية حيث قال:"إن احتلال القطاع بالدخول إلى المناطق السكنية والسيطرة عليها كلياً يستلزم سنة كاملة"، وكان ذلك بمثابة النعي النهائي للعملية العسكرية الإسرائيلية في خطتها الأساسية وعلى أساس الأهداف الحقيقية التي انطلقت من أجلها، وبات أكيدا أن الواقع في القطاع لن يتغير، وهنا واجهت إسرائيل السؤال الكبير: كيف الخروج من المأزق؟.

د ـ الخطة العسكرية البديلة: مضمون وأهداف

حتى تجيب على السؤال الذي فرضه الموقف الميداني، وعملاً بالقواعد العامة للتخطيط العسكري، ونظراً لعدم إمكانية اللجوء إلى قدرات عسكرية جديدة بعد أن استنفدت إسرائيل كل ما تملك من وسائل قابلة للاستعمال العسكري الميداني في الظروف القائمة، كان لا بد من التراجع في الأهداف أولا، وتغيير نمط العمل العسكري ثانياً، وهذا ما لجأت إليه القيادة السياسية وتبعتها فيه القيادة العسكرية.

أ. التراجع في الأهداف، أو تدحرج كتلة الأهداف إلى الخلف

كان واضحاً للمراقب أن القيادة الإسرائيلية في مستوييها السياسي والعسكري عملت تحت تأثير تقرير لجنة فينوغراد التي أجرت تحقيقاً حول إخفاقات "حرب لبنان الثانية"وبخاصة في مجال التخطيط وتطوير الخطط، وما ذكرته اللجنة من"تخلف القدرات الإبداعية في الجيش لوضع خطط جديدة تناسب ظروف الميدان المستجدة"، لهذا حاولت القيادة العسكرية تجنب هذا الأمر في هذه الحرب التي تعتبر بحد ذاتها نسخة معدلة ومنقحة عن حرب عام 2006 على لبنان، مع فارق جوهري وأساسي يتعلق بالمقاومة الفلسطينية من جهة، وهي التي لا تمتلك قدرات المقاومة المنظمة من قبل حزب الـلـه في

لبنان لاعتبارات عدة منها ما له علاقة بالجغرافيا المتمثل باتصال لبنان بالعمق الحيوي جغرافياً خلافاً لحال غزة، ومنها ما يتعلق بالجيش الإسرائيلي الذي استخلص العبر والدروس من الحرب الأولى وتدرب على تفاديها في الثانية.

وبهذه الذهنية وضعت الخطة البديلة، وكان لا بد من تعديل الأهداف فيها بشكل جذري بعد ما تبين استحالة تحقيق الهدف الأساسي، وسقط حلم تغيير الواقع في القطاع، وتراجعت هذه الأهداف تنازليا لتتركز بشكل اكبر على المسألة الأمنية والعسكرية حيث ذكر منها تباعاً:

1. إضعاف حركة حماس عسكرياً وسياسياً، وإجبارها على تحرير الجندي الإسرائيلي الأسير لديها جلعاد شاليط.
2. ثم تراجع إلى القول بتدمير الصواريخ ومنصاتها كلياً وحرمان المقاومة من أي قدرة على القصف.
3. ثم تراجع إلى القول بمنع إطلاق الصواريخ، دون القول بتدميرها.
4. ثم تراجع إلى القول بالحد من إطلاق الصواريخ، وهنا كان ملفتاً مباهاة العدو الإسرائيلي في اليوم السابع عشر من الحرب بأن المقاومة لم تطلق أكثر من 22 صاروخاً بعدما كان المعدل اليومي في بدء الحرب 42 حسب ادعائه!
5. ثم كان التركيز الإسرائيلي على التدمير والقتل العشوائي وهذا هو الأخطر والأكثر بعداً عن كل قاعدة أخلاقية وقانونية وشرعية، حيث لجأت إليه إسرائيل لزرع الرعب في قلوب المدنيين الفلسطينيين لحملهم على الضغط على المقاومة لمنعها من إطلاق الصواريخ التي عجزت إسرائيل بكل جبروتها الناري أن تصل إليها وتمنع إطلاقها، وقد حاولت إسرائيل أن تسوق لهذا الأمر بشكل مباشر أو غير مباشر، على أساس أنه عمل يزرع الرهبة والخوف من الجيش الإسرائيلي في قلوب الأعداء، ما يعني **استعادة الهيبة والقدرة الردعية** التي تآكلت في "حرب لبنان الثانية"، وهو هدف قائم بحد ذاته في ذهن الإسرائيليين من قراءة هذه الأهداف، حيث بدا واضحا أن إسرائيل أسقطت بشكل ضمني وأكيد الخطة الأولى والقاضية

باحتلال القطاع كاملاً والسيطرة عليه كلياً لتعتمد خطة بديلة تتناسب وسقف أهدافها الجديدة.

ب. مضمون الخطة البديلة

بدا من سير العملية ومن تصريحات الإسرائيليين أنه واعتبارا من اليوم الحادي عشر للحرب، أي اعتبارا من يوم الثلاثاء 6 كانون ثاني/ يناير 2009 اعتمدت إسرائيل خطة عسكرية جديدة ترتكز على مقولة "تعهد الحرارة والنار" في الميدان بقصد تهيئة الظرف للعمل السياسي المناسب، أو بالأحرى **نار في الميدان لإنضاج طبخة تحضر في مكان آخر،** وقد قامت هذه الخطة على الأركان التالية:

1. **إسقاط المرحلة الثالثة من العملية وهي المرحلة السياسية الأمنية،** (رغم استمرار التهديد بها وبصوت عالٍ على سبيل الحرب النفسية)، وبذلك ضاعت جهود إسرائيل وذهبت سدى كل التحضيرات التي كانت أعدت لفتح معسكر الاعتقال في نتساريم جنوب مدينة غزة لتودع فيه رجال المقاومة والسلطة في غزة، ولتقدر بعدها على تسليم القطاع للسلطة الفلسطينية التي كانت جهزت قوى لتسلم القطاع.
2. **إسقاط فكرة احتلال المناطق المبنية كلياً** مع الاستمرار في عمليات الحصار والقضم البسيط وتجنب البقاء في أي قسم أو جزء منها في حال الدخول إليه.
3. **التحول إلى العمل العسكري الإجرامي الانتقامي** المتضمن أساسا العقاب الجماعي مع ما يتضمن من جرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية.
4. **العمل على حدود القطاع مع مصر لهدم الأنفاق القائمة،** من أجل منع نقل الأسلحة إلى داخل القطاع.
5. **اعتماد الحركة الدائمة في الميدان** ضمن مفهوم الصدمات الكهربائية المباغتة والمتلاحقة والمزدوجة التأثير: أي منع الجيش الإسرائيلي من الوقوع في اليأس والإحباط والاسترخاء من جهة، ومنع المقاومة والشعب معها من الطمأنينة من جهة أخرى، والحيلولة ما أمكن دون تنفيذ العمليات العسكرية ضد قوات

الاحتلال، ما يعني أنها اعتمدت هذا الأسلوب (أسلوب الصدمات) كأسلوب من أساليب الدفاع عن قواتها التي وجدت نفسها في عمق القطاع في مأزق لا تستطيع فيه التقدم إلى الأمام في الأماكن المبنية خشية الخسائر، ولا يمكن أن تنسحب من غير تهيئة المناخ المناسب لذلك وإلا كانت الهزيمة المدوية.

6. **السعي الحثيث سياسيا لإيجاد** المخرج الملائم لإسرائيل، ومحاولة تحقيق ما أمكن من الأهداف المتعذر تحقيقها في الميدان، عن طريق العمل السياسي.

ت. كيف نفذت الخطة البديلة، وكيف كانت النتائج؟

عملت إسرائيل بالخطة البديلة لمدة 11يوماً تمت خلالها حركة دبلوماسية ناشطة، اجتمع خلالها مجلس الأمن الدولي وأصدر القرار 1860 الذي يطلب الوقف الفوري لإطلاق النار، وسبقه بساعات إعلان مصر لمبادرة سياسية فيها عرض وقف إطلاق النار والعودة إلى اتفاق 2005 لفتح المعابر ومنع تهريب السلاح لحماس في قطاع غزة، ثم كان الاتفاق الأمني الاستراتيجي الذي وقع بين إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية والمتضمن في جوهره بناء منظومة مراقبة دولية حول قطاع غزة براً وبحراً وجواً لمنع إدخال السلاح إليه مهما كان مصدره وبصورة خاصة من إيران، وهكذا انطلقت القوات الإسرائيلية وفي سباق مع الوقت في تنفيذ الخطة الجديدة والتي تختصر بثلاثة أنواع من العمليات: مجازر وقتل جماعي، تدمير وهدم المنشآت في داخل القطاع والأنفاق على الحدود مع مصر، وعمليات عسكرية برية محدودة في محيط القرى والمدن من غير احتلال أو مكوث في المناطق الآهلة التي تصلها القوى، وهنا يمكن تسجيل الملاحظات التالية حول إدارة إسرائيل لعدوانها على غزة في مرحلة الخطة البديلة:

1− على صعيد النطاق الميداني للعمليات

تركزت العمليات العسكرية في المناطق التالية:

- **القصف الجوي:** شمل القطاع كاملاً وتركز بصورة خاصة على مثلث جباليا بيت حانون غزة في الشمال، ومنطقة الأنفاق في الجنوب، مع تعهد ناري للأهداف التي كانت قصفت في بدايات الحرب.

- **الحركة البرية:** تركزت في محيط مدينة غزة وعلى محاور ثلاثة واحد من الشمال والثاني من الشرق والثالث من الجنوب وكان الأكثر فاعلية فيها محور الجنوب، حيث تمكنت القوات الإسرائيلية من تحقيق بعض التقدم في الأحياء الآهلة.
- **تدمير الأنفاق:** جهدت إسرائيل ولمدة أسبوع تقريباً في العمل في جنوب القطاع في محيط رفح (المطار والمعبر البري) لإقامة شريط أمني عازل بعمق 3كم، حيث توغلت من الشرق الجنوبي باتجاه الساحل ودمرت وفقاً لما أعلنت قيادتها 90% من الأنفاق التي تربط القطاع بسيناء.

تقدمت قوات برية في الوسط في محيط خان يونس وكان القصد كما يبدو تفعيل تقطيع أوصال القطاع الذي بدأ في اليوم الثامن بعزل غزة في الشمال عن باقي القطاع في الجنوب.

2– على صعيد المناورة

لجأت القوات الإسرائيلية خلال هذه المرحلة إلى **سياسة المراوغة** والمراوحة و المداورة في الميدان بعد اليأس من تحقيق نتائج عسكرية أساسية وكان عملها هنا على وجهين:

- الاستمرار بالقصف التدميري بقصد إحداث ما أمكن من المجازر وقتل أكبر عدد ممكن من السكان المدنيين، ولم يكن همها هنا تحقيق أهداف عسكرية بحتة بالمعنى الحصري للكلمة، بل كان القتل في معظم الحالات يجري بقصد الضغط على قيادة المقاومة،وهنا لم تُحيِّد إسرائيل أي منطقة أو مكان، وقصفت مدارس الأونروا التابعة للأمم المتحدة ومخازن هيئة الإغاثة، لأنها قصدت فرض عقوبات جماعية على القطاع تكون امتداداً للحصار الذي كانت بدأته قبل 6 أسابيع من إطلاق عدوانها.
- القيام بعملية الكر الصاعق على الأحياء السكنية المتباعدة المنازل في محيط غزة في الشمال ضمن عملية **"الصدمات الكهربائية المزدوجة التأثير"**، وكانت تتوخى منها أمراً من اثنين على الأقل، الأول: وهو في السقف الأعلى ويتمثل بجس نبض متلاحق

للمقاومة علها تقنص نصراً ميدانياً معتبراً تستثمره في الحل السياسي الذي بات بعد اليوم الحادي عشر من الحرب المخرج الوحيد المتاح أمامها، والثاني: ذو طبيعة دفاعية تتعلق بحماية القوة العاملة في الميدان، فقد خشيت إسرائيل أن تتحول قواتها في أماكن توقفها في المناطق المكشوفة إلى أهداف ثابتة يسهل على المقاومة ضربها، فلجأت إلى الحركة الدائمة التي تمنع- على حد تصورها- المقاومة من المبادرة إلى الهجوم.

3– على صعيد النتائج المحققة

رغم الوحشية التي نفذت فيها الخطة البديلة، وارتفاع عدد الشهداء إلى 1335 شهيدا من الفلسطينيين، وجرح 5225 منهم وتدمير الآلاف من الوحدات السكنية، وبقي الوضع في غزة وبعد 22 يوماً من النار و"الرصاص الإسرائيلي المتدفق" يرسم كما يلي:

أ- **على صعيد السلطة الرسمية في القطاع،** استمرت الحكومة قائمة في القطاع ولم تتأثر سلطة حماس كما أن استشهاد الوزير سعيد صيام لم يزد زملاءه إلا تمسكاً بواجباتهم وتماسكاً مع شعبهم.

ب- **على صعيد المقاومة استمرت قيادتها** (في داخل القطاع وخارجه) متمسكة بمطالبها وبمبادئها التي كانت عليها قبل العدوان، واستمرت الصواريخ تتساقط على مستعمرات العدو ومغتصباته بمعدل لا يقل عن 25 صاروخاً يومياً، كما أن عمليات المقاومة في الميدان (خاصة عمليات التصدي والإغارة والكمائن) ظلت فاعلة تؤذي العدو رغم انه لم يدخل إلى عمق المناطق المبنية.

ت- **على صعيد حركة حماس ذاتها:** استمرت الحركة في موقعها في الساحة الفلسطينية، وسجلت تقدما كبيرا في شعبيتها دخل القطاع وخارجه بما في ذلك داخل الضفة الغربية، والأهم من كل ذلك هو المستوى الذي وصلته إقليميا ودولياً حيث إنها باتت رقماً أساسيا في المعادلة الفلسطينية والإقليمية لا يمكن لأحد أن يتجاهله أو يتجاوزه، وإلا كان كمن ينكر الشمس في رابعة النهار الصيفي.

ث- **على صعيد الأسير جلعاد شاليط:** استمر في الأسر ولكن ثمن تحريره ارتفع بعد العملية، وباتت إسرائيل ملزمة بدفع الثمن الذي تحدده حماس ضمن صفقة تبادل الأسرى التي باتت الوسيلة الوحيدة لإطلاقه بعد أن استنفدت الوسيلة العسكرية.

ج- **على صعيد الهيبة والقوة الرادعة:** قد تحاول إسرائيل أن تدعي بأنها استعادت هيبتها أو قدرتها الردعية ولكن هذا يرد عليه بالقول بأن تحقق الهيبة أو قوة الردع ليس مسألة نظرية أو ادعاء فقط بل يستدل عليه من آثاره ومفاعيله، وكانت إسرائيل تستند لهيبتها وقوتها الرادعة في منع المدافعين عن المواجهة، ولذلك كانت بهيبتها تنتصر من غير قتال، نصراً يسجله لها من كان يفر من أمام قواتها المتقدمة ويسلمها الأرض بغير مواجهة، أما في غزة فإنها لم تجد ما تتمنى، فقد وجدت مقاومين لا يعبأون بنارها، ووجدت قواعد صاروخية تمطرها بصواريخ مأمورة من قبل من لا يهاب ولا يخشى ردة فعلها.

أما النتائج الفعلية الحقيقية التي تستطيع إسرائيل أن "تفاخر" بها فهي من غير شك محصورة في ما يلي:

- المجازر والقتل الجماعي
- التدمير والحرق والإتلاف للممتلكات
- استعمال الأسلحة المحرمة دولياً من فسفور أبيض إلى نابلم إلى يورانيوم مستنفد إلى غازات سامة.
- وأخيراً نجاحها في تدمير النسبة العالية من الأنفاق وتضييق الخناق على غزة بحصار تتوخى منه استمرار العقاب الجماعي لأهل القطاع الذين فوتوا عليها فرصة النصر وتغيير الواقع عندهم.

هذا ما انتهت إليه العملية العسكرية الإسرائيلية في غزة والمسماة"الرصاص المتدفق".

ثانيا: إدارة المعركة الدفاعية من قبل المقاومة والنتائج المحققة

كان لما قامت به المقاومة من تحضير وأداء وإدارة للمعركة الدفاعية التي خاضتها من المفاعيل والآثار التي منعت إسرائيل من تحقيق أهدافها في العملية، حيث يقف الباحث على خصوصية اعتمدتها المقاومة في استراتيجية المواجهة تمكنت خلالها من إفشال العدو في مراحل هجومه، وفرضت عليه وقف إطلاق النار قبل أن يصل إلى شيء مما توخاه من عدوانه، الـلـهم إلا ذاك القتل المتعمد والمجازر المرتكبة بحق المدنيين، والتدمير المنهجي للبنى التحتية والمنشآت في القطاع.

استراتيجية المقاومة في الدفاع عن غزة

عندما بدأت إسرائيل في حربها، انتظر من يريد التخلص من حركة حماس والمقاومة في غزة الأسبوعين الاثنين أو الثلاثة لتنفس الصعداء وإعلان انتهاء العملية العسكرية الإسرائيلية هناك على واقع جديد تكون فيه المقاومة قد أضحت حديثاً من التاريخ، ولكن المقاومة خيبت الآمال المعلقة على إسرائيل وكان ذلك عائد لاعتبارات عدة، منها ما له علاقة بالمقاومة ذاتها تنظيماً وإدارة وأداء ومنها ما هو عائد إلى الشعب ذاته وعلاقته بمقاومته، لقد **اعتمدت المقاومة استراتيجية تقوم في جوهرها على نظام قتال يعتمد نار اللسع والإزعاج والتخويف، ومواجهة القتل والإرباك ومنع الاستقرار، مع الاستناد بشكل أساسي على المناطق المبنية، وكان المرتكز الأساس في هذه الاستراتيجية الصمود والثبات ورفض النزوح والهجرة**، وبذلك تمكنت المقاومة من إفشال مراحل العملية العسكرية تباعا، وقبل أن نعرض لكيفية إفشال المقاومة للهجوم عليها يكون من المفيد التعرض لما يطلب من المقاومة في حالة كالتي وضعت فيها وكيف خططت للمواجهة.

أ- أهداف استراتيجية المقاومة في المواجهة

كان جوهر العمل المقاوم في مواجهة إسرائيل حتى عام 2006 يتمثل بعمليات عسكرية يبتغى منها الضغط على المحتل للخروج من مناطق احتلاله، وهو عمل نجح في لبنان حيث طردت إسرائيل منه في العام 2000، لكن في عام 2006 كان للعمل المقاوم

وعلى أرض لبنان أيضا هدف جديد يتمثل في منع العدو الإسرائيلي من تحقيق أهداف عمليته الهجومية التي تمثلت يومها في اقتلاع المقاومة من شعبها وتجريدها من سلاحها وإلقاء رجالها في القبور أو المعتقلات، ولأن تعريف النصر للمهاجم يقوم على تحقق أهداف هجومه، فإن المدافع ينتصر إذا منع المهاجم من الوصول إلى الأهداف التي انطلق من أجلها، وهنا كان على حركات المقاومة في غزة كما كان الأمر بالنسبة لها في لبنان أن تدرك أولاً ما هي أهداف الهجوم وتعمل ثانياً على منع تحققها، وبالعودة إلى ما سبق ذكره أعلاه فإن المقاومة تنتصر إذا وصلت في نهاية الحرب إلى وضع يتمثل بالعناصر المبينة أدناه أو بعبارة أخرى تكون المقاومة منتصرة إذا توقف إطلاق النار عليها وتكون قد حالت دون تحقيق العدو لأهدافه من الهجوم، وتكون هي في وضع يستجمع العناصر التالية:

1- **استمرار المقاومة بذاتها واستمرار عمليات المقاومة، لإجهاض القرار بتصفيتها،** وكان للمقاومة أن تحقق ذلك عبر بقاء خلايا تعمل في غزة ضد العدو المحتل دون أن تتأثر في مساحة الأرض المحتلة ضيقاً أو اتساعاً.
2- **الاحتفاظ بالقدرة وبأي حجم كان على إطلاق صواريخ** إلى عمق فلسطين المحتلة، لأن ذلك يعني عدم قدرة العدو على منعها، ونذكر أن وظيفة القوة النارية للمقاومة الشعبية المسلحة في هذه المرحلة ليست تدمير إسرائيل أو تدمير قواتها العسكرية، بل هي قائمة لإنتاج الخوف لدى المستعمرين الصهاينة، ما يسقط الأمن الإسرائيلي ويسقط قاعدة "نقل الحرب إلى أرض الخصم" التي تتمسك بها إسرائيل في عقيدتها العسكرية، فإذا أنتج مثل هذا الرعب والخوف كان ممكنا توقع كبح العدوانية الإسرائيلية في العمل والقتل والتحسب للرد إذا اعتدت، كما يشكل ذلك، تراكميا، حالة مهمة لدفع العدو للتفكير في الانسحاب من الأراضي المحتلة، كما حصل سابقا في لبنان وغزة.
3- **المحافظة على علاقة متينة مع الشعب** وعدم ترك فرصة للعدو بالنجاح في إحداث شرخ بين المقاومة وجمهورها، أو حمل الشعب على التنكر لمقاومته واليأس من فاعليتها وجدواها، فيتخلى عنها وتسقط المقاومة بعد ذلك.

4- **الاحتفاظ بقدرة الاتصال بالعالم الخارجي** لتثبيت مشروعية المواجهة وإجهاض محاولات النبذ والعزل، لأننا في عصر لا يمكن التنكر فيه للعلاقات الخارجية، فقد يبقى الإنسان بذاته ولا يعترف به أحد فلا يستطيع أن يصرف قوته ووجوده أو يحشد لصيانة حقه.

ويضاف في واقع حركة حماس عناصر تتعلق بالسلطة والجندي الأسير، فيكون عليها لتستجمع كل عناصر الانتصار أن تستمر في موقعها في إدارة القطاع دون أن تمكن العدو من إحداث التغيير بالقوة الإسرائيلية، وكذلك الاحتفاظ بالأسير الإسرائيلي دون أن تمكن العدو من تحريره إلا وفق شروطها في عملية تبادل الأسرى المشرِّفة.

أما عدد القتلى، وحجم الدمار، ومقدار الخسائر في البنى التحتية والاقتصاد وما إليه من كوارث مادية أو بشرية (في الجانبين) فإنها لا تتخذ المعيار الذي يركن إليه في توصيف النتائج، بل أنها تعتبر في الحروب دليلاً على الثمن الذي دفع من أجل تلك النتائج، لأن نتيجة الحرب هنا نصراً أو هزيمة تنحصر في الإجابة على السؤال: هل حقق المهاجم أهدافه من الهجوم؟ فإن كانت الإجابة بنعم فإن ذلك يعني نصره وإن كانت الإجابة بلا فإن ذلك يعني هزيمته، ويعني أن التضحيات والخسائر هي ثمن لتحقيق ذلك بصرف النظر عن حجمها، فمراكمة الانتصارات هي طريق تحرير الشعب وهزيمة المحتل أيديولوجيا وعسكريا وأمنيا على المدى البعيد.

ب- أثر استراتيجية المقاومة على الخطة الإسرائيلية

- تعطيل مفاعيل القوة النارية الحاسمة.
- منع نجاحه في خوض الحرب السريعة الخاطفة، وهنا نذكر بأن إسرائيل حسمت الحرب ضد الدول العربية وعلى جبهات ثلاث في العام 1967 في ستة أيام نظرياً وفي 72 ساعة عملياً وفعلياً، أما في قطاع غزة فإنها لم تحقق أياً من إنجازاتها العسكرية رغم دخولها في الأسبوع الثالث من الحرب.
- تفرض على إسرائيل تحمل الخسائر الفادحة في قتال الشوارع، إذا أرادت احتلال

المدن، علماً بأن عدم احتلال المدن والقرى يعني فشل الحرب لأن المقاومة في غزة متمركزة أساسا في الأماكن المبنية.

- تتمكن من إقحام الجبهة الداخلية الإسرائيلية وإن بقدر محدود في ظروف الحرب والخوف من آثارها.

كيف أفشلت المقاومة العملية الجوية؟

لا يمكن لأحد أن ينكر بأن إسرائيل فاجأت المقاومة في الساعات الأولى للعملية وكادت أن تدخل المقاومة في حالة اختلال توازن تتوخى منه إسرائيل تحقيق الانهيار في صفوف المقاومة بأحد وجهيه الميداني أو الإدراكي، حيث أن قصف المراكز الرسمية وبخاصة الشرطة المجتمعة في احتفال رسمي، وقصف 43 هدفا في أقل من ساعتين أدت في نتائجها الأولية إلى قتل 155 وجرح 453 كان أمرا فظيعا، ولو كانت العملية موجهة إلى مراكز عسكرية لجيش تقليدي في خطوط المدافعة لكانت أخرجت القوى من المعركة وفتحت الطريق واسعاً أمام القوى المهاجمة، ويجب أن يعترف وبموضوعية أن المقاومة كان يمكنها تفادي مثل هذه المفاجأة وهول هذه الخسارة لو كانت أكثر حذرا وحرصا وتبصرا ولم تقع في فخ الخديعة الذي نصب لها (بمعلومات مضللة قيل إنها نقلت لها من أطراف غير صديقة)، فليس لها في الوضع الذي كانت تعيشه المنطقة وفي ظل التهديدات الإسرائيلية أن تقدم على تجميع هذا العدد من قوى الشرطة في مناسبة يمكن إلغاؤها، ومع ذلك نقول إنه ورغم حجم المفاجأة استطاعت المقاومة أن تلتقط أنفاسها بعد ساعات، ثم تماسكت ثم استعادت قدرتها على الرد وما أن جاء اليوم الثاني حتى كانت في طور تجاوز المفاجأة الاستراتيجية، وتحويلها إلى مفاجأة عملانية قابلة للاستيعاب والمعالجة والتعامل مع نتائجها كما هي مع تقليل أثر سلبياتها، أما أسباب قدرة المقاومة على ذلك فهي عائدة إلى ما يلي:

- **عدم إقامة المراكز العسكرية الثابتة للمقاومة** والظاهرة للعلن بل توزع القوى المقاومة وانتشارها في الصفوف الشعبية، وهذا أمر يعود إلى طبيعة العمل الشعبي المقاوم، فالمقاومون ليسوا وحدات نظامية تتخذ مراكز عسكرية واضحة وثابتة يؤدي قصفها

إلى إخراج الوحدة من الميدان، بل هم أفراد مدنيون يمارسون بمعظمهم أعمالهم المدنية العادية، ويلتحقون بالعمل العسكري عند الحاجة، لذلك لا يكون من قيمة تذكر للمباغتة في قصف الأهداف لأنها ستطال غير المقاومين، وهذا ما حصل بالفعل، إذ إن الذين قتلوا كانوا من المدنيين العاديين والعاملين في السلطة الأمنية أو الرسمية وليسوا هم المقاومين فعليا، بل هم شرطة سير في حفل تخرج!

- **انتظام المقاومة في خلايا صغيرة** يتراوح أفرادها بين 3-9 عناصر في الحد الأقصى، وارتكاز المقاومة في الميدان على قاعدة لا مركزية العمل الميداني التنفيذي مع مركزية القرار الإجمالي العام، وهذا ما يعطل مفاعيل قطع الاتصال أو تدمير مراكز القيادات الرئيسة.
- **التزام المقاومة بمبدأ إقليمية التنظيم المقاوم** وقاعدة الاكتفاء الذاتي للمنطقة، بحيث يكون لكل منطقة مقاتلوها ومخازنها ولوجستيتها، ما يعطل من مفاعيل الحصار والمراقبة الجوية الدائمة وقطع الطرق بالتدمير أو بالنار.
- **تأهيل المقاتل المتعدد الكفاءات،** ما يعطل مفاعيل قتل عنصر أو أكثر من المجموعة الكبرى، فمن يبقى حياً يتابع القتال و باستعمال كل الأسلحة المتوافرة.
- **الإعداد المسبق لحماية الذخائر والاحتياجات اللوجستية،** والاعتماد على التخزين على الحفر والخنادق التي لا تتطلب عملاً هندسياً فائقاً
- **الاعتماد على شبكات الاتصال السلكية** في أكثر الحالات ما عطل فرصة المس بمنظومة القيادة والسيطرة لدى المقاومة، ناهيك عن شبكات وموجات لاسلكية خاصة متغيرة
- **الارتكاز إلى الأماكن المبنية في خطة المدافعة بسبب الأرض المكشوفة في القطاع، ومع ذلك لجأت المقاومة إلى إعداد الأرض جيدا وتحضير المخابئ والأنفاق،** وانتشار القيادات والمقاومين فيها، ما جعل هؤلاء بمنأى عن الخطر المباشر الذي شكلته العمليات الجوية الكثيفة.

- **التحضيرات السياسية والإعلامية والقيادية،** خاصة في ظل وجود القيادة المركزية لحركة حماس في خارج فلسطين، وهي التي تقدم الدعم السياسي وغيره خارج منطقة النيران.

إن هذا التحضير و التنظيم حال دون تحقيق القصف الجوي لأهدافه، لأن هذا القصف لم يعدم المقاومة وسائلها القتالية واللوجستية، ولم يحرمها من الحد المطلوب للترابط والاتصال بين رأس المقاومة وجسمها وكذلك بين عناصر المقاومة وأعضائها، فحرم المهاجم من تحقيق الانهيار الميداني لدى المقاومة وأهم من كل ما ذكر، فإن المجازر التي ارتكبت والتدمير المنهجي الذي حصل لم يحدث الانهيار الإدراكي الذي يسعى إليه المهاجم عادة ليحمل المدافع على الاعتقاد بأن معركته خاسرة حتى ولو امتلك الوسائل اللازمة للقتال، لأن المهاجم متفوق عليه تفوقاً لا يمنحه فرصة الإفلات، فيقبل بالاستسلام من دون خوض المعركة، **هنا كان تدخل الحالة الإيمانية التي تميز المقاتل المسلم الملتزم، والثابت في إيمانه، والذي يدخل الميدان واضعاً نصب عينيه قاعدة النصر أو الشهادة** ما يعني أنه يرى نفسه مدفوعاً للقتال حتى يستشهد إن كان النصر صعباً ولا يستعجل الاستسلام ولا يقبل به وهنا تبلورت قاعدة: "**الإيمان يعصم من الانهيار الإدراكي**".

وهكذا نرى أن التنظيم والتخطيط المنهجي والعملياتي المسبق منع الانهيار الميداني، والإيمان منع الانهيار الإدراكي، وأن القرار السياسي المستقل أضعف الضغوط السياسية والإعلامية أن تؤتي أكلها، حتى من أقرب الأطراف العربية من محور الاعتدال، والنتيجة كانت إفشال أهداف المرحلة الجوية.

دور المقاومة في إفشال العملية البرية

كانت الساعات الأولى لانطلاق العملية البرية الإسرائيلية حاسمة في تقرير وجهة نتائج العملية برمتها، لهذا رأينا إسرائيل تتصرف بحذر شديد في تنفيذها، حيث أنها استغرقت وقتاً لا يستهان به في تنفيذ عملية التقدم لتحقيق التماس والتمركز على خطوط الحصار والتطويق والإطباق.

لقد تقدمت القوات الغازية من مواقعها خارج القطاع لتتخذ مواقع لها في محيط التجمعات السكنية مستعملة الأرض المفتوحة المكشوفة التي لا يتوقع أن تلقى فيها مقاومة أو قتال رجال عصابات، ومع ذلك فقد فوجئت بعدد الكمائن التي واجهتها وببعض عمليات القصف التي أطلقت باتجاه قواتها، وإن كانت محدودة في العدد والتأثير.

لكن يوم الحسم في العملية كان ليل 5-6 كانون ثاني/ يناير 2009، حيث بدأت المرحلة البرية بشكل فعلي وجدي بقصد الدخول إلى المناطق المبنية، وكان واضحاً من الأداء الإسرائيلي التركيز بصورة خاصة على غزة عاصمة القطاع ومركز حكومة المقاومة وقيادتها الميدانية الداخلية، وكان في معتقد إسرائيل أن احتلال مدينة غزة وتطهيرها ممن ذكرنا سيوفر عليها القتال بعد ذلك، فيسقط القطاع كله مترافقاً مع سقوط غزة المدينة، لهذا رأينا الجهد الرئيسي البري يتوجه إلى غزة بعد أن حوصرت وقطعت عن جنوب القطاع، لكن المقاومة تصرفت بشجاعة مبدية إرادة في الصمود واستعداداً للتضحية عالي المستوى، من أجل ذلك تصدت للقوى الغازية على خطوط التقدم الثلاثة كلها، واستطاعت أن توقع الخسائر في صفوف إسرائيل بحجم أكبر مما كان متوقعا إسرائيليا، وقد لجأت في المواجهة إلى ما يلي:

1- الكمائن التي يبدو أنها كانت محضرة جيداً على مشارف الأماكن المبنية ففاجأت العدو بقدراتها.
2- الغارات: الإغارة بالمجموعة الصغرى، أو الإغارة بالمجموعة الكبرى.
3- النسفيات والفخاخ والألغام.
4- المراوغة الميدانية وعمليات الاستدارج إلى مناطق التقتيل، ثم المهاجمة.
5- العمل ضد الدروع بنظام مقبول أو متواضع من الأسلحة والقذائف الصاروخية.
6- القنص من مسافات بعيدة.
7- اللجوء ضمن قدرات متواضعة إلى قصف تجمعات العدو ومحاور تقدمه وحركته بقذائف الهاون (مورتر) وبالقذائف الصاروخية، هذه القذائف التي اعتمدت أصلاً لقصف أهداف خارج القطاع.

هذا الأداء أفهم العدو أنه في مواجهة رجال قرروا المنازلة من غير تراجع، واستنتج أن كلفة احتلال مدينة غزة ستكون مرتفعة، ووقف على حقيقة أخرى تتمثل بالقول: ماذا ينفعه عمله إن احتل قرى وبلدات القطاع وبقيت مدينة غزة صامدة، **لذلك أعتقد أن قرار وقف العملية الأساسية كان قد اتخذ يوم 6 كانون ثاني/ يناير 2009 اليوم الذي اعتبره العدو النهاية الفعلية لعملية الرصاص المتدفق العدوانية وما تلاه كان أمرا آخر.**

أداء المقاومة في مواجهة إسرائيل في مرحلة تنفيذ الخطة البديلة

- الأداء المقاوم

كان على المقاومة هنا أن تحافظ على مسائل أساسية حتى لا تفسح المجال أمام إسرائيل في حربها الإعلامية أو الدعائية أو النفسية وتقلب الأمور فتقدم هزيمتها انتصارا، وهي:

1- الاستمرار على المواقف السياسية الأساسية التي كانت عليها لحظة بدء الحرب، وقد قامت بذلك وبحذاقة بينة وساهم التكامل في الأدوار بين قيادة الداخل في غزة وقيادة الخارج في دمشق بتحقيق هذا الهدف، وأجهضت المقاومة بتناغم قياداتها الخطة الإسرائيلية لترويج فكرة الانقسام بين داخل وخارج أو التباين في الموقف والرأي بين فصائل المقاومة ذاتها.

2- الاستمرار في قصف المستعمرات الإسرائيلية بالصواريخ، وقد نجحت المقاومة في ذلك وحتى اللحظة الأخيرة، لاسيما أنها لم تخفض سقف النمط اليومي كثيراً في هذا الأمر، حيث كان النمط في بدء الحرب بمعدل 37 صاروخاً يومياً وتوقفت الحرب على نمط 26 صاروخا يوميا وهو أمر مهم للغاية أبلغ إسرائيل بوضوح أنها فشلت في تحقيق أهدافها.

3- الاستمرار في مشاغلة القوات المحتلة بعمليات متعددة الأوجه والأساليب، وهذا ما قامت به المقاومة في أكثر من محور أو ساحة مواجهة، وجعلت العدو يحاذر البقاء في أي حي مدني دخل إليه في قرية أو مدينة وبخاصة في غزة.

4- الاستمرار في احتجاز جلعاد شاليط، مع اتخاذ التدابير اللازمة للحؤول دون الوصول إليه أو قتله كما فعلت إسرائيل مع الجندي الذي أسر في محيط غزة حيث قتلته مع المجموعة المقاومة الآسرة.

5- استمرار حكومة حماس قائمة في وظائفها، و تخفي وزرائها عن النار الإسرائيلية في مخابئ أفشلت استهدافهم (ولم تنل إسرائيل إلا من وزير واحد هو سعيد صيام).

6- استمرار الالتصاق الشعبي بالمقاومة واحتضانها، وقد كانت مناسبة تشييع الشهداء لا سيما الشهيد سعيد صيام مناسبة للعالم ليعرف عبر استفتاء شعبي غير مصطنع أو ملفق مدى التفاف الشعب في غزة حول مقاومته، برغم أن خطر القصف الإسرائيلي كان قائما.

7- تفعيل الاتصال بالعالم الخارجي عربيا أو إسلاميا أو دوليا، ويسجل للمقاومة هنا حضورها العربي، ولاسيما في مؤتمر الدوحة، واستفادتها من تحرك الشعوب العربية والإسلامية حتى والأجنبية الأخرى لصالحها، كما وبدء انفتاح دول أخرى عليها بشكل بيِّن ولافت.

- مآخذ على المقاومة

قبل أن نختم هذا الموضوع لا بد من التوقف عند ملاحظات أساسية حول أداء المقاومة وما يمكن أن يؤخذ عليها من تراخٍ أو تلكؤ أو قصور، ونسجل هنا الملاحظات التالية:

1- في البدء نقول إنه لا تصح المقارنة بين ما جرى في جنوب لبنان في العام 2006، وما جرى في غزة عام 2009، ولا يمكن قبول القول بأن معارك الالتحام وإيقاع الخسائر بالجيش الإسرائيلي لم تكن بالقدر المنتظر، لأننا نرى بأن وظيفة المقاومة ليست تدمير الجيش الإسرائيلي المهاجم، بل إن نجاحها يكمن في منعه من تحقيق أهدافه، فإذا عرفت الأهداف، وتم اختيار السبيل المناسب لمنع حصولها فإننا لا

نتوقف عند حجم خسائر العدو بل ننظر إلى سلوكه، فإذا امتنع عن متابعة العملية قبل تحقيق أهدافه فإنه يكون قد هزم، ولا يحسب النصر الذي يعول عليه في المواجهة بمقدار القتلى والجرحى والخسائر التي تحدثها المقاومة بصواريخها في صفوف العدو، فليس لعاقل أن يقول أن المقاومة الفلسطينية المحاصرة في غزة بإمكانها أن تدمر إسرائيل أو تحدث المجازر، فوظيفة صواريخها إحداث الخوف المعطل للحياة عند العدو، وقد حققت الصواريخ أهدافها ولا نبحث بعد ذلك عن حجم الخسائر في صفوف العدو.

2- وفي الحروب عندما يكون هجوم ودفاع لا بد من القول بمنتصر، أما عندما يكون حرب استنزاف فإننا نبحث عن حجم الخسائر لنحسب النقاط، وفي حال غزة فإن هجوما كان قائماً وانتهى من غير تحقيق الأهداف لذلك نقول أن المدافع انتصر وبصرف النظر عن كيفية صنع هذا النصر، وقد يكفي أن نقول أنه انتصر بثباته وصموده وهذا أمر كبير.

3- ومن زاوية أخرى يجب أن نسجل قصوراً أمنياً ورؤيوياً لدى المقاومة تجلى في أمرين كان بإمكانها معالجتهما لتوفر على نفسها الخسائر الكبرى، الأول يتعلق بترقب الحرب واندلاعها، والثاني يتعلق بوجود العملاء الذين تباهي إسرائيل بأنهم أنقذوا جنودها وقتلتهم دون اكتراث.

دور الإعلام في سير المعركة

لا يخفى ما للإعلام أصلاً من تأثير في الحروب من خلال الشحن المعنوي والحرب النفسية والحرب المضادة، وقد لجأ الطرفان إلى الإعلام بشكل واضح، ولكن في هذه المعركة أو هذه الحرب ونظراً لاختلاف المواقع بين إسرائيل والفلسطينيين من حيث الحق والشرعية والأسلحة المستعملة، ورغم كل محاولات إسرائيل إخفاء الحقيقة أو تلفيق الوقائع وتزويرها، ورغم فرضها لرقابة مشددة على الإعلام غير مسبوقة في تاريخ حروبها، رغم كل ذلك تعتبر المقاومة ومن يحضنها ويتعاطف معها قد كسبت معركة الإعلام خلال الحرب في اتجاهات ثلاثة:

- باتجاه المقاومين أنفسهم، حيث استمروا في الميدان وعلى معنويات عالية، حيث لم تحقق الحرب النفسية الإسرائيلية أثرا فيهم يحبطهم أو يمنعهم من مواصلة القتال.
- باتجاه الشعب في الداخل، حيث بقي ملتفاً حول مقاومته ثابتاً في أرضه يتلقى كتل النار في صدره، فيعبر عن الرفض غضباً ولا يؤدي به ذلك إلى التوجه للمقاومة تنكرا أو إنكاراً.
- باتجاه الخارج، حيث استطاع الإعلام (إعلام المقاومة وغيرها) أن يظهر وحشية إسرائيل، وأن يؤلب الرأي العام العربي والإسلامي والدولي عليها، وكانت هذه الحرب بمثابة الصدمة التي تحدث الوعي في الضمير العام بعد نسيان وسبات، لقد أعادت الحرب هذه قضية فلسطين إلى واجهة اهتمامات الرأي العام العالمي.

الخـاتمـــة

أيقنت إسرائيل بعد مضي ثلاثة أسابيع من بدء العدوان، أن خطتها الأساسية أخفقت في تحقيق أهدافها، وأن الخطة البديلة لم توفر لها ما كانت تسعى إليه من تأليب الفلسطينيين على مقاومتهم، وأدركت أن الوقت قد ضاق عليها وأنها لن تحقق شيئاً في حال استمرار الهجوم بكل أشكاله وخططه، بعد كل ذلك قررت وقف إطلاق النار من جانب واحد، لا يكون استجابة للقرار 1860، ولا يكون نتيجة اتفاق مع حركة المقاومة، ونحن نعلم أن وقف إطلاق النار من جانب واحد يفسر في العلم العسكري بواحد مما يلي من التفسيرات:

- إما أن يكون المهاجِم حقق أهدافه ودمر عدوه، فقرر وقف إطلاق النار لأن العدو لم يعد قادراً أصلاً على إطلاقها، ويكون قد وضعه في موقع يقتاده فيه إلى التسليم وهذا هو النصر للمهاجم.
- أو يكون قد أدرك أن أهداف هجومه باتت مستحيلة التحقيق فيقرر وقف عدوانه والتراجع عن الهجوم وهذه هي هزيمة المهاجم.
- أن يكون وقف إطلاق النار فرضاً على الطرفين من جهة ثالثة أو استجابة لوساطة خارج دائرة الصراع.

ولا شك أن إسرائيل أوقفت إطلاق النار لأنها عجزت ويئست من تحقيق أهدافها، ولم تتشكل حالة مما ذكرنا أعلاه سوى أن في الأمر خسارة عسكرية لإسرائيل في عدوان حضرت له لأكثر من ستة أشهر، وهكذا كان وقف إطلاق النار في 18 كانون ثاني/ يناير 2009 بقرار إسرائيلي منفرد، اتبع بقرار فلسطيني منفرد أيضا، واتبع بانسحاب القوات الإسرائيلية من المناطق التي احتلتها في القطاع لتسدل الستار على انتصار للمقاومة حققته بصمودها البطولي الذي أفشل إسرائيل ومنعها من تحقيق أهداف عدوانها.

ويقال بأن ضغوطا كبيرة مورست على حركة حماس لإعلان وقف إطلاق النار من جانبها أو بالتزامن مع إسرائيل، وقد تسبب هذا الأمر بتأخير إعلان أيهود أولمرت لوقف إطلاق النار لمرتين.

أوقفت النار واستمرت المقاومة، واستمرت صواريخها قادرة على الوصول إلى أكثر من 45 كلم في عمق العدو، واستمر الشعب ملتفاً حول مقاومته، واستمرت حكومة حماس في مواقعها الرسمية، وبقي جلعاد شاليط في الأسر، وعادت إسرائيل تحصد ثمار الخيبة من حرب ثانية تفشل فيها بعد حربها على لبنان وهزيمتها فيها على يد المقاومة التي نظمها حزب اللـه فيه، وذلك خلال 30 شهرا فقط، من 2006 إلى 2009.

ولم ينفع إسرائيل لتغطية فشلها إخفاء أهدافها من العدوان باستعمال التعابير العامة، ولا تعديل هذه الأهداف تراجعاً، ولا تغيير الخطط بشكل متلاحق، ولا اللجوء إلى الأسلحة المحرمة دولياً، ولا انتهاك قواعد القانون الدولي وارتكاب جرائم الحرب، بل ارتد عليها ذلك نقمة دولية وعزلة خانقة وخطراً من ملاحقة مسؤوليها بجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

وفي المقابل نجحت المقاومة- بصمودها وشجاعة قيادتها ومقاوميها وثبات شعبها والتفافه حول مقاومته في مواجهة غير متكافئة وبقدرات محدودة للغاية- في منع إسرائيل من تحقيق أهدافها رغم ما تكبده القطاع من خسائر بشرية في الأرواح ومادية في الممتلكات، ولكن الأهم من تلك الخسارة هو النصر الذي تحقق، نصر يؤسس عليه

للمستقبل في طريق استعادة الحقوق المغتصبة بعد أن رست قاعدة بالغة الأهمية وهي "عجز القوة الإسرائيلية" عن تحقيق الانتصار، أي تحول استراتيجي في التقدير بين العرب وإسرائيل في الصراع.

التـوصيـات

في ضوء ما تقدم نوصي بما يلي:

- اتخاذ التدابير الكفيلة بمنع تحقيق إسرائيل المفاجأة الأولى في عملية عدوان جديد، فإسرائيل لن تسكت على الواقع القائم في غزة وهي ستحاول في كل فرصة تلوح لها أن تنتقم لهزيمتها بالانقضاض على القطاع بشكل مفاجئ.
- التوسع في اعتماد مبدأ لا مركزية الإدارة الميدانية للمعركة من قبل المقاومة عبر تخصيص كل منطقة وفي شعاع ضيق قدر الإمكان برجال يكفونها للدفاع عنها، وعتاد وذخيرة يحسن تخزينه فيها بأحجام صغيرة متناثرة.
- التركيز على العمل والتحضير الذاتي للصواريخ المصنعة محلياً في ظل استمرار الحصار وإمكانية العودة إليه بشكل مفاجئ.
- بناء المنظومة الشعبية الداعمة للمقاومة والتي تخفف من أعبائها اللوجستية.
- الاسترسال في عمليات التوعية والشحن النفسي للشعب لمنع أي شرخ بينه وبين المقاومة.
- الثبات في المواقع وعدم إخلاء الميدان واعتماد منطق الحرمة الدائمة في الميدان للحماية والانقضاض.
- بناء منظومة إعلامية ذات حرفية ومصداقية عالية.

الورقة الخامسة

أبعاد المعركة الإعلامية واتجاهاتها

طلال عتريسي*

كانت حرب غزة أول حرب تترافق فيها المواجهات المتعددة بين الإعلام العربي والإعلام الإسرائيلي، ولهذا سنناقش البعد الإعلامي للمعركة من خلال ما جرى أثناءها أولاً، ثم ننتقل إلى المستويات المفترضة للإعلام بعد معركة غزة واستعداداً للمعارك المقبلة.

أولاً: الثوابت الإعلامية الإسرائيلية

تقدم إسرائيل نفسها في أي حرب تخوضها وفقاً للثوابت التالية:

- أنها ضحية، وتدافع عن نفسها- الحرب لوقف إطلاق الصورايخ- لتحقيق أمن المستوطنين، ومنع خطف الجنود، وأن لها الحق القانوني في الرد.
- تحمل إسرائيل الطرف المقابل (حماس) مسؤولية ما تقوم به من جرائم وما ترتكبه من مجازر، أو تدمير (لأن ما قامت به هو رد فعل).
- تأليب الرأي العام الفلسطيني ضد حركة المقاومة.
- الاعتماد على التأييد الإعلامي الدولي: الأمريكي- الأوروبي.
- الاستفادة من توصيات فينوغراد في الحرب الإعلامية (تشكيل هيئة الإعلام القومي)
- الجديد في هذه الحرب هو التعتيم الإعلامي على ما جرى، وهذا التعتيم له علاقة بما جرى إعلاميا في حرب عام 2006 التي انكشفت فيها نقاط الضعف العسكرية (تدمير الدبابات، الجنود القتلى) والمدنية (آثار القصف على المستوطنات، الاختباء في الملاجئ)، ويكشف هذا التعتيم التغير في طبيعة القتال مع العدو، وأهم تغير هو

* **د. طلال عتريسي:** مدير مركز الدراسات الاستراتيجية الأسبق- لبنان.

في تهديد الداخل بعد عام 2006 باستراتيجية قصف الصواريخ من قبل المقاومة.

- تدمير المؤسسات الإعلامية للطرف المقابل.
- توجه إلى الجبهة الداخلية- كبيت إشارات- مع الصواريخ (المستوطنون طالبوا الجيش بتخليصهم من المشكلة).

ثانياً: كيف نفذت هذه الثوابت؟

- جعلت إسرائيل الحرب بينها وبين حركة حماس فقط، تجاهلت عمداً الفصائل المقاومة الأخرى فوردت تعابير مثل: مسلحو حماس، مخربو حماس، ميلشيات حماس الإرهابية، والمقصود هو تصوير حركة حماس بأنها ذات بعد واحد، هو البعد العسكري فقط الذي يطغى على الأبعاد الأخرى السياسية والاجتماعية والإنسانية والأكاديمية وسواها، ما يبرر أيضاً الاستمدادات الشاملة لكل المؤسسات والأشخاص.
- اعتبرت إسرائيل أن الحرب لا تستهدف الفلسطينيين في قطاع غزة بل حركة حماس التي ستجلب الدمار للفلسطينيين، أي توجيه السخط الشعبي الفلسطيني والسياسي العربي إلى الجانب الفلسطيني (حماس) وليس إلى العدوان الإسرائيلي.
- كان فشل إسرائيل واضحاً في الحرب النفسية، وتوزيع منشورات تم رميها من الطائرات، تنبه الفلسطينيين واللبنانيين من المقاومة ومن قادتها وتدعوهم إلى التمرد على تلك المقاومة، لأن النتيجة كانت مخالفة تماماً للتوقعات الإسرائيلية.
- المداخلة الأساسية هنا: كيف فشل الإعلام الإسرائيلي ومن خلفه الإعلام الغربي في تغليب الادعاء الإسرائيلي؟ على الرغم من ضعف إمكانات الطرف المقابل وقلة عدته وعديده الإعلامي؟
- تفسير ذلك برأيي يعود إلى ما يلي:
  - قدرة المقاومة على الصمود (أهم شيء).
  - لا تجديد في الحرب النفسية الإسرائيلية.

- علاقة المقاومة بشعبها.
- تحقيق المقاومة لإنجازات في ميدان القتال.

لذلك لم تنجح إسرائيل في فبركة الصور التي تريدها، وخرج مئات الآلاف في العالم العربي والإسلامي تأييدا لفلسطين وللمقاومة في غزة، ولم يخرج أحد لتأييد السلطة الفلسطينية، كما خرج أضعافهم في أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية تضامنا مع المقاومة الفلسطينية.

- حاولت أن تجعل حركة حماس مثل تنظيم القاعدة، أي حركة إرهابية معزولة، وتابعة لسوريا وإيران، وهي ضد مصلحة الشعب الفلسطيني.
- غياب الانتقاد الإعلامي الإسرائيلي للحرب، لأنها الحرب الأولى التي تخاض في داخل فلسطين.
- الإعلام الإسرائيلي كان جزءا من المؤسسة العسكرية الحربية ولم يكن منفصلاً عنها.
- أرادت إسرائيل أن تجعل من مشهد الدم درسا بليغا وعملية تثقيفية للفلسطينيين ولسائر العرب، أي كان المطلوب هو كي الوعي أو ردع الوعي لدى العرب.

ثالثا: أداء حماس الإعلامي

- لم تتح الحرب الصعبة، وطبيعة القتال في جغرافية غزة، لحركة حماس وللفصائل الأخرى التركيز على البعد الإعلامي للعمليات العسكرية ولبطولات المقاومة، باستثناء قلة من مشاهد القنص أو التفحم ضد الدبابات أو الخيول، أو إطلاق الصواريخ، فلم ترسل رسائل إلكترونية للجنود لتشويشهم أو إضعاف نفسيتهم، ولم تشن الحرب الإلكترونية لتدمير المواقع الإسرائيلية.
- إعلام حماس في إبراز صورة الصمود والمواجهة والبطولات الملحمية التي كانت ستؤدي خدمة كبيرة موافقة لمنطق المقاومة وقدرتها، وبالمقارنة مع حرب تموز/يوليو 2006 فقد تمكنت المقاومة آنذاك من تقيد مشاهد الدبابات المحترقة في

وادي الحجير في الجنوب، واحتراق البارجة ساعر في عمق البحر، ما أشاع في الأيام الأولى من الحرب الثقة بالمقاومة، وانعكس سلبا على الجيش الإسرائيلي وعلى الجمهور الإسرائيلي برمته، لا سيما مع ظهور قيادة المقاومة وإتقانها للعبة الإعلامية وللحرب النفسية في أثناء المعركة.

- لذا لم يكن أمام حماس بسبب المعركة الواسعة بين قدراتها الإعلامية وقدرات العدو سوى التركيز على ورقة "الضحايا المدنيين" لتأليب الرأي العام الفلسطيني والعربي والإسلامي والعالمي.
- في المقابل فشل الإسرائيلي في تقديم صورة الإنجاز العسكري، فلا صور لاعتقال مقاتلين ولا لتدمير أنفاق أو منصات صواريخ.

رابعا: دروس الحرب الإعلامية الإسرائيلية استعداداً لحرب مقبلة

- إن التركيز على الشك في هل تحقق الانتصار أو لا، لا يعود إلى الالتباس في قراءة نتائج المعركة فقط، أو إلى التشويه المستمر للانتصار، بل إلى الخبرة الإعلامية الجديدة لحركات المقاومة (في فلسطين ولبنان)، التي تتلخص في أمر جوهري، هو عدم المبالغة في ما تحقق خلافا للمعارك السابقة التي كانت تحقق انتصارات إعلامية وهزائم فعلية في الميدان.
- التركيز الإسرائيلي على قضيتين: مسؤولية حركة المقاومة عن أي حرب ستنشب (مسؤولية إعلامية وسياسية).
- وضع المجازر ضد المدنيين على عاتق حركات المقاومة.
- الوضوح الإعلامي في التعامل مع إعمار غزة.
- التركيز الفلسطيني على المقاومة ككل وليس على فصيل واحد (يفشل الأهداف الإسرائيلية).
- نحن اليوم أمام انتصارات تحققت في فلسطين ولبنان لا بد من إعلام يوازي ذلك، أي إعلام يؤسس الوعي بثقافة الانتصار، بعدما ساد طويلاً إعلام وأدب ثقافة الهزيمة،

يجب أن ننتقل إلى هذا الإعلام بلا أي تردد، والمعركة هنا بالغة الأهمية؛ فالإسرائيلي يريدها معركة "كي الوعي"، ونحن نريدها معركة "إطلاق الوعي" والمعادلات الراهنة بعد تراكم الإنجازات تتيح إطلاق هذا الوعي بثقافة الانتصار، وطيٍّ ثقافة الهزيمة.

الفصل الثالث

أبعاد المعركة وانعكاساتها الداخلية والخارجية

الورقة الأولى

التفاعلات داخل إسرائيل، ومفاجآت الحرب

الورقة الثانية

الانعكاسات الاستراتيجية على عملية السلام

الورقة الثالثة

التفاعلات الإقليمية والدولية بعد المعركة

الورقة الرابعة

انعكاسات المعركة على مستقبل العلاقات الفلسطينية الداخلية

الورقة الخامسة

نتائج المعركة وانعكاساتها الداخلية والخارجية

الورقة الأولى

التفاعلات داخل إسرائيل، ومفاجآت الحرب

مسعود إغبارية*

مقدمة

تدعي هذه الدراسة أن المقاومة الفلسطينية صمدت بل انتصرت حيث لم تهزم، وانسحب الجيش الإسرائيلي قبل الالتحام بمعارك معها، ولم تحقق إسرائيل أي هدف من الأهداف المعلنة منها والمخفية، سوى الدمار وقتل الناس، ولم تستطع فرض أي شرط من شروطها، في حرب غزة 2009/2008 التي شنتها إسرائيل بانقضاض مفاجئ ومكثف لتشل قوى الطرف الفلسطيني وعزائمه بعد حملة تمويه واسعة وعلى مستويات عدة استعملت فيها الدبلوماسية الرسمية مع دول أخرى من بينها تركيا، وبعد تحضيرات مكثفة وتجهيزات ملائمة دامت أكثر من سنتين، وبعد ما أعلن عنه في إسرائيل أن الجيش والمؤسسة الأمنية والسياسية قد استخلصت الدروس من تجربتها الفاشلة في حرب تموز/يوليو 2006 على لبنان وفق توصيات لجنة فينوغراد للتحقيق في فشل تلك الحرب، وبعد احتلال عسكري مباشر وغير مباشر لأكثر من 40 سنة لقطاع غزة، وحصار من خمس جهات ضمنها السماء لأكثر من ثلاث سنوات، وباستعمال أكثر الأسلحة تقدما في العالم، منها ما هو محرم دوليا مثل السلاح الفسفوري الأبيض والدايم[1]، إنه تطور مهم ونقطة تحول في تاريخ المنطقة والعالم، هز توازنات على أصعدة كثيرة، وفرضيات كثيرة من الأساس، ومن المتوقع أن يكون له تداعيات استراتيجية مهمة.

نستعرض المفاجآت الفلسطينية في الحرب التي كانت سببا أساسيا لانتصار المقاومة وفشل الحرب من الجانب الإسرائيلي، ونستعرض تداعيات هذا الفشل على الساحات

* **د. مسعود إغبارية: باحث وخبير في شؤون السياسة الإسرائيلية- فلسطين.**

1. انظر تقرير عاميرة هاس، هآرتس 5 شباط/فبراير 2009.

الإسرائيلية كما تجسد في نتائج الانتخابات التي أجريت بعد ثلاثة أسابيع من انتهاء الحرب، أو على الساحة الإقليمية أو في العالم أجمع، وبالتحديد سنستعرض نهوض فلسطينيي الداخل ليقفوا، وقفة منقطعة النظير، مع أهلهم في غزة، وبروز تركيا كقوة إقليمية عظمى لا يمكن تجاهلها بعد اليوم، ولا سيما أنها أخذت شرعية لها من المقاومة الفلسطينية، وجعلت الرئيس المصري محمد حسنى مبارك يتحدث عن إقامة "شرق أوسط جديد" ربما أنه لا يقصد، وهناك مؤشرات مختلفة، ذلك الشرق الأوسط الجديد الذي كانت تتحدث عنه إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن[1].

بالإضافة إلى هذا، تتناول الدراسة تأثير الحرب على التوازنات الدولية، في العالم الإسلامي وفي العالم أجمع حيث ملأت المظاهرات شوارع كثيرة في مدن وعواصم تأييدا للنضال الفلسطيني واستنكاراً لعدوان إسرائيل، وكيف أجبرت هذه الحرب الرئيس الأمريكي أوباما على تغيير أولويات حكمه في السياسة الخارجية ليضع قضية الصراع في الشرق الأوسط في مقدمة أولوياته، بعد أن أعتقد البعض أنه لن يكون عنده وقت للانشغال بها بسبب الأزمة الاقتصادية القاسية في أمريكا وفي العالم اجمع، تستنتج الدراسة أن من يحترم نفسه، كفرد وكمجتمع وكشعب، يحترمه الناس، ومن المتوقع أن تكون هناك تغييرات إيجابية تجاه قضية فلسطين.

أثبتت هذه الحرب بشكل قاطع لا يقبل الجدل، أن شعب فلسطين لن يقبل أقل من هذا، أطال الزمان أم قصر، ولن يرضى أن يدفع الثمن وحيدا لأن قضيته فلسطينية، عربية، إسلامية وإنسانية في آن واحد.

و"فيما يتعلق بالسياسات المتبعة تجاه الضفة الغربية وقطاع غزة فإن الفرق بين سياسات الحكومة الحالية وقوى اليمين هو أن اليمين يقترح استعمال عصا أكثر غلظة لمفاجأتهم، ليس فقط أن حماس لم تنهر، بل أن الحرب على غزة زادتها دعما في الشارع

1. ذكر هذا الاسم في خطاب له إلى جانب الرئيس التركي عبد اللـه غل، في إسطنبول، تركيا في 11 شباط/فبراير 2009.

العربي وفي جميع المناطق المحتلة ولاسيما أن هذه هي البداية"[1].

لقد عكست وأثبتت حرب غزة 2009/2008 أن إسرائيل في مأزق استراتيجي متزايد مع الوقت، وقادتها مع حلفائهم"على الجانب الخاطئ والمعاكس لمسيرة التاريخ" كما قال الرئيس الأمريكي باراك أوباما في خطاب التنصيب، والتاريخ، كما قال المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، "يقاس بصعود حضارات ونزول أخرى، والعامل المهم الذي يلعب دورا في هذا هو البعد النفسي للإنسان حين يتحدى".

الكلمة التي تدور حولها هذه الدراسة هي "التحدي" وهي التي غيرت موازين قوى كثيرة في تاريخ الصراع، وهي التي تغذي عجلة التفاعلات المحلية، الإقليمية، والدولية على قدم وساق، حرب غزة 2009/2008 جسدت تحديا فلسطينيا، ليس له أسبقية ضد استمرار الظلم وانتهاك الحقوق الأساسية، تجسد في صمود ومقاومة شعب أعزل في منطقة جغرافية صغيرة لا تتجاوز 360كم مربعاً، في قطاع غزة، تمت محاصرته من الجهات الخمس، حين يكون هذا التحدي مسلحا بوعي أكثر عند أعداد متزايدة من الفلسطينيين لطبيعة الصراع في المنطقة، وباستعداد أكثر للتركيز على المصلحة المشتركة والهوية المشتركة لسكان قطاع غزة، وبتوجه أقوى للعمل من خلال تنظيمات وعمل جماعي، وزيادة في الاعتماد على الذات ورقي في المواجهة حيث ارتكزت على الإنسان الأكثر إيمانا بربه، بنفسه، وبقضيته العادلة وبطريقه نحو تحقيق الأهداف، وباتباع أساليب عنف سياسية قسم منها ابتكر ليلائم الطبيعة الجغرافية لقطاع غزة، وبوسائل متواضعة، يحدث هذا التطور الطبيعي تغيير موازين استراتيجية في المنطقة وفي العالم أجمع، قسم منها بدأ يشاهد والقسم الآخر قادم، لأن التاريخ الإنساني يرسمه من يؤمنون ويتحدون الظلم، وقد يطول الزمن أحيانا، وقد نشر في الأسبوع الأول من شباط/فبراير 2009 عنوان رئيس في إحدى الصحف العربية الفلسطينية عكس هذه الروح:"إسرائيل قتلت 1412 فأنجبت غزة

1. من مقال تحليلي عميق تحت عنوان "هكذا لا يقضون على سلطة" كتبه عقيبا ألدار، صحيفة هآرتس، 2 شباط/فبراير ، 2009.

3700 مقاوم"[1].

التحدي الفلسطيني لمحاولات السيطرة على الأرض والثروات الفلسطينية بدأ مع الهجرة الصهيونية المنظمة الأولى إلى فلسطين خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأخذ منعطفا على إثر إعلان وعد بلفور عام 1917 ومنعطفا آخر مع النكبة الفلسطينية عام 1948، من جانب أفراد ثم جماعات ودوائر تتسع مع الوقت تدعم وتؤازر بعضها الأخرى: الدائرة الفلسطينية، العربية، الإسلامية والإنسانية ولم يعد يرى أغلب الفلسطينيين حواجز ما بين هذه الدوائر أو تناقضات، لآلة عسكرية عاتية في المنطقة، إسرائيل ومن يقف من حولها ومن ورائها، أثبت هذا التحدي نجاعته، ليزيد احتمال صنع حضارة إنسانية جديدة، وتاريخ جديد للمنطقة وربما للعالم أجمع، وكي نضع الأمور في بوتقتها العلمية، بدأ التطور يسير في أربع مراحل مترابطة:

- زيادة الوعي لطبيعة الصراع.
- زيادة التوجه نحو الهوية والمصلحة الجماعية.
- زيادة التوجه نحو التنظيم والتنظيمات (اتحاد الطلبة في سنوات الخمسينيات، ومنظمة التحرير سنوات الستينيات)، لتصل القمة مع إقامة تنظيمات ذات مرجعية إسلامية إلى جانب تنظيمات ذات توجه علماني أو مختلط..
- التوجه نحو استعمال العنف السياسي بمختلف أشكاله[2].

---

[1]. صحيفة"عرب الداخل" الصادرة في الناصرة 6 شباط/فبراير 2009، تعكس التوجهات العامة على الساحة العربية في البلاد.

[2]. حول التطوير النظري للمراحل الأربع في الصراع، وربما نستطيع تطبيقه على كل صراع إنساني مماثل، انظر رسالة الدكتوراه لكاتب هذه السطور:

Massoud Eghbarieh، "Arab Citizens in Israel: the Ongoing Conflict with the State"، Ph.D dissertation، Government and Politics Department، The University of Maryland، College Park، MD USA 1991.

خلال حرب غزة 2009/2008 وبعدها بدأ المزيد من الناس يشعرون بأن عليهم أن يأخذوا دورا في هذا التحدي لأنه أصبح مصلحة شخصية، أصبح الكثير يتساءلون: ما الذي نستطيع عمله في مجالاتنا وتخصصنا، للوقوف إلى جانب شعب فلسطين.

في المفاهيم الاستراتيجية التي حددها جنرال جياب الفيتنامي الشهير الذي قاد حرب تحرير بلاده من الاحتلال الأمريكي، أن عدم هزيمة القوات الشعبية (المقاومة الفلسطينية) مقابل القوات النظامية (إسرائيل) يعنى بالضرورة انتصاراً للقوات الشعبية، أي انتصار المقاومة الفلسطينية.

إن إطلاق المقاومة الفلسطينية صواريخ وقذائف الهاون منذ وقف إطلاق النار في حرب غزة في 17 كانون ثاني/يناير 2009، وكان آخر من نشير إليه في هو أنه في اللحظة التي جلس فيها الإسرائيليون للاستماع للنتائج الأولية للانتخابات اعتمادا على صناديق العينات الساعة 22:00 من 10 شباط/فبراير 2009 حيث أطلق صاروخ على منطقة مستوطنة سديروت، وأطلق مقاومون فلسطينيون في الوقت نفسه النار على سيارة تابعة لمستوطنين قرب مدينة رام اللـه في الضفة الغربية، يعنى أن المقاومة ما زالت على استعداد لأن تتحدى، وأن عامل الردع الذي يدعي إيهود باراك وزير الحرب الإسرائيلي استعادته في هذه الحرب ليس موجودا، يقول أستاذ جامعي إسرائيلي: "الهدم وآلاف القتلى والجرحى في غزة لم يخلقوا ردعا تأمله الإسرائيليون، فبعد عدة أيام تجدد القصف"[1].

الحرب، التي وصفت بأنها أجبن وأنذل حرب في التاريخ[2]، زادت المأزق الاستراتيجي الإسرائيلي بعد أن حاولت الحكومة الإسرائيلية، مجندة كامل قوتها العسكرية أن تحقق فيها أهدافها الوهمية.

وحققت هذه الحرب على المستوى الاستراتيجي هزيمة كبيرة لإسرائيل بمعنى أن

---

1. حدد هذا التقييم في مقال تحت عنوان "حكومة الحربين" كتبه بروفسور عنار شليف، ونشر في صحيفة هآرتس 8 شباط/فبراير 2009.
2. وصفها عزمي بشارة في مقابلة على شاشة الجزيرة، 4 شباط/فبراير 2009.

إسرائيل قد فشلت في تحقيق أي هدف حددته من الحرب، ونصرا منقطع النظير للفلسطينيين تجسد في الأساس بصمودهم وثباتهم على مطالبهم المقبولة، من المتوقع أن تترجم نتائجها مع ظهور تداعياتها المختلفة على الساحة السياسية والاجتماعية في إسرائيل، كذلك شكلت ضربة لمعسكر التسوية في المنطقة وفي العالم على المستوى الرسمي وهزيمة على المستوى الشعبي، و زاد ترسخا الاعتقاد القائل إن هزيمة إسرائيل أمر ممكن، مهما كان نوع السلاح الذي تمتلكه، ومهما كانت التنسيقات التي تجريها مع من يرغبون في إنهاء الصراع معها ولو كان بثمن بخس، ونجحت في وضع إسرائيل مجدداً، ولاسيما على ساحة الشارع العربي والإسلامي وحتى على ساحة قسم من الشارع الأممي، في خانة "العدو"، بعد أن عملت أنظمة كثيرة، وخلال فترات بدأت بشكل علني على إثر حرب تشرين أول/أكتوبر 1973، على استبدالها بإيران، وفي السنوات الأخيرة بحزب اللـه في لبنان[1].

نجحت المقاومة الفلسطينية في غزة، في تحقيق ما حددته في المرحلة الأولى، وتعمل جاهدة لتحقيق بقية الأهداف التي تم تحديدها، على الساحة الإسرائيلية، أبرزت الحرب التي بدأت تنكشف للمزيد من الإسرائيليين بأنها خائبة، فحين ادعت إسرائيل أن الحرب هي ضد حماس وليس ضد الفلسطينيين، كانت النتيجة أن أحدا لم يصدقها، أو أن نتيجة الحرب قد رفعت مكانة حماس إلى مستوى لم تعهده من قبل.

هناك من يعتقد، وقد عجز عن تفسير ما حدث وما كانت تهدف إليه إسرائيل، أن هدف إيهود اولمرت الذي قاد الحربين كرئيس وزراء في إسرائيل، كان أن لا يبقى وحده في قفص الاتهام والتحقيقات الجنائية التي تجرى ضده (14 تحقيقا حتى 14 شباط/فبراير 2009)، ويريد أن يأخذ معه آخرين إلى غرف التحقيق، وقد تكون من نوع آخر، المزيد من قادة إسرائيل، سواء أكانوا من المدنيين أم من العسكريين.

1. طرحها عزمي بشارة في مقابلة على شاشة الجزيرة، برنامج (بلا حدود)، يوم الأربعاء 4 شباط/فبراير 2009 الساعة 22:05.

الساحة الفلسطينية: الانتصار تطور طبيعي

يتوج الانتصار الفلسطيني في حرب غزة 2009/2008 نشاط المقاومة الفلسطينية للاحتلال المرحلة الرابعة من مراحل التطور التي بدأت منذ بداية الغزو الصهيوني لفلسطين، بفهم الصراع الذي وصل نقطة مفصلية على إثر قيام دولة إسرائيل، حيث أصبح واضحا ويزداد وضوحا للمزيد من الفلسطينيين، مع مرور الوقت، أنه احتلال استعماري إحلالي استيطاني، يعمل كل ما بوسعه، وبطرق مختلفة، من أجل إذلال الشعب الفلسطيني وإجباره على إخلاء وطنه، ويطمح أن يزدهر ويترعرع على حساب تعاسة الشعب الفلسطيني وحريته، وفي المرحلة الثانية يلجأ الفلسطينيون إلى فهم المصلحة المشتركة والهوية الجماعية وتفهم الأهمية في هذا، وتتمحور حول كونهم فلسطينيين أو عربا أو مسلمين، ولا يجدون تناقضات بين الدائرة والأخرى، وفي المرحلة الثالثة يسير الفلسطينيون إلى العمل الجماعي والنشاط المنظم على مختلف المستويات حيث أقيمت تنظيمات وأحزاب على مختلف الأطر، الطلابية منها أو مختلف نواحي المجتمع المدني، وفي المرحلة الرابعة يبدأ الفلسطينيون نشاط العنف الثوري بعد التيقن أن ليس هناك بديلا آخر من أجل فرض أجندتهم السياسية وحصولهم على حقوقهم الأساسية التي يحق للإنسان التمتع بها كونه إنسانا، ويمكن أن نرى بالعمليات العسكرية التي يقوم بها الفلسطينيون قمة في اتباع العنف الثوري وبخاصة تلك العمليات الاستشهادية وإطلاق الصواريخ التي تهدف إلى إرهاب الإسرائيليين، وتحقيق مكاسب سياسية، وليس بالضرورة إلى قتل الإسرائيليين، منها ما تحقق كانسحاب القوات الإسرائيلية الأحادي الجانب من غزة قبل أن تفرض شروطها على الطرف الفلسطيني، وعدم رضوخ حماس لمطالب إسرائيل حين صورت من جانب وسائل الإعلام الإسرائيلية، بأنها "على وشك الانهيار" أدخل الشعور عند الفلسطينيين بأنهم انتصروا، وانعكس هذا بإضافة مطالب جديدة على تلك التي كانت من قبل من بينها عدم التعرض للإسراع في إعادة الإعمار، كما حددها القيادي محمود الزهار حين خرج من قطاع غزة في شباط/فبراير 2009 للمشاركة في مفاوضات التهدئة وفك الحصار مع مصر.

يقاس النصر الفلسطيني بالعوامل التالية:

1- فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها القصيرة والبعيدة المدى وتداعياته استراتيجيا.

2- اكتشاف العالم مواصفات ومزايا عند الفلسطينيين لم تكن بارزة من قبل، وتلعب دورا مهما في تطور الأحداث وفي تغيير الموازين في المنطقة وفي العالم أجمع.

3- النصر الذي تتوج في حصول الفلسطينيين على هدفين من أربعة أهداف حددت إثر الهجوم الإسرائيلي، وهي:

- وقف الحرب دون أن تحقق أهدافها بعد أن أيقن قادة إسرائيل أنهم لن يحرزوا انتصارا عسكريا، وإن استمرت الحرب فسيدفعون ثمنا باهظاً لا يستطيعون تحمله بشكل عام وأمام الناخب الإسرائيلي بعد عدة أسابيع على وجه الخصوص.
- انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضي قطاع غزة تحت إنذار فلسطيني وتهديد منحت وفقه إسرائيل 7 أيام للانسحاب فانسحبت.

وفيما يتعلق بالمطالب الأخرى، فك الحصار وفتح المعابر كاملة، فإن في يد الفلسطينيين ثلاث أوراق رابحة تستطيع اللعب بها:

- عدم التوصل إلى تهدئة، أي الاستمرار في المقاومة وإطلاق الصواريخ وربما تفعيلها في الضفة الغربية أيضا، ولهذا التطور فاعلية مهمة، حيث أثبت الفلسطينيون قدرة كبيرة في التحمل، ومقاتلة إسرائيل، واستطاعوا عبر سنوات طويلة فرض توازن رعب ليصبح حقيقة على قادة إسرائيل الاعتراف به ولو كرهوه، وما يقلق الإسرائيليون أن تقييماتهم الاستخبارية تقول إن الجناح العسكري لحركة حماس، كتائب عز الدين القسام، يعارض وقف إطلاق النار مع الجيش الإسرائيلي، حتى تعطى الفرصة لتكبيد الجيش الإسرائيلي خسائر إضافية[1].
- التأييد الذي حصلت عليها المقاومة من الناس في قطاع غزة رغم الحصار ورغم المعاناة، وهذا ما فاجأ الكثير، ومن أبرزهم القادة في إسرائيل.

---

1. هآرتس 8 كانون ثاني/يناير 2009.

- الجندي الإسرائيلي الأسير، غلعاد شليط، حيث أصبح الإفراج عنه هدفا مهما للقيادة الإسرائيلية.

تداعيات فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها

لأن معادلة الصراع اليوم، بغض النظر عن الاتصالات والحوارات التي تجرى من وقت لآخر بين الأطراف، هي "ZERO-SUM-GAME" أي لعبة ذات مجموع صفر، وهي ما تريده القيادة في إسرائيل، وما أفرزته الانتخابات الأخيرة في إسرائيل أيضا، بمعنى أن كل نصر لجانب هو خسارة للجانب الآخر والعكس صحيح، كما وكيفا، فإن الفشل الإسرائيلي أو ما يمكن تسميته الخيبة الإسرائيلية، في حرب غزة هو انتصار للمقاومة الفلسطينية، ومن يتذكر الثقة التي بدت على قيادات إسرائيل في الفترة القصيرة التي سبقت الحرب، وبخاصة إثر عدم تجديد التهدئة مع المقاومة، وصلت قمتها في مؤتمر صحفي في مصر بين تسيبي لفني وزيرة خارجية إسرائيل وأحمد أبو الغيط وزير خارجية مصر- حين هددت أنها ستغير الوضع في غزة بشكل جذري، وتصريحات أولمرت، رئيس وزراء إسرائيل وباراك، وزير الحرب في عدة فرص، يوقن أن غزة ستسحق وسيبتلعها البحر كما حلم إسحاق رابين يوما من الأيام، حين تبدأ الحرب، بعد الضربة الأولى واستخدام آلاف الأطنان من المتفجرات بشكل مكثف، صمد أهل غزة، ضمدوا جراحهم، ودفنوا شهداءهم وساروا في مقاومة الاحتلال، وبعد حرب استمرت ثلاثة أسابيع لم تجرؤ قوات الاحتلال على مواجهتهم حيث تمركزوا داخل المدن والتجمعات، وانسحب الجيش الإسرائيلي وترك وراءه تدميرا وآلاف الضحايا من القتلى والجرحى من المدنيين: 1450 شهيدا، من بينهم أكثر من 400 طفل وأكثر من 120 امرأة وأكثر من 100 شيخ كبير، ودمرت وعطلت آلاف البيوت، وبنايات عمومية ليست لحركة حماس بل للسلطة الفلسطينية، كالمساجد والمدارس والجامعة[1].

1. تدعي الأجهزة الأمنية في إسرائيل أن ثلثي الشهداء في حرب غزة هم من المقاتلين الفلسطينيين بضمنهم أفراد الشرطة الذين استشهدوا في الضربة الأولى وهم يحتفلون بالتخرج. (هآرتس 13 شباط/فبراير 2009).

أهداف إسرائيل من الحرب

ربما بسبب الدروس التي استقتها القيادة الإسرائيلية من حرب تموز/يوليو 2006 على لبنان، وربما لأسباب أخرى، لم تحدد السلطات الإسرائيلية أهدافا واضحة لحرب غزة، وهو ما خلق بلبلة على مستويات عدة، سوف نحدد فيما يلي بعض الأهداف التي سعت إسرائيل لتحصيلها، ولكنها لم تحقق أيا منها، الأمر الذي يجسد بعينه فشلا قد يصل الأمر ليسمى هزيمة عسكرية.

1. وقف إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون على المستوطنات الإسرائيلية القريبة من القطاع مثل مدينة سديروت، حيث لم يتوقف هذا القصف خلال الحرب ولا بعدها، بل ازداد اتساعا ليصل إلى مسافة أكثر من 45كم، وبهذا أدخل أكثر من 700 ألف مستوطن إسرائيلي في كثير من المدن المهمة في إسرائيل (عسقلان، أسدود، بئر السبع) في مرمى الصواريخ، وهناك أنباء نشرت في إسرائيل أن لدى الفلسطينيين صواريخ ذات مدى 60كم، أي إنها قد تصل إلى تل أبيب نفسها.
2. وقف التهريب إلى قطاع غزة، الأمر الذي سيكسر الحصار ولو بشكل معين، وقد قامت إسرائيل بقصف الأنفاق، التي يصل عددها حسب تقرير نشر في صحيفة إسرائيلية إلى 800 نفق تم حفرها عبر الحدود مع مصر[1]، واستمر التهريب، لأنه يخدم مصلحة الكثير من الأطراف على جانبي الحدود الفلسطينية المصرية.
3. استعادة عامل الردع الذي فقد في حرب تموز/يوليو عام 2006 في لبنان، مع أن هناك تصريحات رسمية إسرائيلية واضحة تشير إلى أن إسرائيل قد أنجزت هذا، إلا انه لم يتحقق، واستمر الفلسطينيون في الحرب بعد أن انسحبت القوات الإسرائيلية من أرض قطاع غزة، واستمرت الصواريخ وقذائف الهاون تتساقط حتى خلال المفاوضات غير المباشرة التي كانت تجريها إسرائيل مع حماس، عبر وزير المخابرات

1. نشر هذا الرقم بواسطة الصحفية الإسرائيلية لصحيفة هآرتس، عمرة هيس، التي دخلت القطاع وتبعث تقاريرها من الميدان.

المصري اللواء عمر سليمان، وسقطت صواريخ بعد الانتخابات الإسرائيلية في 10 شباط/فبراير 2009[1]، ويقول الصحفي الإسرائيلي عقيبا ألدار:"عندما يسمع رؤساء حماس تفاخر زعماء إسرائيل أنهم استعادوا "الردع" يبدأون القهقهة، وليس فقط بسبب أن الصواريخ ما زالت تدق وترعب سكان عسقلان ... إن تهديدات إسرائيل بقصف المزيد من الأهداف في غزة يردعهم كما يردع الموت الاستشهادي وهو في طريقة لتنفيذ عملية استشهادية"[2]، قال أولمرت حين أعلن وقف إطلاق النار من جانب إسرائيل، ولا أعتقد أن كثيرا من الإسرائيليين يصدقونه، "إن إسرائيل قد حققت جميع الأهداف التي رسمتها، بل حتى أكثر من ذلك"، ورد عليه بنيامين نتنياهو معلقا على سقوط صواريخ القسام وغراد الفلسطينية من قطاع غزة على منطقة النقب الغربية: "أين الردع؟ أين رد الفعل القاسي الذين وعدونا به؟ صواريخ القسام، صواريخ، وما هو الرد؟"[3] وفي موضع آخر، يقول بنيامين نتنياهو عن تسيبي لفني "طريق الانسحابات التي قامت بها سوف تأتي على إسرائيل بالإرهاب والحروب"[4]، أي أنها لم تخلق كما ادعى باراك ولفني وأولمرت، عامل الردع، ويقول بيني بيغن[5]: "وعدونا بحمائم سلام في أنحاء النقب، في المقابل، دخل مليون إنسان في مجال رمي الصواريخ الفلسطينية بكرم ولطف حكومة كاديما"[6].

1. أعلن في إسرائيل عن سقوط ثلاثة صواريخ قسام يوم الجمعة 13 كانون ثاني/يناير 2009.
2. صحيفة هآرتس، 2 شباط/فبراير 2009.
3. حداشوت، 24 دقيقة، الصادرة عن صحيفة يديعوت أحرونوت وتوزع مجانا في إسرائيل، 9 شباط/فبراير 2009.
4. يديعوت أحرونوت، 3 شباط/فبراير 2009.
5. وهو ابن مؤسس عصابات الأتسل في فلسطين ورئيس وزراء إسرائيل الأسبق مناحم بيغن.
6. حداشوت، 24 دقيقة، الصادرة عن صحيفة يديعوت أحرونوت وتوزع مجانا في إسرائيل، 9 شباط/فبراير 2009.

نتائج الحرب على إسرائيل

ظاهرة إنكار فشل إسرائيل في الحرب مستمر، حيث ما زال قسم كبير من الإسرائيليين مغيبون لنجاح حملة تمويه محكمة قام بها زعماء إسرائيل وبمشاركة فعالة لوسائل الإعلام مرتكزة على فرض الانطباع أن دولة إسرائيل انتصرت في استطلاع أجري بين الإسرائيليين في الأسبوع الثالث من الحرب حدد 78% منهم أن إسرائيل ناجحة في الحرب، وحدد 82% أن إسرائيل لم تستخدم أسلحة بشكل مبالغ فيه[1]، فكيف لا يتم هذا وقد قال أولمرت في خطاب إنهاء الحرب في 17 كانون ثاني/يناير 2009[2]: "حصلنا على كل ما أردناه وربما أكثر من هذا، "وامتلأت الصحف العبرية بأخبار تفيد أن حركة حماس تحتضر وهي على وشك الانهيار؟ حيث قالت صحيفة يديعوت أحرونوت[3]: "هناك دلائل انكسار في صفوف حركة حماس في غزة، يظهر على وجه هنية دلائل الانكسار، وهو يطالب بوقف إطلاق النار ... هنية في مأزق"، وتم تجنيد الصحفي المعروف برنيع في نفس الصحيفة ليكتب قائلا:"في خطاب هنية نرى إنسانا مهزوما".

رد الصحفي غدعون ليفي على ما قاله أولمرت في خطاب وقف إطلاق النار، وشعر أن من واجبه الإدلاء بدلوه في هذه الحملة الإعلامية المكثفة، قائلا:"دخل الجيش الإسرائيلي إلى غزة عبثا، في هذه الحرب إسرائيل فشلت فشلا كبيرا، ونحن لا نتحدث فقط عن فشل أخلاقي عميق، وهو أمر خطير بحد ذاته، وإنما بعدم قدرة إسرائيل على تحقيق أهدافها المعلنة، فأغلب قوتهم (أي قوة المقاومة) العسكرية لم تؤذ"[4]، ولم يستطع الخبراء السكوت على هذا لأنه، وفق رأي بعضهم، تجاوز كل الحدود، يقول غاي بيخور،

1. هآرتس، 16 كانون ثاني/يناير 2009.
2. يديعوت أحرونوت، 18 كانون ثاني/يناير 2009.
3. في تاريخ 13 كانون ثاني/يناير 2008.
4. غدعون ليفي، هآرتس 22 كانون الثاني، 2009.

متخصص في الشؤون العربية، في مقال نشرته صحيفة يديعوت أحرونوت حالا بعد انتهاء الحرب ما يلي[1]:

1- في حرب غزة العملية العسكرية... لم تأت بأي نتيجة دبلوماسية، انسحبت إسرائيل بشكل أحادي الجانب دون موافقة الطرف الآخر.

2- استهدفت الحرب منع تهريب السلاح إلى غزة، إلا أن تهريب السلاح إلى قطاع غزة تجدد حالا بعد وقف إطلاق النار ومن المتوقع أن يستمر، ولم يتغير شيء.

3- سوف تحاول حماس خلق توازن رعب جديد مقابل إسرائيل، ويعتقدون أن أهدافهم في القصف في المستقبل سوف تكون تل أبيب.

4- من المتوقع أن تزداد حركة حماس قوة بعد الآن.

هذان الردان، رد ليفي وبيخور، كانا جزءا من ردود تتزايد مع كشف المزيد من الحقائق عن الحرب، هذا التطور يربك القيادة في إسرائيل لأنها، ليس فقط تعتب على ما جرى، وإنما تطالب بإقامة لجنة تحقيق في حرب غزة، ربما هذا الإرباك انعكس في خطاب شمعون بيرس، رئيس إسرائيل في منتدى دافوس في نهاية شهر كانون ثاني/يناير 2009، من استمع إلى الخطاب يمكنه ملاحظة ما يلي: كثف بيريس من استعمال جمل دعائية فضفاضة تستعمل في عالم الدعاية والحرب النفسية، كان مرتبكا ومنفعلا وعصبيا ليس من الحدث نفسه وإنما من الموضوع الذي كان يتحدث عنه، وما رفع صوته إلا تعبيرا عن هذا، علق رئيس وزراء تركيا على هذا قائلا إن تصرفات بيرس تعكس شعور المتهم، ولم تصل به الحالة ليقول "شعور المجرم" حيث يستعمل لوصف مثل هذه المواقف، وإن لم يدن بعد من قبل أي محكمة.

وسنستعرض فيما يلي جوانب وتداعيات الفشل الإسرائيلي في حرب غزة:

فشل إسرائيل في الأداور الملقاة عليها

ربما نستطيع القول إن أهم هدف لإسرائيل من وراء حربها على غزة

1. في كتاباته يتخذ بيخور خطا مستهترا بالعرب، وأحيانا أخرى يظهر عدم الاكتراث.

2009/2008 وإن لم تجاهر به علنيا، خوفا من فشل تحقيقه، كان إنهاء قوة حركة حماس وربما إضعافها حتى لا تشكل عقبة أمام التوصل إلى سلام بين إسرائيل والقوى "المعتدلة" على الساحة الفلسطينية[1]، وتبين على إثر الحرب، بعد أن كشف أولمرت ما توصل إليه مع الفلسطينيين حين قابل جورج ميتشل، مبعوث الرئيس أوباما الأمريكي لحل الصراع بعد أسبوع من انتهاء الحرب أن ليس لدى إسرائيل اقتراحات أو أفكار ما يقبل بها الفلسطينيون، وأن من اعتقد أن إسرائيل، بضرب حماس وإضعافها، كانت ستوافق على تنازلات من أجل سلام عادل مع الفلسطينيين كان واهما، نعم، قد يلتقى هدف ضرب وإضعاف وربما القضاء على حركة حماس، مع مصالح الغرب الرسمي الذي يعيش في حالة خوف من انتشار الإسلام لدرجة أن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن قد أتى علينا باصطلاح "الإسلام الفاشي"، ومصالح عدد من دول المنطقة من أجل نزع الفتيل من عدم الاستقرار وعدم تحقيق السلام مع إسرائيل وفق معاييرهم، وقد يكون للغرب أجندة زمنية ولإسرائيل أخرى، فقد صرح بنيامين بن أليعزر على إثر الحرب بأن على إسرائيل التوقف عن لعب دور المطية، ولم يعط مزيدا من التفاصيل، إلا أنه ربما يشير إلى أن إسرائيل كانت تعمل، أيضا، لخدمة آخرين، ولم تستطع إسرائيل تحقيق هذا الهدف، فالحرب على غزة لم تضعف حماس في قطاع غزة، وفي الضفة الغربية، وفي العالم العربي والعالم الإسلامي والعالم أجمع، ودلت استطلاعات أجريت في الضفة الغربية في الفترة القريبة ما بعد الحرب، على ازدياد التأييد الشعبي لحركة حماس.

انتصار المقاومة في الحرب أو فشل إسرائيل فيها دفع إلى تراجع الزخم العربي الرسمي وراء دعم عملية السلام مع إسرائيل، ولو بشكل تكتيكي، على أساس المبادرة العربية التي تم إقرارها في آذار/مارس عام 2002، وقد حدث هذا بعد محاولات عربية جمة لإقناع إسرائيل بالموافقة على مبادرة السلام العربية بعد أن رفضتها إسرائيل ووصفتها

---

1. عدم المجاهرة يعود الى أسباب تكتيكية، ويعود أيضا الى اتباع التوصيات التي حددتها لجنة التحقيق الحكومية "لجنة فينوغراد" في حرب تموز/يوليو عام 2006 على لبنان.

إسرائيل أنها لا تساوي قيمة الحبر التي كتب على الورقة نفسها، وبعد أن عملت السلطة الفلسطينية، وبتمويل أوروبي، وعبر دائرة المفاوضات بمنظمة التحرير، على تسويق هذه المبادرة عبر نشرها بالصحف العبرية ومخاطبة الإسرائيليين بها في الخمس الأخير من عام 2008، فقد صرح الملك السعودي عبد الـلـه بن عبد العزيز في مؤتمر الكويت في النصف الثاني من شهر كانون ثاني/يناير 2009، وبعد أيام من انتهاء الحرب على غزة، أن على إسرائيل أن تعرف أن المبادرة العربية المعروضة باسمه لن تكون لمدة طويلة على الطاولة، أي إن هناك إمكانية أن يقوم العرب بسحبها عن الطاولة.

زاد عدم الأمن والأمان بين الإسرائيليين بسبب انتهاء الحرب بدون حسم عسكري وبانسحاب أحادي الجانب من قبل إسرائيل واستمرار إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون على المستوطنات الإسرائيلية، حيث زاد ذلك الشعور بعدم الأمن والأمان بين الإسرائيليين، هذا يثبت فشل الحرب، وبالتالي فشل المؤسسة العسكرية في إسرائيل وعلى رأسها إيهود براك، الذي تبناها أثناء الحملة الانتخابية في إسرائيل حين قارن نفسه مع ليبرمان وغيره، بأنه من حمل السلاح وأطلق النار على غيره[1]، حدث هذا والإسرائيليون يعيشون بحالة أقل أمنا وأمانا في صفوفهم، ودل تقرير المخابرات العامة، الشاباك لعام 2008 على ما يلي: قتل 36 مواطنا إسرائيليا في عام 2008 نتيجة أعمال فدائية مقابل 13 عام 2007، وارتفعت بشكل كبير نسبة المقدسيين المشاركين في أعمال فدائية[2]، وبلغ عدد الصواريخ التي أطلقت على الجنوب من قطاع غزة عام 2008 ، 1600 صاروخ مقابل 1300 صاروخ عام 2007، وعلى إثر الحرب مباشرة طالب الجنرال عاموس غلعاد، رئيس الجناح السياسي والأمني في وزارة الحرب الإسرائيلية، بوجوب

1. انظر تصريح لأهود باراك نشر في صحيفة هآرتس 2 شباط، 2009 حين انتقد أفيغدور ليبرمان مؤكدا انه، أي ليبرمان، لم يحمل السلاح ولم يطلق النار رامزا انه شخصيا قام بحمل السلاح وإطلاق النار، بالطبع على الفلسطينيين.
2. نشر التقرير في صحيفة يسرائيل هايوم،"إسرائيل اليوم"الصادرة في 2 شباط، 2009.

التوصل إلى سلام مع سوريا لأن مثل هذا "يضعف ائتلافا متطرفا وأخطارا تلاقي إسرائيل صعوبة في مواجهتها"[1]، هو بهذا يعترف بفشله في الحرب حيث لم تعد إسرائيل قادرة على مواجهة أخطار.

وتوصل مسؤولون مهنيون إسرائيليون وهم في مناصبهم على إثر فشل حرب غزة إلى استنتاجات مهنية تم نشرها مؤخرا، وهي ذات أبعاد استراتيجية، ومن المتوقع أن تكون موضوع تقييم على مستويات كثيرة، من أبرزها:

1- حدد الجنرال متان فلنائي، نائب وزير الحرب الإسرائيلي خلال حرب غزة بعض الدروس من حرب غزة:

- سيتم الاستغناء في الحروب القادمة التي ستخوضها إسرائيل عن سلاح المدرعات والمشاة وسلاح البحرية.
- ستكتفي بسلاح الجو وبالاستخبارات والجبهة الداخلية[2]، ويشكل هذا اعترافا بفشل كل من القوات البرية وسلاح البحرية الذي عمل على حصار غزة وقصفها من البحر، وقد يشكل هذا بعينه بلبلة لأنه يتناقض كليا مع دروس مستفادة من حرب تموز/يوليو عام 2006 وحتى إثر حرب غزة، حيث إن سلاح الجو وحده لا يحسم معارك مثل تلك التي حدثت في لبنان وفي غزة، بل يتطلب الأمر قوات برية.

2- فشل استخباري إسرائيلي: ربما أن تصريح رئيس الاستخبارات المركزية الأمريكي، بناتا، أن المخابرات الأمريكية لا تعرف الكثير عن حماس يشكل فشلا استراتيجيا للمخابرات الإسرائيلية لأنها، كما تدعي، تعرف الكثير عن الفلسطينيين وتنظيماتهم، وتدعي أيضا منذ سنوات طوال، أنها الحليف لأمريكا في المنطقة

---

1. هآرتس 3 شباط/فبراير، 2009.
2. مقال كتبه المعلق العسكري لصحيفة هآرتس، أمير أورن، نشر على شبكة الإنترنت، ومن المتوقع انه نشر في العدد المطبوع، بتاريخ 6 شباط/ فبراير، 2009.

وتزودها بكل ما تملك في هذا المجال[1]، ويمكن تفسير هذا بعدة طرق من بينها:

أ- قوة التنظيم والانضباط الداخلي في حركة حماس وصعوبة اختراقها عالية حيت ترتكز على القاعدة القرآنية "ولا تجسسوا".

ب- التنسيق بين المخابرات الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية ضعيف لا سيما أنه من المتوقع أن تكون هناك اتفاقيات أمنية بينهما لتزويد أمريكا بمثل هذه المعلومات، إذا افترضنا أن إسرائيل تمتلكها.

ت- قد يعود إلى افتقار الاستخبارات الإسرائيلية نفسها لمثل هذه المعلومات رغم قيامها بسجن آلاف المعتقلين النشيطين لحركة حماس وعلى رأسهم مؤسس الحركة نفسه، ومختلف القادة الحاليين، وحاليا تعتقل إسرائيل عشرات القادة وآلاف الأعضاء لحركة حماس من بينهم وزراء، أعضاء في المجلس التشريعي، ورؤساء بلديات، وسواء كان التفسير قوة انضباط وتنظيم عالية لحركة حماس، أو عدم وجود المعلومات عند المخابرات الإسرائيلية فإنه يشكل ضربة للمخابرات الإسرائيلية وضربة للصورة التي تحاول تسويق نفسها بأنها "تعرف الكثير عن العرب ويمكن للغرب الاعتماد على هذا".

3- رئيس المخابرات العامة في إسرائيل يوفال ديسكين عارض بشدة الإفراج عن أسرى فلسطينيين مقابل الإفراج عن غلعاد شاليط، وغير رأيه بعد حرب غزة[2]، وبرر عدم موافقته في الماضي بوجود أخطار كبيرة منها أن الأمر سيزيد ظمأ حماس وغيرها لخطف جنود آخرين، وربما كان تفسير هذا التغيير بوساطة صحيفة هآرتس في مقال افتتاحي[3]: "إسرائيل لم تستطع الإفراج عن شاليط بقوتها الذاتية، ولم تستطع تغيير

---

1. نشر بواسطة وكالات الأنباء، وكتب على شاشة إحدى محطات التلفزة، ربما الجزيرة، في 6 شباط/فبراير، 2009.
2. يديعوت أحرونوت، 22 كانون ثاني/يناير، 2009.
3. هآرتس 9 شباط/فبراير، 2009.

مطالب حماس نحو المواقف الإسرائيلية، في هذه الظروف الحالية لا يوجد مفر أمام إسرائيل إلا الموافقة على الصفقة بالشروط المطروحة حاليا".

4- توصل قادة سلاح الجو الإسرائيلي، بعد الدور المكثف لسلاحه في حرب غزة، إلى أن السلاح لا يستطيع في حرب قادمة تقديم الدعم للقوات البرية كما كان الوضع في الحرب، وحسب قول أحد قادة السلاح الكبار فإن ذلك بسبب"تآكل الطائرات العمودية في هذه الحرب التي استعملت فيها ذخائر بكميات كبيرة من بينها إطلاق أكثر من 1000 صاروخ من نوع هيل فاير عوريف، ولم تحسم المعركة رغم استعدادات طويلة"[1].

الحرب هزت الاقتصاد الإسرائيلي الذي يعاني بطبيعة الحال من أزمة عميقة،فقد طلبت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية من الحكومة الإسرائيلية تخصيص مبلغ 3.5 مليار شيقل (حوالي 950 مليون دولار) لتغطية تكاليف الحرب، ورفضت وزارة المالية هذا وحددت أنها تستطيع تخصيص مبلغ 1.5 مليار شيقل، مما حدا بأولمرت لإقرار مبلغ 2 مليار شيقل كدفعة أولى للمؤسسة العسكرية، وأجبر أخيراً، وفق ما أعلن في وسائل الإعلام الإسرائيلية، على إقرار مبلغ 2.5 مليار شيقل.

وعلى مستوى آخر، تدفع إسرائيل، نتيجة هذه الحرب، ثمناً باهظاً في تسويق صادراتها إلى الخارج، بسبب صور الجرائم المروعة دفعت الناس لمقاطعة البضاعة الإسرائيلية في مناطق كثيرة من العالم، ويقول نحاميا شترسلر، المعلق الاقتصادي لصحيفة هآرتس: "مستهلكون أوروبيون كثر يقاطعون بشكل فعلي البضاعة الإسرائيلية، مثقفون ورجال فكر يطالبون بحرب اقتصادية ضد إسرائيل وفرض مقاطعة اقتصادية كاملة ورسمية"[2]، تركيا وجنوب إفريقيا هناك تباطؤ في التعامل مع التجار الإسرائيليين،

---

1. هآرتس 9 شباط/فبراير، 2009.
2. الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ذا ميركر، 3 شباط/فبراير ، 2009 ص 23.

والتوجه إلى تأجيل صفقات تجارية في المستقبل[1]، وإذا استمر رفض عمال من ميناء ديربن في جنوب أفريقيا تفريغ سفينة مستأجرة من قبل شركة إسرائيلية، سوف يعتبر هذا التطور نقلة نوعية في معاقبة إسرائيل[2]، وفي بريطانيا مطالب متزايدة لمقاطعة البضاعة الإسرائيلية وحتى عدم عرضها في المراكز التجارية على الإطلاق، ويقول غيل إيرز، الملحق الاقتصادي في السفارة الإسرائيلية في بريطانيا:"الجو غير مريح ويبدو أنه يعود إلى وجود الكثير من المسلمين ومن ذوي التوجهات اليسارية[3]، وفي الهند، رغم أن هناك تقارير تشير إلى استمرار النشاط الاقتصادي كما كان، إلا أن أنباء تشير إلى وجود ضغوطات من مجموعات يسارية في الهند لوقف التعاقد مع شركات إسرائيلية في مجال الأسلحة في صفقة وصل حجمها إلى 2.6 مليار دولار[4].

العبر من الحرب

كان من المفروض أن يتعلم الجيش من أخطاء قام بارتكابها في حروب سابقة، ولكن يبدو أن هناك من يوهم الآخرين أن الأمر كذلك، وهو في الحقيقة ليس كذلك، وحدد بروفسور يحزقائيل درور، أحد أعضاء لجنة فينوغراد، أنه حدث تحسن في حرب غزة في المجالات التالية عما كان في حرب تموز/يوليو عام 2006[5]:

1- عدم التصريح عن أهداف خيالية لا يمكن تحقيقها.
2- عرض خطط ميدانية أمام الحكومة.
3- تحديد توقيت العملية وفق العقلية الإسرائيلية وبدون انفعال.

---

1. الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ذا ميركر، 11 شباط/فبراير ، 2009 ص 18.
2. نشر أن سلطات الميناء قد استأجروا عمالا من الخارج لتفريغ السفينة المستأجرة من قبل شركة إسرائيلية.
3. الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ذا ميركر، 11 شباط/فبراير 2009، ص 18.
4. المصدر نفسه، ص 18.
5. هآرتس 29 كانون أول/ديسمبر 2008.

4- مفاجأة العدو.

5- مشاركة أكثر لوزيرة الخارجية.

6- استعمال سلاح الجو بشكل أنجع.

وقد نتساءل ما علاقة هذه المواضيع مع فشل الحرب على غزة؟ بدأت بعض الإصلاحات، مثل عدم تحديد أهداف كبيرة على إسرائيل، فتبين أن الأهداف التي حددتها إسرائيل، وإن بدت قليلة في نظر زعامة إسرائيل، كانت عصّية على التحقيق مثل القضاء على حركة حماس، وتغيير الواقع في القطاع بشكل جذري، ووقف إطلاق الصواريخ، ومنع تهريب الأسلحة، والإفراج عن الجندي شاليط.

وفشلت إسرائيل في اتباع قواعد الحرب كما نصت عليها المعاهدات الدولية، ولم تكن زيادة المطالبة بتقديم زعماء إسرائيل للمحاكمة لارتكابهم جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، وجرائم عدوان، وجرائم إبادة جماعية، بوساطة الكثير من الجمعيات الحقوقية في العالم، أمرا حيويا عند مئات الجمعيات الحقوقية في العالم، لولا دلائل أولية بأن إسرائيل قد ارتكبت جرائم حرب أي فشلها في اتباع قواعد الحرب كما ينص عليها القانون الدولي[1]، وكان الوقع حادا على الإسرائيليين، وفي مقابلة مع الدكتور المحامي الدولي لؤي ديب القاطن في النرويج وعضو الائتلاف الدولي للدفاع عن الفلسطينيين أشار إلى ما يلي[2]:

أولا: القانون في أوروبا يحمي حقوق الإنسان في كل مكان وكل من واجه انتهاكا لحقوقه يمكنه التوجه للقضاء في أوروبا.

1. هذه ليست المرة الأولى، فهناك دلائل تشير، من بينها ما ذكر في فيلم"مذكرات يوسف نحماني"إن ارتكاب جرائم حرب كانت متبعة منذ 1948، وهناك من يفكر في اللجوء لمقاضاة من بقي من المسؤولين عن تلك المجازر.
2. كانت المقابلة على معبر رفح مع أحمد منصور، في إطار برنامج "بلا حدود" الأربعاء 11 شباط/فبراير 2009.

ثانيا: محاولات إلغاء قوانين في أوروبا كي تسهل على إسرائيل الفلتان من المحاسبة القانونية، لن يفيد إسرائيل بعد أن تم تقديم دعاوي في العديد من الدول الأوروبية لأنه ليس للقانون أثر رجعي.

ثالثا: ناشد كل فلسطيني يسكن في أوروبا، قد أصيب قريب له من الدرجة الأولى أو تضررت له أملاك حتى ولو كان بشكل غير شرعي في إحدى الدول الأوروبية، أن يقدم دعاوي ضد إسرائيل.

رابعا: في النرويج قوانين هامة لمحاكمة قادة إسرائيل، ولن تخضع تلك القوانين لتغيرات أو لضغوط سياسية، وسوف يقدم دعوات ضد زعماء إسرائيل.

خامسا: لقد تذكر زعماء إسرائيل شطب أسماء المشاركين في الحرب متأخرا بعد أن تم الحصول على المشاركين في الحرب على حد ما قاله.

سادسا: هناك تعاون مع الكثير من الدول، ولاسيما في أوروبا وفي أمريكيا الجنوبية.

سابعا: عبر عن أمله وتفاؤله أن مرتكبي الجرائم في إسرائيل لن يفلتوا هذه المرة من العقاب، وسيكون، بعد محاصرتهم دوليا، أقل عقاب لهم البقاء في إسرائيل طيلة حياتهم، أي لا يستطيعون الخروج منها.

يقلق إسرائيل في هذا المجال عدة تطورات مما دفعها لإقامة لجان متخصصة من أجل منع هذا، ويرفضون نشر أسماء الجنود والضباط الذين شاركوا في الحرب ،ووصل بهم الأمر إلى "إخفاء، ومسح، أسماء ضباط في وثائق رسمية"[1]:

أولا: فشلت محاولة إخفاء آثار أعمالها من تدمير وقتل بعد أن منعت الصحفيين من دخول غزة رغم حصولهم على إذن من المحكمة العليا بذلك، وتراكمت دلائل قانونية واضحة لتجريم قادة إسرائيل، يقول البروفسور الاسرائيلي رتشارد فولك، المفوض التابع للأمم المتحدة تجاه المناطق الفلسطينية، أن هناك دلائل قانونية تجرم إسرائيل بارتكاب جرائم حرب في غزة، مضيفا:"لا يوجد لإسرائيل حق في

1. هآرتس 5 شباط/فبراير 2009.

(يقصد في دوافع هذه الحرب) الدفاع عن نفسها وفق القانون الدولي،"وطالب بتشكيل لجنة تحقيق مستقلة في الأمر"[1].

ثانيا: بدأ مدعي محكمة الجنايات الدولية، لوي مورنو أوكامبو، بعد طلب رسمي من السلطة الفلسطينية النظر في بدء التحقيق.

ثالثا: هناك تحضيرات من قبل مئات الجمعيات في العالم لمقاضاة قادة الاحتلال.

رابعا: بدأت المطالبة في إسرائيل لإجراء تحقيق رسمي تحت شعار "إذا لم يكن هناك ما نخفيه، لماذا لا يتم التحقيق؟"[2].

خامسا: بدأ المدعي العام في تركيا التحقيق في الأمر بناء على شكاوى قدمت بواسطة جمعيات وهيئات إسلامية.

سادسا: هناك يهود من بين النشيطين لمحاسبة حكام إسرائيل، فقد وجهت منظمات يهودية في العالم نداء إلى الجنود الإسرائيليين طالبتهم فيه: التوقف عن ارتكاب جرائم حرب في غزة[3]: "نحن يهود من كل بقاع الأرض نناشد جيش إسرائيل الاعتراف بأن جرائم تنفذ ضد سكان غزة، نحن لن نسكت حين يجبر قادة إسرائيل الجنود على ارتكاب جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، وسوف يأتي يوم يقدم فيه هؤلاء للقضاء، جنوداً إسرائيليون أصحاب ضمير يستطيعون ومجبرون على

1. مقابلة مع وكالة رويترز نشر على موقع nana10.co.il في 22 كانون ثاني/يناير 2009
2. نشر في هآرتس، 4 شباط/فبراير 2009، ووقّع عليها كل من جمعية حقوق الإنسان في إسرائيل، بمقوم- نخطط من أجل حق التخطيط، بتسيلم-مركز المعلومات الإسرائيلي حول حقوق الإنسان في المناطق، غيشا- مركز المحافظة على حق التحرك، اللجنة العامة ضد التعذيب، ياش دين-منظمة متطوعين لحقوق الإنسان، مكان حماية الأفراد، عدالة-المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل، أطباء لحقوق الإنسان، المحافظون على القانون-ربانيون من أجل حقوق الإنسان.
3. هآرتس 23 يناير، 2009. وقعوا على العريضة أكثر من 800 شخص ومن 39 دولة. الأسماء الكاملة موجودة على الموقع التالي: www.ajjp.org/campaigns/ViewOpenLetter.php

إيقاف هذه الحرب الخطرة، غير القانونية، وغير الأخلاقية، وإن هذه الحرب الإجرامية لا تساهم في خدمة أمن ورفاهية اليهود، نناشدكم اتخاذ الإجراءات لوقف هذه الجرائم التي ترتكب ضد الشعب الفلسطيني، ونطلب منكم عدم الانصياع لأوامر غير قانونية، نطالبكم بوقف الحرب، وأنتم قادرون".

سابعا: كثير من المقالات بدأت تناقش هذا الموضوع، حيث كتب الصحفي الإسرائيلي المخضرم أوري أفنيري في 31 كانون الثاني، يناير عام 2009 مقالا تحت عنوان "علم أسود"[1] عبر فيه عن سعادته لتقديم قادة إسرائيليين للمحاكمة في أسبانيا لقيامهم بجرائم حرب وجرائم بحق الإنسانية ضد الفلسطينيين[2]، وأضاف ليس هناك أدنى شك في أن جرائم حرب قد ارتكبت في حرب غزة، والسؤال الذي يبقى للإجابة عنه هو ما حجمها ومن الذي قام بارتكابها شخصيا؟ ولم يخالفه في هذا الرأي الصحفي الإسرائيلي غدعون ليفي الذي قال "كل من يتتبع الحرب على غزة يعرف أن جرائم حرب قد ارتكبت وبقي السؤال من هو المسؤول؟[3]، وأكد الكاتب الإسرائيلي يغئال لبيب أن قرار إسرائيل منح جنودها الحماية القضائية وعدم نشر أسماء أو صور الجنود الذين اشتركوا في حرب غزة هو إقرار بارتكاب جرائم حرب،"وأضاف"لقد تصرف الجيش الإسرائيلي في غزة كما تصرف سلوفودان ميلوسوفتيش، تجاه المسلمين في بلاد البلقان[4].

ومع هذا سوف تحاول إسرائيل إثبات أن ما قامت به هو قانوني ويسير وفق

1. نشره على موقعه في الانترنيت تحت عنوان:
2. بسبب قيامهم بقصف بيت كان يسكن به الشيخ صلاح شحادة في 22 تموز 2002 حيث قتل معه 13 إنسانا معظمهم من الأطفال.
3. هآرتس 1 شباط/فبراير 2009.
4. مقال كتبه يغئال لبيب، نشرته موقع nana10.co.il بتاريخ 29 كانون ثاني/يناير 2009 في صفحة "أخبار، وأراء اليوم".

المسلمات والأعراف الدولية، وتعلن ذلك على الرغم من ثبوت حقائق خطيرة من بينها:

1. تفاجأ الكثير من الأطباء والمراقبين أن إسرائيل استخدمت أسلحة محرمة، حددها طبيب مسؤول في مستشفى الشفاء في غزة بأنها تشمل: قنابل الفسفور الأبيض، قنابل الدايم، واليورانيوم المخضب واليورانيوم الفعال[1]، وأكدت الصحفية عميرة هيس، أن ما حدث في غزة يلائم نتائج متوقعة من استعمال الفسفور الأبيض كما حُددت في ثلاث وثائق إسرائيلية رسمية[2].
2. استهدفت إسرائيل الكثير من الأهداف المدنية مثل قصف مدرسة الفاخورة في مخيم جباليا بقنابل فسفورية بيضاء وشاهدها العالم على قناة الجزيرة بثاً حياً، وتدعي، رغم إنكار ممثلي وكالة الأونروا، المسؤولة عن المدرسة، أنه قد أطلقت النار على قواتها من المدرسة نفسها، وحين قصفت إسرائيل مخازن الاونروا وحرقت آلاف الأطنان من المؤمن والاحتياجات الأساسية ادعت أن مقاومين أطلقوا النار على قواتها من المكان، الأمر الذي عاد ونفاه المتحدث باسم الأونروا في قطاع غزة.

مفاجآت الحرب

بعد فترة قصيرة من حرب غزة 2009/2008 يمكن تحديد المفاجآت التي لعبت دورا في انتصار المقاومة الفلسطينية على الجيش الإسرائيلي، ومن أهمها:

المفاجأة الأولى: الإنسان الفلسطيني

من أبرز المفاجآت في هذه الحرب هو الإنسان الفلسطيني، المؤمن بربه، وبعدالة قضيته، وبنفسه، وبأن الوقت قد حان لدفع الثمن من أجل الحياة الحرة الكريمة، حيث يعتمد هذا الإنسان على القرآن كخارطة طريق لمحاربة أعدائه، ولا يتجاهل دور العدة في مواجهة الأعداء، ويرون أنه فريضة دينية:"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللـه وعدوكم.."، وعندما وضع الفلسطيني الجديد نفسه أمام

1. مقابلة مع رئيس في مستشفى الشفاء، مقابلة مع الجزيرة، 5 شباط/فبراير، 2009 النشرة الإخبارية المسائية، الساعة 19:00.
2. هآرتس 5 شباط/فبراير، 2009.

خيارين، إما النصر أو الشهادة، حارب بشراسة، وقد أكد جنود إسرائيليون أنهم واجهوا مقاتلين فلسطينيين عنيدين يتصدون بكل قوة للقوات الإسرائيلية، ولم يقع الكثير منهم في الأسر رغم قيام إسرائيل بتحضير عدة معسكرات اعتقال ضخمة لاستيعاب آلاف الأسرى الفلسطينيين، وليس هذا فقط، بل قامت إسرائيل بإغلاق عيادات إسعاف أولي نصبتها قرب الحدود كي تقوم بإسعاف الجرحى الفلسطينيين، لأنهم، رغم الحاجة الماسة للإسعاف، رفضوا القدوم إلى هذه العيادات.

وفي أغلب الأحيان يكثر زعماء حركة حماس الاقتباس من القرآن الكريم في تفسير ما يجري مما يساعد على التحمل والتفاؤل لدى مقاتليهم، حيث هناك الكثير من الآيات تتحدث عن النصر "ألا إن نصر اللـه قريب"، أو الحديث الشريف "النصر صبر ساعة"، وكثر خلال الحرب التحريض على القتال واستحضروا عشرات المرات القول الإلهي "وحرض المؤمنين على القتال..."، ولم ينسوا في خطاباتهم تحريض المؤمنين على عدم الهوان والضعف، ومن بين أبرز الآيات القرآنية التي تحث على عدم الهوان:"ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من اللـه ما لا يرجون، وكان اللـه عليما حكيما" (النساء، 104)، وفي موقع آخر في القرآن الكريم يقول اللـه تعالى"ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين" (آل عمران، 139)، ويقول اللـه أيضا:"فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلم وأنتم الأعلون واللـه معكم ولن يَتِركم أعمالكم"، (محمد، 35)ـ فقد تحدث إسماعيل هنية في أول إطلالة له خلال الحرب، بكثافة من القرآن الكريم وارتكز على السنة النبوية، واختتم خطابه بدعاء مثير ومؤثر رأى فيه معلقون أسلوبا جديدا في مخاطبة الناس على المستويات كافة، ووصل إسماعيل هنية القمة، حين وجه كلامه لمقاتلي حماس والمقاومة بعامة وقال لهم "أقبّل الأرض التي تحت أقدامكم"[1].

1. هذا يذكرنا بخطاب السيد حسن نصر اللـه، خلال حرب تموز/يوليو، 2006 حين خاطب مقاتلي حزب اللـه وقال: (أقبل أقدامكم)، فكلاهما استوحى الفكرة من قصيدة كتبها شاعر المقاومة الفلسطينية، توفيق زياد،وغناها أحمد قعبور وتقول كلماتها: "أناديكم، وأشد على أياديكم، وأبوس الأرض تحت نعالكم وأقول أفديكم".

وعلى مستوى استراتيجي يدخل في مجال الثقافة السياسية الفلسطينية، كشف الدكتور خليل الشقاقي[1]، في محاضرة في الجامعة العبرية له في مؤتمر شارك فيه كثير من الأمريكيين الذين كانوا عبر سنوات طويلة فاعلين في"محاولات التوسط"في الصراع العربي-الإسرائيلي، ونظرائهم الإسرائيليين، وبخاصة السفراء، إن الفلسطيني لا يغير موقفه السياسي مقابل إغراءات مادية[2]، وهذا ما جعل الكثير يستغربون هذا، وينظر الواحد إلى الآخر، ربما لسان حالهم كان يقول، هذا ما كنا نجهله، وربما هذا ما يفسر الفشل الذي لم يحرز حتى الآن في عملية المفاوضات والتحاور بين الطرفين، كما حددته دراسة جديدة من معهد السلام الأمريكي[3]، وهذا ما تأكد من أخبار نشرت يوم الجمعة 13 شباط/فبراير عام 2009 أن حركة حماس قد رفضت الحصول على 400 مليون دولار مقابل الإفراج عن الجندي المخطوف غلعاد شليط[4]، نفس النتيجة الهامة يمكن استخدامها لتفسير صمود أهل غزة وأهل الضفة في الحصارات المتعددة التي وصلت قمتها في حصار غزة لأكثر من سنتين، إن الفلسطيني لا يغير موقفه نتيجة نقص في الأموال والإغراءات المادية الأخرى.

---

1. مدير المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في رام اللـه، فلسطين، الذي يجري استطلاعات ومسح دوري بين الفلسطينيين.
2. المؤتمر عقد في الجامعة العبرية، القدس في 28 كانون ثاني/يناير 2009 تحت عنوان:
"American Mediation in the Israeli-Arab Conflict"، sponsored by: the United States Institute of Peace، Fulbright، Swiss Center the Hebrew University، Jerusalem.
3. Daniel C. Kurtzer، Scott B. Lasensky (2008) "Negotiating Arab-Israeli Peace: American Leadership in the Middle East"، United States Institute of Peace Press، Washington D.C،
4. الخبر نشر في صحيفة "الجمهورية" المصرية نقله موقع صحيفة هآرتس، في 23 شباط/فبراير 2009.

المفاجأة الثانية: الشهادات الإسرائيلية

وصفت مصادر عسكرية إسرائيلية الحرب في شرق غزة بأنها "صعبة، يقف أمامنا مقاتلون متفوقون وحكماء واستطاعوا إقامة تحصينات جيدة"[1].

ضابط إسرائيلي يحمل اسم أيلان مالكة يقول عن قوات المقاومة[2]: "حتى بعد أن تسيطر على منطقة، تتأكد بسرعة أنك لم تسيطر عليها، لأن مقاتلي المقاومة مختبئون تحت الأرض، في اليوم الثاني هاجمنا فدائي، خرج من نفق بين بنايتين، وبدأ يطلق النار، خلق بلبلة، كان علينا الاهتمام أن لا يتم إطلاق النار علينا من قبل قواتنا، من برج في تل الهوى أطلقوا علينا النار من الطبقات العليا ونحن في الطابق الأول، قمنا بمفاجأتهم ولكنهم استمروا في المواجهة، أطلقوا قذائف الأر بي جي على مدرعاتنا ودباباتنا ومصفحاتنا، أصابوا مصفحة وكادت أن تنفجر وتقتل بداخلها 10 جنود... حين يشعرون بقوة الطرف الإسرائيلي ينسحبون إلى الوراء...".

الضابط آبي:"واجهنا قوات مهنية جداً... وجدنا بيوتا مفخخة.. هناك في غزة أناس عرفوا التفخيخ أكثر من معرفة قائد مماثل في إسرائيل، كلما دخلنا إلى الجنوب، داخل المدينة، حارت حماس بشكل جدي وأكثر شراسة".

المفاجأة الثالثة: قوة صوت الناخب حاسمة، الديموقراطية الفلسطينية

كشفت حرب غزة مدى قوة الصوت حين يلتقي مع قوة الرصاصة في مقاومة أكثر الجيوش تجهيزا في الشرق الأوسط، ويستطيع كلاهما معا، إفشال الحرب الإسرائيلية وإجبار إسرائيل بعد ثلاثة أسابيع على الانسحاب الأحادي الجانب، أثبتت حرب غزة أن الفلسطيني حين يصوت لإنسان يرى في صوته عهدا أن يقف إلى جانب ذلك الإنسان حين يتعرض للخطر بسبب ما طرحه أمام الناخب كي يحظى بصوته، حين صوت أغلب الفلسطينيين في قطاع غزة لصالح حركة حماس لن يتركوها لوحدها تواجه الحرب الإسرائيلية، ويصبح الالتزام شخصيا وجماعيا في آن واحد.

1. هآرتس 5 كانون ثاني/يناير 2009.
2. هآرتس 23 كانون ثاني/يناير 2009.

مهما حاول البعض، وبخاصة في الغرب تبرير سياستهم في فرض الحصار على حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية التي تشكلت بعد انتخابات المجلس التشريعي في كانون الثاني/يناير عام 2006، خدمة لمصالح ضيقة، وخلافا لمبادئ يطبقونها في بلادهم ويرددونها، فإن ما قاموا به كان خطأ كبيراً، وسوف يتأكدون أن الانتخابات الفلسطينية في كانون الثاني/يناير عام 2006 كانت مفصلاً في تاريخ تطور الديمقراطية في الشرق الأوسط.

المفاجأة الرابعة: الحصار انقلب إلى نقمة على إسرائيل خلال الحرب

حين يتعود الإنسان، الذي يؤمن بعدالة مسيرته الحياة، لصعوبات يلجأ إلى الصبر، وحين يوقن أن الـلـه يطلب منه عند المحن أن يصبر ويصابر، يزيد هذا الأمر من قدراته على تحمل المشقات، فالحصار كان شاقا جداً، ولكن أهل غزة تحدوه مدركين جيداً منذ البداية أن الهدف منه كان إخضاع الشعب الفلسطيني لمسار التسوية، والسير في طريق لا يرغبون فيه، وأصبحت المعادلة في نظرهم تحدي الاحتلال وعدم الرضوخ لمطالبه.

مع الإيمان والفهم السياسي لأهداف الحصار، أصبح الحصار عاملاً مساعداً للصمود خلال الحرب، فقد أوقف الحصار منذ البداية النشاطات الاقتصادية بنسبة كبيرة الأمر الذي وضع الإنسان الفلسطيني في وضع من ليس عنده ما يخسره، وهذا ما زاد شراسة المقاومين، فالحصار قد رفع قدرة الفلسطينيين على التحمل ،وكان شاملا لأن جميع الناس كانوا ضحية له، الحصار الذي فرضته إسرائيل أفقد الكثير من الناس أعمالهم فوجد الآلاف منهم خياراً، وهو الانخراط في صفوف المقاومة للعمل ولبناء الدشم وحفر الأنفاق والتحصينات، ولم نفاجأ حين كتب في وسائل الإعلام الإسرائيلية أن بيوتا احتلت في تخوم مدينة غزة كانت موصولة بالعديد من الأنفاق في آن واحد، يقول إيلي يشاي، وزير التجارة والصناعة في إسرائيل أنه "لو كان في غزة أماكن عمل وصناعات لعرف الطرف الفلسطيني أنه سيخسر، وستكلفه استمرار إطلاق الصواريخ بهدم الصناعة عنده، مما يجبرهم على وقف إطلاق النار"[1].

1. الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، ذا ماركر، 3 شباط/فبراير 2009، ص13.

بالإضافة إلى هذا، كان مفعول الحصار محدودا للعوامل التالية:

1- هناك حدود حمراء لا تستطيع إسرائيل تجاوزها رغم محاولات الابتزاز المتكررة من بينها أنها إن جوعت الناس ومنعت عنهم المياه ستواجه محاكمة جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية وفق اتفاقيات جنيف السارية في تلك المناطق،ووفق قرار محكمة العدل الدولية في موقفها تجاه جدار الفصل العنصري في المناطق المحتلة.

2- أغلب سكان غزة من اللاجئين وتكفل الأمم المتحدة تزويدهم بالمعونات الأساسية، منع هذا والمس به قد يعرض إسرائيل للمقاضاة.

3- لعبت الأنفاق دوراً في تمرير أمراً وما يطلبه الناس والمنظمات.

المفاجأة الخامسة: المقاومة عبر دروس التاريخ

يبدو أن قادة حماس ومختلف منظمات المقاومة قد استعدوا لمواجهة إسرائيل وفق أسس علمية ترتكز على قاعدة تحديد العدو بدقة ودراسته مع تقييم دقيق لنقاط القوة ونقاط الضعف عند المقاومة وعند الطرف الآخر، وكان من أبرز الاستعدادات:

1- هناك دراسة جيدة لطبيعة المنطقة طبوغرافيًا، عرف وقدر دور الأنفاق، والأمر ممكن بل سهل لأن منطقة غزة منطقة ساحلية رملية ولا يتطلب حفر الأنفاق والدشم والملاجئ فيها جهوداً كبيرة.

2- الاعتماد على قوتهم الذاتية لأن إمكانية محاصرة المنطقة أمر متوقع، لذا عندما قدمت إسرائيل، خلال الحرب، وحاصرت غزة والعديد من المدن، كان الجواب لهذا "فهل يحاصر المحاصرون؟"، أقيمت مصانع، ولو كانت بدائية، لصناعة العبوات والقنابل اليدوية والأسلحة الخفيفة كذلك قاذفات الدروع وصواريخ القسام وما تتطور عنه، وهذه جميعها سلاح فعال في حرب المدن والتجمعات السكنية.

3- انتهجت المقاومة استعمال الصواريخ كسلاح لإرهاب العدو، ليس بالضرورة قتله تمشيا مع الأمر القرآني :"ترهبون به عدو اللـه وعدوكم"، من أجل تحقيق هدفين في آن واحد:

أولا: خلق خوف وذعر عند المستوطنين الإسرائيليين ليصبح استيطانهم للأرض غير آمن، وخاصة أنهم يسكنون قرى ومدنا للاجئي غزة بعد طردهم منها عام 1948[1].

ثانيا: خلق ميزان رعب إستراتيجي، ليترجم محصوله بمكاسب سياسية، نجح هذا الاستعمال في حرب تموز/يوليو عام 2006 على لبنان، ونجح في حرب غزة 2009/2008.

4- عرفوا أن سر نجاحهم في مقاومة الإسرائيليين هو الالتحام مع الناس وجعل الناس يشعرون أن المقاومة هي من أجل الدفاع عنهم، وما زاد العلاقة قوة هو نجاح قيادة المقاومة في خلق نموذج في التضحية، حيث هناك الكثير من القادة استشهدوا، وكان على رأسهم الشيخ أحمد ياسين، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي، وخلال الحرب تم اغتيال البروفسور نزار ريان[2]، وبعد أسبوعين قتلت إسرائيل القائد ووزير الداخلية ورئيس كتلة حماس في المجلس التشريعي سعيد صيام، حين كان في بيت أخيه، بالإضافة، هناك من استشهد أولادهم وكان من أبرزهم الدكتور محمود الزهار حيث سقط اثنان من أبنائه شهداء، هذا النموذج يزيد الانضباط والاستعداد عند الإنسان لتقديم أغلى ما يملك.

5- استفاد الفلسطينيون من تجارب الشعوب الأخرى، وخاصة تجربة المقاومة اللبنانية، والتجربة الفيتنامية، والتجربة الصينية، ولم ينسوا التجربة الروسية في محاربة الغزاة

1. أكثر من 75% من سكان غزة من اللاجئين وقد تم تهجيرهم أو تهجير آبائهم وأمهاتهم من القرى والمدن المجاورة لقطاع غزة عام 1948.

2. إسرائيل في حملتها النفسية ادعت أن زعامة حماس تختبئ وتترك الساحة للمدنيين كي يقتلوا. لقيت حليفا لها: السفير المصري السابق في إسرائيل محمد بسيوني، رئيس اللجنة الخارجية في البرلمان المصري، الذي قال إن قادة حماس يختبئون ولا يهتموا إلا بأنفسهم" هآرتس 2 كانون ثاني/يناير 2009.

حتى منذ زمن نابليون في بداية القرن التاسع عشر التي رسمها جنرال كوزوطوف حين أمر تجنب المواجهة مع القوات الفرنسية الغازية في المناطق التي تحظى هي بتفوق نوعي وكمي، ولم يتصدى لها إلا في حالات معينة لينهكها، حيث اتبعت المقاومة الفلسطينية التكتيك نفسه، القوات الإسرائيلية المناطق المكشوفة وغير المسكونة وتعرضت لمقاومة هنا وهناك، فقد احتلت خاصة حين حاولت دخول الأحياء السكنية، وانسحبت في النهاية دون أن تواجه قوات المقاومة الأساسية، وفيما يتعلق بالحصار، عرف الفلسطينيون أنهم ليسو أول من يحاصر ويتألم، عرفوا جيدا حصار النازيين لمدينة لننغراد، بتروسبيرغ، الروسية لمدة 900 يوم، ومات مئات الآلاف منهم جوعا، لكنهم، بسبب إيمانهم بعقيدتهم وبعدالة قضيتهم التي تتلخص في طلبهم العيش بحرية وبكرامة، انتصروا على الظلم النازي وعلى العدوان.

المفاجأة السادسة: جنرال الإعلام

إلى جانب العوامل السابقة التي لعبت دوراً في حسم حرب غزة وتحقيق نصر للمقاومة على الجيش الإسرائيلي (صمود أهل غزة، المقاومة فيها، الدعم الرسمي الشعبي في المنطقة وفي العالم اجمع، غباء القادة في إسرائيل) تلعب وسائل الإعلام دوراً حاسماً ومتداخلاً في جميع هذه العوامل، فهي التي كشفت الجرائم وكشفت بهذا المقاومة والصمود وضحالة القادة متخذي القرار، سواء كانوا من السياسيين أو العسكريين في إسرائيل، وتعتبر عاملاً أساسياً في حسم الحرب، وتكون حرب غزة أول حرب في تاريخ البشرية تحسم بشكل كبير بوسائل الإعلام، ويمكن اعتبارها "جنرال إعلام" حين نقل هذا الجنرال وفي أغلب الأحيان ببث حي، إلى بيوت جميع سكان المعمورة ما تقوم به إسرائيل، هذا ما دفع الناس للتظاهر، وللتعاضد، وللوقوف إلى جانب سكان غزة المظلومين (صورة داوود) ووقوفه في وجه قادة إسرائيل الظالمين المدججين بالسلاح (جالوت)، الصحفي الإسرائيلي سيفر بلوتسكي يلخص ما سمعه وما شاهده في العالم

الذي شاهد ما بعث له هذا الجنرال المؤثر[1]: "إسرائيل خسرت في الحرب، خسرت بشكل كبير رغم استخدامها قدرات عسكرية كبيرة لم تستطع كسر حماس، ولم تقلل من قوتها، وفشلت في الحملة الإعلامية عندما وصفتها بأنها منظمة إرهابية تشكل خطراً على سلام العالم، هذا ما يقولونه اليوم "ليس فقط معارضوها ومنتقدوها وإنما أصدقاؤها ومؤيدوها الكبار... وتأتي من أناس أصحاب توجهات مختلفة، والاستطلاعات في الدول الغربية تقول إن إسرائيل لم تتغلب على حماس، وبهذا فقد خسرت"، يقول يهود من نيويورك: "لم تهزم حماس، لم يتم القضاء عليها، لم تستسلم حتى بالأمر اليسير المتوقع من منظمة مهزومة، على العكس، بقيت نشطة، تعرض شروطا، ماذا جنيتم؟ أين أخطأتم استراتيجيا؟"، ما أتى به الصحفي في استنتاج وكتبه للإسرائيليين: "حرب غزة التي يراها الإسرائيليون على أنها انتصار، شرّعت حركة حماس، ومنحت إسماعيل هنية شرعية".

أدركت إسرائيل أهمية هذا الجنرال حتى قبل بدء هجومها، حيث منعت دخول الصحفيين إلى قطاع غزة، ولم يستسلم هذا الجنرال، فكانت الصحافة موجودة على أرض المعركة، ودخل كثير من المراسلين من الجانب المصري عبر معبر رفح، ولاقى هذا الجنرال دعما وترحيبا من جانب المقاومة، فاهتمت بتأسيس وسائل إعلام ذاتية (حيث أقيمت مرئية الأقصى وعدد من محطات الراديو المحلية)، ودأبت على تقديم مختلف التسهيلات للصحفيين على اختلاف جنسياتهم ومؤسسات عملهم، وكان لمرئية الأقصى دور مهم في نقل الخبر، وتأليب الناس وتحريض المقاتلين على القتال ببث الأغاني الثورية، والمقابلات المختلفة، وإتاحة الفرص لقادة المقاومة لمخاطبة أهل غزة والعالم أجمع[2].

من جهة ثانية لا بد أن نذكر دور وسائل الإعلام الإسرائيلية في تضليل الإسرائيليين، فحين تسمع وسائل الإعلام العربية أو تلك الناطقة بلغات أجنبية التي كانت تنقل الصورة

1. يديعوت أحرونوت، 27 كانون ثاني/يناير 2009
2. من أبرز محطات التلفزة التي كانت تبث مباشرة من غزة: الجزيرة (العربية والإنجليزية)، الأقصى، القدس، المنار، العالم، البي بي سي.

والتعليق من غزة، وفي أغلب الأحيان بثاً حياً، وحين تسمع المرئيات الإسرائيلية، وتقرأ الصحف العبرية، تستنتج أن كل جانب يتحدث عن حدث آخر، ربما منطقة أخرى من العالم، وتبين في النهاية، أن الصورة الحية، هي أكثر صدقاً، ولم يكن بالصدفة أن قامت إسرائيل بمنع الصحفيين واكتفت بالتصوير الجوي التابع لجيشها، الذي صور وتغنى على أن الطيران الإسرائيلي قد أحرز إنجازا كبيرا حين قصف سيارة تنقل صواريخ غراد ونشرتها إسرائيل بشكل مكثف، ونشرتها وسائل إعلامها في جميع أرجاء العالم، تبين بعد تحقيق أجرته صحيفة هآرتس، وأحدث هزة كبيرة عند العديد من الصحفيين في إسرائيل، أن ما تم قصفه وتصويره كان نقل بالونات أكسجين من مكان لآخر بعد أن تعرضت إحدى المحادد إلى قصف جوي، كانت النتيجة أن قتل في القصف أولاد وزملاء الحداد أحمد سمور الذي قال:"فليأت خبراؤكم ليفحصوا، لم يكن هنا صواريخ وإنما بالونات أوكسجين"، وأضاف في مقابلة مع صحيفة هآرتس[1]: "من قتلوا لم يكونوا حماس وإنما أولادنا (عماد سمور 32 وأشرف الدبار 30، محمود غباين 15، رامي غباين 23، أحمد حيلي 19، محمد ماضي 17، وسام عيد 14، محمد خبر 20، بالإضافة إلى جرح أربعة أشخاص من بينهم اثنان في حالة خطرة: بلال غباين 19، وأخيه بهاء غباين 16.

زد على هذا، أتاحت وسائل الإعلام فرصة للناس كي تقارن بين قادة المقاومة ربما دون تمييز حين يتحدثون بثقة وإيمان وقدرات خلاقة ويخاطبون الناس على وجه هذا الكون، وبين قادة إسرائيل، مثل أولمرت الذي يتحدث بعصبية وربما رأسه مشغول في كيفية مصارعة إيهود باراك أو أي طريقة مقبولة للفلتان من التحقيقات الشرطية التي تحيطه من كل جانب بسبب فساده وغشه وخيانته للأمانة.

المفاجأة السابعة: انتصار فلسطيني في حرب الإنترنت

جنباً إلى جنب مع الحرب على غزة، رد الفلسطينيون والعرب والمسلمون في مختلف مناطق الأرض بنشاط منقطع النظير على شبكة الإنترنت لمساعدة أهل غزة والرد على

1. هآرتس 2 كانون ثاني/يناير 2009

الدعاية الإسرائيلية التي عملت إسرائيل فترة طويلة لخلقها من أجل إقناع العالم بوجهة نظرها، ونشر في إسرائيل أنه منذ بداية الحرب تم اختراق آلاف المواقع الإلكترونية الإسرائيلية من بينها موقع حزب العمل الذي يعمل إيهود باراك، وزير الحرب في إسرائيل، رئيساً له[1]، وكان لهذا النشاط دور في حسم المعركة:

1- نجح هذا النشاط في تعبئة وتجنيد الكثير من الفلسطينيين، العرب، المسلمين، أو الأحرار ليناصروا أهل غزة وشعب فلسطين.

2- استطاع هذا النشاط نقل جرائم الحرب حية إلى بيوت العالم مما شحن الهمم ودفع الكثير نحو التساؤل"ما العمل؟"ووجدوا بوسائل الاتصالات الالكترونية المتاحة والفعالة وسيلة سهلة للقيام بما رأوا أن من واجبهم القيام به.

3- انتشار الفلسطينيين في العالم منحهم فرصا للتعلم وفرصا للاحتكاك مع الكثير من شعوب العالم فيتكلمون لغاتهم ويعرفون ثقافاتهم عن كثب، ولكنهم لم ينسوا أرض الآباء والأجداد وللكثير منهم أرض الأبناء، هذا، مع إدراك أهمية وسائل الاتصالات الحديثة وامتلاكهم الإمكانيات لمخاطبة الشعوب الأخرى بلغاتهم معبرين عن أحاسيس صادقة، مما ساعد على زيادة تأييد العالم للقضية الفلسطينية، وأتقن داعمو أهل غزة استعمال الفيسبوك، واليوتوب، والمنتديات المنتشرة على سطح هذا الكون[2]، إضافة إلى إرسال رسائل ومقالات وصور على البريد الإلكتروني حيث يستطيع كل شخص إرسال مئات الرسائل والمعلومات الإعلامية.

---

1. ذا ميركر، الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس 7 كانون ثاني/يناير 2009 ص4.
2. بعد فتح الحدود أمام الصحفيين دخل مراسلو واشنطن بوست إلى غزة، وكتب الصحيفة تقريرين مهمين: الأول تحت عنوان (No Home to Return to In Gaza) بتاريخ 23 كانون ثاني/يناير 2009، والمقال الثاني حمل عنوان (Battered Gaza Still In the Grip of Hamas) نشر بتاريخ 24 كانون ثاني/يناير 2009، وما لفت الانتباه هو نوعية ردود الفعل (comments) لهذه المقالات التي نشرت على شبكة الإنترنت، والتي كان أغلبها مؤيدا ومتعاطفا ويناقش الموضوع بثقة وبحماس.

ورغم استعداداتها المسبقة وتطوير نشاطات في قسم الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، فشلت إسرائيل في حرب الإنترنت، فقد تحدثت على الهواء سفيرة إسرائيل في بلجيكا وهولندا خلال الحرب وقالت إن الصور التي تصل المشاهد الأوروبي قد حسمت المعركة الإعلامية وأن لا مجال للكلمات أمام الصور الصعبة القادمة من غزة[1].

يقول الكاتب المتخصص الإسرائيلي معيان كوهن: "كل أفلام الجيش الإعلامية التي ترتكز على الشرح المنطقي لا تستطيع التفوق على صورة واحدة من الجانب الفلسطيني تصف ما يدور على ساحة القتال"[2].

المفاجأة الثامنة: توازن الرعب تحقق استراتيجيا

حققت، بل ثبّتت حرب غزة ميزان رعب بين إسرائيل والمقاومة الفلسطينية، ومن الصعب تجاهل هذا من الجانب الإسرائيلي مهنياً، فقد بدأ التحول نحو خلق ميزان رعب بين الطرفين مع بداية انتفاضة الأقصى، حيث بدأ الفلسطينيون يؤلمون الإسرائيليين بشكل محسوس، ليفقد الإسرائيليون جزءا من أمنهم وأمانهم، ومنذ ذلك الوقت وهم يحاولون استعادة الأمر باستعمال كثير من الوسائل، أهمها: الاغتيالات والبطش وبناء الجدار العازل، إلا أن هذا لم ينجح، وكان أول من توصل إلى هذه المعادلة لتكون منطلقاً للتوصل إلى حلول مع مختلف الجهات الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس حين حدد في بداية انتفاضة الأقصى قائلا:"بدأ الشعب الفلسطيني يطور نفسه بمواجهته مع العدو بالأساليب والأسلحة نفسها التي يستخدمها العدو.. ويبقى المستوى البسيط الذي يملكه الشعب الفلسطيني أقوى من المستوى الذي يملكه العدو، لأن المهم أن تحدث في هذا العدو خسائر وأن تحدث لدى العدو توازن رعب... نحن نموت ونزغرد ونخرج بمسيرات ونواجه بالحجر لكن العدو يولول ويهرب ويخاف.. الجندي الذي يركب الدبابة، والقنبلة

1. سمعتها على البث الهوائي في الأسبوع الثاني من الحرب، قد تكون السفيرة في بلجيكيا أو قد تكون السفيرة في هولندا.
2. ذا ميركر، الملحق الاقتصادي لصحيفة هآرتس، 7 كانون ثاني/يناير 2009، ص4.

والصاروخ في يده خائف.. الإسرائيلي يمشي في السوق والشارع وهو خائف، يذهب إلى المدرسة وهو خائف، الرسول صلى اللـه عليه وسلم يقول"نصرت بالرعب مسيرة شهر" وهذه أول علامات النصر والتمكين"[1]، وحدد الشيخ ياسين معادلة هامة حين قال:"المقاتل الفلسطيني والمجاهد الفلسطيني يستشهد وهو يدافع عن دينه ونفسه أولا وأرضه ووطنه، ويدافع عن الأمة العربية والإسلامية التي هي مستهدفة من هذا العدو".

وفي فحص مدى الاعتراف بحقيقة حدوث توازن الرعب على الجانب الإسرائيلي نسمع من وقت لآخر بوجوب الاعتراف بهذا، وكان أبرزها اعتراف محرري صحيفة هآرتس، الأكثر اعتبارا بين الصحافة في إسرائيل، افتتاحية لصحيفة هآرتس الإسرائيلية (1شباط/فبراير 2009) حددت ما يلي: مصلحة إسرائيل في غزة تثبيت إطلاق النار، ما قامت به إسرائيل خلال الحرب، أتى بالضرر على مكانتها على الساحة الدولية؛ حيث "بدأت حربا عادلة انقلبت لافتراس وحشي على المدنيين"، إسرائيل تعيش في عزلة واضحة، وهيجان في العالم العربي، أزمة مع تركيا، مطالب جديدة لمقاضاة قادة إسرائيل، فرنسا تتهم إسرائيل بأنها تمنع إعادة البناء في غزة، وإن"النصر"و"إعادة الردع"التي تحدث عنها حكام إسرائيل مشكوك فيها، فالاعتراف بحماس يتزايد في العالم، والرد الحاسم في غزة هي"حماقة مطلقة"ستزيد من عزلة إسرائيل، وإسرائيل تعيش سكرة القوة بعد الحرب، وطالب المقال أن على إسرائيل إيجاد حل سياسي مع حماس.

المفاجأة التاسعة: تأثير الحرب على نتائج الانتخابات الإسرائيلية

بالنسبة لكثير من الإسرائيليين انتهت حرب غزة بخيبة وإن ظلت وسائل الإعلام الإسرائيلية تذكر من حين لآخر أن إسرائيل كسبت الحرب، والخيبة تعود إلى:

أ- فشل متراكم في الساحة العسكرية حيث هُزِمت إسرائيل في حرب تموز/يوليو عام 2006 عسكريا، ولم تستطع تحقيق أي هدف وضعته إسرائيل في حرب غزة عام 2009.

1. حوار مع الشيخ ياسين أجراه موقع البيان، الرابط: www.albayan-magazine.com/intifadah/intifadah-04/int-4-09.htm

ب- فشل على الساحة السياسية، حيث اعتقد زعماء إسرائيل أن الظروف كانت مواتية، لو تم التخلص من حماس في غزة، من تمرير ما وصفته صحيفة هآرتس بالخديعة الإسرائيلية: "لا يمكن التحدث عن حل دولتين وعلى ساحة الواقع تقوم إسرائيل بكل شيء من أجل منع هذا الحل"، وتصف الصحيفة أن كل مفاوضات أبو مازن وأولمرت، وأبو علاء وتسيبي لفني، كانت خديعة إسرائيلية[1].

ت- لم تكن زيادة قوة التيارات اليمينية الفاشية العنصرية المتطرفة في إسرائيل مفاجئة؛ فهي في ازدياد منذ نجاح حركة حماس في انتخابات المجلس التشريعي في كانون ثاني/يناير 2006 مروراً بفشل الحرب على لبنان في تموز/يوليو 2006؛ حيث منحت حركةَ حماس شرعية شعبية، فقد شبه بنيامين نتنياهو فوز حماس بانتخابات الحزب النازي في ألمانيا عام 1933[2]، وما زاد من حفيظتهم أن حماس منذ انطلاقتها طرحت ميثاقا يرفض الاعتراف بشرعية وجود إسرائيل، ويعتقد قادتها كما عبر عنه الشيخ نايف رجوب عضو المجلس التشريعي الفلسطيني: "نحن مستعدون للموت، نحن لا نخاف الموت"[3]، فقد أجريت استطلاعات مباشرة بعد حرب تموز/يوليو 2006 في لبنان أظهرت أنه لو أجريت انتخابات حينئذ فسيحصل ليبرمان على 18 مقعدا في الكنيست، وزادت مقاعد الليكود حينها على ثلاثين مقعداً، وربما أصبحت المطالب أكثر فاشية ضد العرب، ورفع شعار ربط المواطنة بالإخلاص للدولة، حيث يصف غدعون ليفي ظاهرة ليبرمان بسرطان ينتشر في جسم المجتمع الإسرائيلي[4]، ودل استطلاع أجري بين طلبة يهود في المرحلة الثانوية في إسرائيل ونشر في بداية شباط/فبراير عام 2009 أن 35% منهم يعتقدون أن إسرائيل دولة عنصرية[5].

1. هآرتس 2 شباط/فبراير 2009
2. انظر صحيفة معاريف، 3 شباط/فبراير 2006
3. انظر صحيفة معاريف، 3 شباط/فبراير 2006.
4. مقال كتبه غدعون ليفي تحت عنوان "انتصر كهانا"، هآرتس 8 شباط/فبراير 2008.
5. أجراه معهد "تساوي" في إسرائيل ونشره موقع بانوراما، 3 شباط/فبراير 2009.

ث- هناك شعور بأن إسرائيل تعيش في فراغ زعامة، لا سيما أن من يحكم إسرائيل هو أولمرت، وهو زعيم فاسد تم التحقيق معه شُرطياً حتى موعد الانتخابات 13 مرة بتهم رشوة وخيانة الأمانة، وأدت أزمة الثقة المتواصلة بالزعماء السياسيين في إسرائيل إلى خلل في الذاكرة الجماعية الرسمية التي رسمتها القيادة التقليدية بقيادة بن غوريون، وهذه الذاكرة للشعوب تلعب دورا مهما في تحديد الذاكرة الجماعية الشعبية.

ج- فيما يتعلق بالصراع والعلاقة مع الفلسطينيين لا يوجد خلافات جوهرية بين الأحزاب الخمسة الأكثر قوة: الليكود، كاديما، إسرائيل بيتنا، العمل، شاس، وجميعها تكوِّن الأغلبية المطلقة في الكنيست؛ حيث يصل عدد أعضائها إلى 94، وجميعهم، سوى قلة قليلة، يريدون السيطرة على الأرض الفلسطينية، ويرغبون في زرع مستوطنات يهودية في مختلف الأماكن، وكلما زاد مستوى التعليم زاد التوجه نحو التطرف عند العلمانيين وعند المتدينين على حد سواء[1]، وبعد يوم من الحرب وصف الكاتب الإسرائيلي غدعون ليفي قادة إسرائيل بأنهم "ثيران طائشة في الحارة".

ح- مثَّل ضعف الأحزاب اليسارية توجهاً عامّاً في إسرائيل، وأفقدها الطريق، واتبعت النفاق السياسي، فأدخلها في متاهات أبعدت كثيرا من الناخبين من حولها، فقلة عدد أعضاء حزب ميرتس في الكنيست، وهم ثلاثة، يعود إلى فقدان الطريق، حيث إنه دعم حرب غزة، وكشفت هذه الحرب التي أعادت الصراع إلى عام 1948 كما تقول الصحفية عميرة هاس، نفاقهم حين يطالبون بالسلام، وهم أنفسهم يسكنون قرى عربية مهدمة منذ عام 1948[2]، وتصويت مؤيديهم التاريخيين لكاديما في هذه

---

1. نتائج استطلاع قام به د. هاني زبيدة، من مركز هرتسليا المتعدد التخصصات، في محاضرة في كلية تل أبيب بتاريخ 24 تشرين ثاني/نوفمبر 2008، ومن أبرز ما توصل له: ينقسم الإسرائيليون إلى ثلاث مجموعات: متدينين (27%)، محافظين (51.7%)، وعلمانيين (21%).
2. طرحته عميرة هيس في أول مقال لها بعد الحرب نشرته صحيفة هآرتس الإسرائيلية.

الانتخابات هو محاولة لخلق توازن ما في وجه اكتساح اليمين، وهو دعم لحزب امتهن النفاق السياسي من النوع الجديد، وهو أساسا تصويت تكتيكي لأن حزب كاديما لا يختلف كثيرا في النفاق السياسي عما تسمى الأحزاب اليسارية، ولا يختلف كثيرا عن اليمين في المواقف السياسية؛ فهناك قسم من زعماء الحزب خرجوا من رحم الليكود وآخرون خرجوا من حزب العمل، ويعودون تاريخيا إلى الجناح الأكثر تشددا تجاه العرب، رغم أن زعماء حزب كاديما يدعون أن حزبهم حزبا وسطيا.

خ- كشف المجتمع الإسرائيلي حقيقة أنه مجتمع لا يدرك ما حوله، وأنه يمكن الكذب عليه، وأنه متفكك ينقاد وراء قادة متهورين، لا يعرفون مصلحتهم الوطنية في سياق الحسابات الاستراتيجية محليا ودوليا، ويهدفون إلى طرد العرب المسلمين والمسيحيين جميعا من أرضهم فلسطين، وفرض سيطرتهم على المنطقة بالقوة معتقدين أن بإمكانهم عمل هذا من خلال قوة المدافع والطائرات.

د- شجعت الحرب الأخيرة قتل العرب وشرّعته، وهذا ما يندمج وروح مطالب ليبرمان، وربما هذا ما دفعه لأن يقول إنه الوحيد الذي يفهم اللغة العربية، أي إنه يعرف كيف يتعامل مع العرب، وبهذا جعله "المنطق العنصري الذي يسيطر على حياتنا" كما قال الكاتب الإسرائيلي يتسحاق لئور[1]، كما أوجدت الحرب حالة من الخوف وعدم الشعور بالأمان، مما يدعم مصالح كثير من مؤيدي لبرمان، من المهاجرين الجدد الذين يعملون في الحراسة وفي شركات أمنية.

ذ- زاد المواطنون العرب توحدا وتمسكا بالدفاع عن مصالحهم وهويتهم المشتركة نتيجة مباشرة لحرب غزة، وكان أمامهم خياران: التصويت لأحزاب عربية نشطة لعبت دوراً مهماً لتحدي سياسات إسرائيل منذ قيامها، أو مقاطعة الانتخابات وعدم القبول بالمشاركة باللعبة الديمقراطية احتجاجا على ما يدور، لأنهم يعتقدون أن

1. كتبه في مقال نشرته صحيفة هآرتس تحت عنوان "لبرمان يعود من غزة"، 2 شباط/فبراير 2009.

إسرائيل تستفيد عند مشاركتهم، وأن الفائدة المجنية من وراء هذا أقل بكثير من الثمن الذي يدفع، ووصلت نسبة المصوتين العرب في الانتخابات الحالية حوالي 57%[1]، مع أن هناك من يشير الى تزييف مستمر يتم بعد إغلاق الصناديق، حيث يتفق ممثلو الأحزاب العربية على إضافة أصوات في الصناديق قبل عدها بشكل متساوٍ، والتطور الذي يعود في أغلبه الى نتيجة الحرب هو انخفاض المصوتين العرب إلى الأحزاب الصهيونية لتصل إلى 18% بما في ذلك الدروز وقسم من سكان القرى النائية ومن القرى البدوية العربية.

ر- بعض الذين ينظرون للأمر نظرة شمولية يرون أن إسرائيل ليست اللاعب الوحيد في هذه المنطقة، وأن نجاح الأحزاب اليمينية قد يخدم مصلحة السلام، فقد عبّر غدعون ليفي عن سعادته من هذا التطور حين قال: إن الليكود سيكشف عن وجه إسرائيل الحقيقي ويجسد في حقيقته "نهاية الخديعة العظمى.. كذبة المفاوضات وهبل مسيرة السلام ... مع انتخاب إنسان (بيبي نتنياهو) يتحدث عن سلام اقتصادي تنكشف الخديعة من أوسع الأبواب"[2].

المفاجأة العاشرة: تفاعلات الحرب في منطقة الشرق الأوسط

مع بدء معركة غزة وخلالها وبعدها حدثت تحركات رسمية وشعبية منقطعة النظير في الشرق الأوسط لدعم القضية الفلسطينية والوقوف إلى جانب أهل فلسطين في محنتهم، والوقوف في وجه سياسات قادة إسرائيل، وكثرت الاحتجاجات الرسمية والمظاهرات الشعبية في كل العواصم العربية، ويعود هذا بالأساس إلى كشف الواقع كما هو، الجرائم الإسرائيلية التي بدأت تظهر على شاشات التلفزة والحواسيب البيتية في بيوت الناس، وزيادة الوعي تجاه الصراع والموازين الدولية، ونستطيع أن نشير إلى التفاعلات التالية:

---

1. حسب تقديرات الأطرش، مدير مركز يافا لاستطلاع الرأي العام، هآرتس 12 شباط/فبراير 2009.
2. هآرتس 5 شباط/فبراير 2008.

- ربما تكون أبرز النتائج المترتبة على الحرب في الشرق الأوسط هبة الجماهير العربية والإسلامية وتلاحمها ونزولها الشوارع في كل مكان تأييدا للمقاومة، لصمود أهل غزة، ورفضها العارم لنهج التسوية مع إسرائيل.
- لم ينتظر زعماء كثير من الدول الإسلامية مؤتمر قمة الكويت لمناقشة الحرب، لأن عامل الوقت كان مهما، فعقدوا اجتماعا في مدينة الدوحة بحضور أكثر من 12 دولة عربية وحضرته كل من إيران وتركيا، وكان هذا المؤتمر بداية حاسمة في التحالف العربي والإسلامي الشرق أوسطي في مواجهة الخطر الذي يواجه المنطقة، ولم يعد يراه المجتمعون بأنه خطر يواجه الفلسطينيين وحدهم بل الأمتين العربية والإسلامية معا.
- بعد أيام من مؤتمر الدوحة عُقد مؤتمر القمة العربي في الكويت واتخذ قرارات تهدد إسرائيل بأن الزعماء العرب سيسحبون مبادرتهم للسلام مع إسرائيل إذا استمرت في تجاهل حقوق الشعب الفلسطيني.
- دخلت تركيا المنطقة من أوسع الأبواب، ورغم قرارات مؤتمر وزراء عدد من الدول العربية في أبو ظبي، الذي طالب "غير العرب" عدم التدخل في المسألة الفلسطينية، وكان المقصود إيران وتركيا، إلا أن تركيا عازمة على التدخل الفعلي، وهذا يعتبر أبرز تغيير في المنطقة إثر حرب غزة، فزعماء تركيا يرون القضية الفلسطينية مهمة بالنسبة لتركيا وتخدم مصالحها الإقليمية العليا، وشعروا وبشكل لم يسبق له مثيل أن هناك فراغاً قيادياً عربياً في تناول الصراع مع إسرائيل التي أعدت جيشا جرارا لمهاجمة قطاع غزة المحاصر، فقرروا ملئه وهكذا كان[1]

لقد عززت الحرب دور تركيا الإقليمي، وكانت بمثابة فرصة لتجسد تركيا قوتها كأبرز قوة في الشرق الأوسط ترتكز في دبلوماسيتها على اقتصاد نام ومتطور، وعلاقات حسنة مع الشرق والغرب، وقد يكون لدور تركيا واعترافها بأهمية حركة

1. مقابلة مع عزمي بشارة، الجزيرة برنامج بلا حدود، 4 شباط/فبراير 2009، الساعة 22:05.

حماس العامل الذي غيّر موقف أوروبا الغربية من تأييدها لحكومة وحدة فلسطينية بعد أن كانت ترفضها إثر إعلان نتائج الانتخابات في كانون ثاني/يناير 2006، حيث شكلت حركة حماس أغلبية في المجلس التشريعي، ومن جهة ثانية وجد الفلسطينيون في تركيا حليفا استراتيجيا سهلا للاعتماد عليه في رسم المكاسب السياسية بعد الحرب لأنها تؤيد القضية الفلسطينية، ولهذا التأييد امتدادات تاريخية ودينية، وتنتهج سياسة معتدلة في علاقاتها الدولية.

ترى تركيا اليوم أن عليها أن تكون لاعبا نشطا في المنطقة، لا سيما بعد أن استنجدت بها حركة حماس، أمام ما يعتقد البعض أنه مؤامرة من دول عربية عليها لإضعافها، وربما للقضاء عليها، وخلق فراغ سياسي تملؤه قوى مؤيدة للتسوية السلمية، وترى تركيا نفسها اليوم أنها تحظى بدعم القوى المقاومة في المنطقة، وتستطيع أن تلعب دورا أكثر نجاعة من إيران.

وما يميز دعم موقف تركيا الرسمي في وقوفها في وجه إسرائيل هو أن الشعب التركي يدعم القضية فلسطين عموما، وقد استطاع تجنيد أكبر مظاهرة شعبية تأييداً لأهل غزة بلغ عدد المشاركين فيها أكثر من 1.5 مليون تركي.

ورأت إسرائيل في المقابل أن مواقف تركيا في الحرب وما بعدها يعد تطوراً خطيراً؛ حيث إن تركيا تشكل في نظر الإسرائيليين "كنزا استراتيجيا" بالنسبة لإسرائيل[1]، وقد عبّر أولمرت عن قلقه من التطورات في العلاقات الإسرائيلية- التركية، وحاول تحسين الجو حين عبّر عن تفهمه لموقف رئيس الوزراء التركي أردوغان في دافوس حين تصدى لخطاب الرئيس الإسرائيلي شمعون بيرس قائلا: "أيضا تركيا لها حسابات داخلية، فهي دولة مسلمة وعلى عتبة انتخابات"[2].

لكن ما سيحدث في القريب سوف يقلب الكثير من الحسابات ولاسيما وخاصة

1. هآرتس، 2 شباط/فبراير 2009.
2. السابق.

بعد أن بدأ المدعي العام التركي التحقيق في دعوى تقدمت بها مؤسسات إسلامية بتركيا ضد قادة إسرائيل، من بينهم شمعون بيرس، إيهود أولمرت، إيهود براك، وتسيبي لفني، ويطالب مقدمو الدعوى أن تقوم السلطات التركية باعتقال أي قائد إسرائيلي متهم حال أن تطأ قدمه أرض تركيا أو أي بلد بينه وبين تركيا اتفاقية تسليم متهمين.

المفاجأة الحادية عشرة: تأثير الحرب على الساحة الدولية

استطاع الفلسطينيون بصمودهم وتحديهم ونجاحهم، عبر وسائل مختلفة، كشف ما تفعله إسرائيل في المدنيين في قطاع غزة، واستنهاض مناطق كثيرة في العالم، لا سيما تلك المناطق التي يسكنها فلسطينيون وعرب ومسلمون وقوى تدعم السلام والعدل في العالم.

وعلى المستوى الرسمي، قامت بعض دول العالم بقطع علاقاتها مع إسرائيل، مثل فنزويلا وبوليفيا، وحدثت تغييرات نوعية في الكنيسة النرويجية؛ حيث بدأت الكنيسة بجمع التبرعات وإرسالها لإغاثة الشعب الفلسطيني في غزة، وعلى مستوى الفاتيكان، وهو الكنيسة الأكثر تأثيرا في الغرب وربما في العالم، وصف الكاردينال رناتو مرتينو، رئيس المجلس البابوي للسلام والعدل في الكنيسة الكاثوليكية، وصف ما يجري في غزة بمثابة "معسكر تركيز كبير".

وربما كان من أكثر ما أثار الرأي العام العالمي هو أن تقوم إسرائيل- التي تدعي منذ عشرات السنوات أن سكانها اليهود هم ضحايا النازية- بأعمال ضد أهل غزة رآها كثيرون مشابهة لتلك التي قام بها هتلر، ووزعت مادة إعلامية على شبكة الإنترنت تحتوي على عشرات الصور ليهود يعذبون من النازيين وبجانبها صور مشابهة لفلسطينيين تعذبهم إسرائيل، وكان لهذه الصور وقع كبير على الإسرائيليين[1]، وعبر بعضهم بطرق مختلفة عن

1. أرسلت هذه الصور إلى العديد من المعارف اليهود، ممن يعتبرون أنفسهم من اليساريين تحت عنوان:

THE GRANDCHILDREN OF HOLOCAUST SURVIVORS FROM WORLD WAR II ARE DOING TO THE PALESTINIANS EXACTLY WHAT WAS DONE TO THEM BY NAZI GERMANY

وكانت ردودهم، رغم أنني لم أكتب أي تعليق على الصور، حادة جدا إلى حد مهاجمتي شخصيا واتهامي بأني أروج لمثل هذه الصور، ولمشاهدة المعلومات يمكن التوجه إلى الرابط التالي:

HTTP://CO119W.COL119.MAIL.LIVE.COM/MAIL/INBOXLIGHT.ASPX?FOLDERID=1&INBOXSORTASCENDING=FALSE&INBOXSORTBY=DATE&N=554406352

استيائه؛ فقد اقتبس الصحفي يغئال لبيب قول المؤرخ أيان كارشو مؤلف كتاب "قرارات مصيرية"الذي قال:"ما جرى لليهود على يد النازيين منح شرعية أخلاقية لإقامة دولة إسرائيل وبعدها تأييدها ... هذا الكنز الأخلاقي تآكل في حرب غزة"[1].

كثرت المظاهرات ضد إسرائيل وتأييدا للفلسطينيين في جميع مناطق العالم حيث يوجد فلسطينيون وعرب ومسلمون وغيرهم من المدافعين عن المظلومين في الأرض، واستمرت حتى بعد إعلان وقف إطلاق النار، فعلى سبيل المثال، نظمت مظاهرة في جنوب إفريقيا تحت عنوان "مجزرة غزة وسياسات الأبرتهايد الإسرائيلية في المناطق المحتلة" وتحدثت بها نائبة وزير خارجية جنوب أفريقيا فاطمة حجاج بقولها:"أمريكا ودول غربية أخرى ما زالت تعتمد على الأموال اليهودية"[2]، وأكدت صحيفة وول ستريت جيرنال الأمريكية أن الحرب على غزة زادت قوة حركة حماس وخرجت من الحرب منتصرة، ولذلك يجب على إسرائيل تقبل حكومة حماس على أراضي السلطة الفلسطينية[3].

وفي أوروبا حدث تغيير مهم في سياساتها تجاه المنطقة؛ فقد نظمت مظاهرات ضخمة في مدن أوروبية عديدة، وأُجبِر الاتحاد الأوروبي على قبول حكومة وحدة وطنية فلسطينية، فبعد أن رفضها بسبب سيطرة حركة حماس عليها إثر الانتخابات التشريعية

---

1. مقال كتبه يغئال لبيب، نشره موقع nana10.co.il ، 29 كانون ثاني/يناير 2009.
2. يديعوت أحرونوت، 27 كانون ثاني/يناير 2009.
3. اقتبس المقال الذي نشر في نهاية الأسبوع الأخير من شهر كانون ثاني/يناير 2009 في صحيفة يديعوت أحرونوت بواسطة الصحفي سيفر بلوتسكر، بتاريخ 27 كانون ثاني/يناير 2009 ص 29.

الفلسطينية في كانون ثاني/يناير عام 2006، وافق على التعامل معها.

ومن أوروبا أيضا ترتفع الأصوات، وتبذل الجهود لمحاكمة قادة إسرائيل بتهم ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في حربها على قطاع غزة.

إلا أن الخط العام لأوروبا الرسمية ما زال يميل لتأييد إسرائيل، وحالاً وبعد وقف إطلاق النار، هرعت قيادات الدول الأساسية في أوروبا (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والتشيك) إلى إسرائيل لتعزية أولمرت ولفني وباراك على نتيجة الحرب، وتشجيعهم بسبب الفشل، ولم يترددوا في دعم إرسال فرقاطة فرنسية على الشواطئ الفلسطينية من قطاع غزة لمنع ما يسمونه "تهريب السلاح"، وليصنعوا من قضية تهريب السلاح قضية أساسية، متجاهلين أمرين مهمين: أن العامل الحاسم في هذه الحرب هو الإنسان الفلسطيني نفسه، بعزيمته وإيمانه واستعداده للتضحية من أجل العيش الحر الكريم، وليس السلاح ومدى التطور التكنولوجي، وإن كان يلعب دورا مهما في مواجهة تأثير الضربات ومداها.

والأمر الثاني أن أغلب السلاح الذي يستعمله المقاومون، لا سيما في مجال العبوات والقذائف ضد المدرعات وغيرها، يتم تصنيعه محلياً في غزة ولا يتطلب تهريباً من خارج القطاع.

المفاجأة الثانية عشرة: الولايات المتحدة كلاعب "جديد" في المنطقة

أُجبر الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما أن يضع القضية الفلسطينية على رأس أولوياته في الشؤون الخارجية، بعد أن رشحت توقعات بأن الازمة الاقتصادية في أمريكا ستشغله ولن يتمكن من معالجة القضية الفلسطينية ومسألة الاحتلال الإسرائيلي.

فقد ظهرت تغييرات مهمة في أمريكا، وما تحدث عنه الرئيس أوباما في خطاب التنصيب أمر مهم، ولا يقل أهمية عما يحدث في مجلس النواب الأمريكي، حيث هناك تحركات ليس لها أسبقية في تاريخ الصراع العربي- الإسرائيلي من ناحية التقرب في التعامل مع الطرف الفلسطيني، والرئيس أوباما يرث تاريخاً من العلاقات بين إسرائيل

والرئيس الأسبق كلنتون، ففي فترة رئاسته كانت الإدارة الأمريكية قلقة ومنزعجة من رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو، فعلى سبيل المثال وصفه الرئيس كلينتون بصفات سلبية، مثل "كذاب بتواصل وخداع ومتعجرف"، ويعتقد أنه يمثل دولة عظمى، وكذلك يبدو أن حرب غزة- كما دفعت الدبلوماسي البريطاني المسؤول عن دول جنوب آسيا في وزارة الخارجية البريطانية روئان ليكستون لشتم إسرائيل- قد دفعت أعضاء في الكونغرس الأمريكي للوقوف إلى جانب أهل غزة، وإن يبدو أن الطريق ما زال في أوله[1].

طلب 64 عضوا في مجلس النواب الأمريكي من الرئيس أوباما في الأسبوع الأول لشهر شباط/فبراير 2009 أن يعالج وبشكل عاجل المأساة الإنسانية في قطاع غزة، ووقع 32 منهم على عريضة تلتزم بها الولايات المتحدة بتأييد مبادرة دبلوماسية من أجل أن تقوم الإدارة الأمريكية بتنفيذ حل الدولتين في المنطقة[2].

من خلال الاستطلاع على ما تكتبه وتبثه بعض وسائل الإعلام الأمريكية، ومن ضمنها الواشنطن بوست، لاحظنا تغييرا معينا لا بد أن نشير إلى بعض مواصفاته؛ فقد قام بتغطية الحرب مع التركيز على البعدين الإنساني والسياسي، وخاصة زيادة تأييد الشعب لحركة حماس في قطاع غزة، بعكس كثير من التوقعات.

حمل خطاب تنصيب أوباما في طياته روحاً من التغيير، خاصة أنه يخاطب العالم الإسلامي، ويطلب أن تكون العلاقات مبنية على المصلحة المشتركة والاحترام المتبادل، وكذلك، وربما لأول مرة، يؤكد رئيس أمريكي أن الثقافة الأمريكية ليست "يهودية- مسيحية" الأصل، وإنما يحدد أن البعد الأول فيها هو المسيحي والبعد الثاني هو

1. عندما شاهد الدبلوماسي البريطاني صورا من غزة شتم إسرائيل بشكل كبير الأمر الذي أثار حفيظة من كان حوله. للمزيد حول هذه الحادثة انظر هآرتس 10 شباط/فبراير 2009 ص14.
2. انظر المزيد من التحولات في مقال عقيبا الدار، هآرتس، 10 شباط/فبراير 2009.

الإسلامي، حيث إن المجتمع الأمريكي مكون من عدة مجتمعات، مسيحيين ومسلمين ويهود وهنود وغير مؤمنين، وقد حدد مبعوث الولايات المتحدة للشرق الأوسط جورج ميتشل، في تقريره عام 2001، أن الاستيطان في المناطق المحتلة أساس للمشكلة، أي إن سلب الأراضي العربية الفلسطينية هو أساس المشكلة.

وربما كان تعيين الأدميرال جراير منسقا عاما لأجهزة المخابرات الأمريكية أكثر التعيينات ارتباطاً بالحرب على غزة في إدارة الرئيس أوباما، حيث قال في شهادته أمام مجلس الشيوخ: إن الولايات المتحدة ستلتزم باتفاقيات جنيف، وستلتزم بالقانون الدولي، وأعلن أوباما موقفاً حاسماً من الأنظمة التي ترتكز في وجودها على الفساد والاستبداد.

كما أن تعيين البروفيسورة سمنثا باور، من جامعة هارفرد والناشطة في حقوق الإنسان، لمنصب مهم في مجلس الأمن القومي بداية شهر شباط/فبراير 2009، كان له كثير من الدلائل، من أبرزها أن رؤية أمريكا للأمور تختلف من الآن فصاعداً، خاصة أن باور كان لها الجرأة الكافية لتتهم إسرائيل بارتكاب جرائم حرب في هجومها على الضفة الغربية بعامة عام 2002 وفي مخيم جنين خاصة[1].

الخلاصـــــة

في هذا الوقت تمت مناقشة معركة غزة 2009/2008 وتداعياتها على الساحة الفلسطينية، والإسرائيلية، والشرق أوسطية، والعالمية، ورأينا أن صمود المقاومة الفلسطينية، بل وانتصارها في الحرب، جعلها نقطة تحول تاريخية في التاريخ الحديث، هزَّ توازنات على أصعدة كثيرة، وفرضيات كثيرة من الأساس، وتم استعراض المفاجآت الفلسطينية في الحرب التي كانت سبباً أساسياً لانتصار فلسطين وفشل الحرب من الجانب

1. مقال كتبه المؤلف عن انتصار أوباما واحتمال الدور الذي سيلعبه على الساحة الدولية بعنوان "انتصار أوباما كظاهرة تمكين تحقق: فوزه في الانتخابات يزيده تمكينا" انظر أسبوعية فصل المقال 26 تشرين أول/أكتوبر، 2008، أو على المواقع التالية: www.Amin.org، www.arabs48.com

الإسرائيلي، وتداعيات هذا الفشل على الساحة الإسرائيلية، كما تجسد في نتائج الانتخابات التي أجريت بعد ثلاثة أسابيع من انتهاء الحرب، وتغيرت موازين في المنطقة حين طلبت حركة حماس من تركيا التدخل، ولبت الثانية النداء، ووصل الأمر إلى أن يطالب الرئيس مبارك بإقامة شرق أوسط جديد، وحدثت تغييرات في كثير من مناطق العالم، على المستوى الشعبي وعلى المستوى الرسمي، وأكثر ما يلفت الانتباه أن هذه الحرب أجبرت أوروبا على تغيير موقفها من حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية، وأجبرت الرئيس أوباما أن يضع قضية الصراع العربي- الإسرائيلي على رأس أولوياته في السياسة الخارجية، وتطرح الدراسة تفاؤلاً من مواقف أمريكا تجاه المنطقة، لا سيما أن ثمة مؤشرات عينية، من أبرزها أن أمريكا ستسير وفق قواعد القانون الدولي وتعمل على المحافظة على اتفاقيات جنيف المختلفة، وتستنتج الدراسة أن من يحترم نفسه، فرداً ومجتمعاً وشعباً، يحترمه الناس، ومن المتوقع أن تكون هناك تغييرات إيجابية تجاه قضية فلسطين وشعبها، فهو شعب لا يغير مواقفه بإغراءات مادية من هنا وهناك أو بعدم وجودها.

مراجع

مصادر باللغة العربية

- أيلان بابه، 2006م "التطهير العرقي في فلسطين"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان.
- أحمد منصور، 2004: الشيخ ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، كتاب الجزيرة- شاهد على العصر، الدار العربية للعلوم وابن حزم، المكتب المصري الحديث، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- كمال الخطيب، 2009"أرادت إسرائيل الفوز بالضربة القاضية ففازت حماس بتسجيل النقاط"أسبوعية بلدنا، الصادرة في الطيبة المثلث، بتاريخ 30 كانون الثاني، 2009م.
- عزمي بشارة، 2009م مقابلة في برنامج"بلا حدود"، قناة الجزيرة الفضائية، 4 شباط، 2009 الساعة 22:05 بتوقيت مكة المكرمة.

مصادر باللغة الانجليزية

MASSOUD EGHBARIEH،

1991 "ARAB CITIZENS IN ISRAEL: THE ONGOING CONFLICT WITH THE STATE"، A PH.D DISSERTATION IN GORVERNMENT AND POLITICS، UNIVERSITY OF MARYLAND، COLLEGE PARK، MD، USA

NELSOM MANDELA،

1995 "LONG WALK TO FREEDOM": THE AUTOBIOGRAPHY OF NELSON MANDELA، LITTLE، BROWN AND COMPANY، NEW YORK

YORAM PERI،

2006 "GENERALS IN THE CABINET ROOM: HOW THE MILITARY SHAPES ISRALEI POLICY" US INSTITUTE OF PEACE، WASHINGTON D.C.

ARIEL SHARON،

2001 "WARRIOR: AN AUTOBIOGRAPHY"، TOUCHSTONE، SIMON AND SCHUSTER INC. NEW YORK

مصادر باللغة العبرية

- صحيفة هآرتس الإسرائيلية وموقعها على شبكة الإنترنت:

- WWW.HAARETZ.CO.IL
- صحيفة يديعوت أحرونوت، وموقفعها على شبكة الإنترنت WWW.YNET.CO.IL
- صحيفة معاريف وموقعها على شبكة الإنترنت: WWW.NRG.CO.IL
- **אמנון סלע**، "לשנוא את הלוחמים"، הוצאת פועלים، הקיבוץ המאוחד، ישראל
- אבי שילון، "בגין: 1913-1992" הוצאת ספרים עם עובד، 2008 תל אביב، ישראל

الورقة الثانية

الانعكاسات الاستراتيجية على عملية السلام

عدنان أبو عودة*

بداية لا بد أن نأخذ الأمور التالية بالاعتبار:

1- تحديد عناصر الاستراتيجية الإسرائيلية.

2- تحديد عناصر الاستراتيجية العربية (الفلسطينية).

3- رصد التغيرات التي طرأت على تلك العناصر.

حيث تقوم الاستراتيجية الإسرائيلية على ما يلي:

أ- الصبغة اليهودية الديمقراطية لدولة إسرائيل.

ب- أن إسرائيل في حرب عام 1967 "محرِّرة" وليست محتلة.

ج- أن الفلسطينيين جالية أجنبية طارئة.

د- الحفاظ على زمام المبادرة من خلال مكانة حليفتها أمريكا ونفوذها.

ذ- فرض أجندتها الأمنية والسياسية على الدول العربية (تشريعات مكافحة العداء للسامية، ومكافحة ما يسمى "الإرهاب").

ر- شراء الوقت.

وأما الاستراتيجية العربية فإنها تقوم على:

أ- الدعوة لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي وإقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة بالطرق السلمية، وإقامة سلام وتطبيع علاقات مع إسرائيل (المبادرة العربية).

ب-الاعتماد على المجتمع الدولي بعامة والولايات المتحدة بخاصة لتحقيق الهدف بالاستناد إلى القرارات الدولية.

---

* **د. عدنان أبو عودة:** رئيس الديوان الملكي الأردني الأسبق- الأردن.

ت-تتميز الإستراتيجية العربية بالسكونية أو الاستاتيكيا، بسبب غياب توظيف القدرة العربية التفاوضية التي جعلتهم منزوعي القدرة على المبادرة، وتركها في يد إسرائيل والمجتمع الدول الممالئ لها.

ولدى فحص هذه العناصر، نجد أن إسرائيل تعيش مشكلة بين الوصول إلى الحلم من عقلانية الدولة وعاطفية الحركة (الصهيونية).

وفشل إسرائيل في حسم هذه المسألة ما زال يجعلها ترى في البعد الديمغرافي الفلسطيني في أرض فلسطين وامتدادها القومي والإسلامي في المحيط الذي نشأت فيه إسرائيل (وهو محيط عربي إسلامي) مصدر تهديد لوجود إسرائيل، وحتى الآن لم تقرر إسرائيل أنها يمكن أن تعيش دولة وطنية ديمقراطية متعددة الأعراق والأديان، وتصر على الوصول إلى المدى الأبعد في الفكر الصهيوني بأن تكون دولة يهودية ديمقراطية.

حيث تخشى إسرائيل الاختيار الأول، لأنها حينئذ ستتخلى عن الصهيونية، أما الثاني فتراه حتى الآن ممكناً إذا تخلصت من الفلسطينيين، فمنذ عام 1967 وهي مشغولة في الأمر الثاني، ومن أجله خرجت بنظريات أربع:

- الخيار الأردني (الترانسفير)
- التكرير
- الانطواء
- حوصلة الفلسطينيين في مجموعات منعزلة في جيوب سكانية.

ومن هنا أطلقت إسرائيل على أرض فلسطين المحتلة أسماء المناطق المُدارة، ثم يهودا والسامرة، ومن هنا أيضاً أقامت المستوطنات، ومن هنا تصبح مطالبتها بالتخلي عنها أو حتى عدم توسعيها بأنها "تنازل مؤلم"، لأنها تتنازل عن أرضها أو عن التصرف فيها، حسب وجهة نظرها.

وترى إسرائيل أن التخلص من الشعب الفلسطيني يحتاج إلى وقت، فقد قال وزير الأمن الإسرائيلي موشيه دايان عام 1968 رداً على سؤال أحد الصحفيين: ما هو الحل؟

بقوله: السؤال ليس ما هو الحل، بل كيف سنعيش هنا دون حل؟!

وبهذا الموقف وضعت إسرائيل نفسها والفلسطينيين في حالة صراع دائم، فإسرائيل هي المسؤولة عن استمرار الصراع.

وفي المقابل، يعيش الفلسطينيون مشكلة الصمود على الأرض تحت احتلال اقتلاعي، فالمسألة بالنسبة لهم وجودية أيضاً، ومشكلتهم في ظل هذا الظرف أن النظام العربي الرسمي كاد أن يتخلى عنهم بسبب طلب منظمة التحرير وإصرارها على القرارالفلسطيني المستقل الذي منحه النظام العربي لها عام 1974، فأُعفوا من توظيف قدراتهم التفاوضية لصالحها، وانقطع الحبل السري عن الفلسطينيين، واستفردت إسرائيل بها وفقاً لتخطيطها، وأصبح شراء الوقت بالنسبة لإسرائيل أكثر سهولة بعد نشوء السلطة الوطنية الفلسطينية عام 1994 التي جعلت الفلسطينيين والعرب والعالم يعتقدون أنه مقدمة للدولة، وإذ بها بعد أربعة عشر عاماً تقترب من أن تصبح صندوق تقاعد يُنفِق على من يتخلى عن التضحيات من أجل التحرير على شكل رواتب، حيث إن 35% من ميزانية السلطة تذهب للأمن الفلسطيني، والأمر ذو الدلالة هو أن الميزانية الفلسطينية تمنحها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لتصبح أقرب إلى صندوق التقاعد منها إلى الدولة الفلسطينية المنشودة.

إن الشأن في هذا الوسط النفسي والسياسي والسلوكي هو المقاومة، لأنها المعطل والمعرقل للمسار، والمذكّر بالقضية الأساسية، وهي إنهاء الاحتلال وممارسة حق الشعب في تقرير مصيره على ترابه الوطني.

إن شراء الوقت الذي تعتمد عليه إسرائيل كمرتكز لحسم مشكلتها الديمغرافية بعد أوسلو أصبح أكثر يسراً، واتبعت إسرائيل لتحقيقه عدة تكتيكات يمكن أن نذكر اثنين منها باعتبارهما الأبرز:

التكتيك الأول: التلاعب بمسألة "المصطلح والمفهوم"

إن انتقاء المفردات في الصياغات اللغوية السياسية وفي الشعارات جزء لا يتجزأ من

العمل السياسي لبناء توجهات أو اتخاذ مواقف، وبالنسبة لموضوعنا سأطرح ثلاثة أمثلة هي الأبرز، وسأقدم لها بمثل رابع لتسهيل النقاط المشكلة.

المثال الأول: من الشائع أن تنقل لنا الأخبار أن وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس مثلاً أو منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي خافيير سولانا أو مبعوث الولايات المتحدة للشرق الأوسط جورج ميشيل، تنقل بين القدس ورام الله ليجري محادثات مع الإسرائيليين و الفلسطينيين، فإذا ذكرت القدس فيفهم من السياق أن المحادثات أجريت مع الإسرائيليين، أما إذا ذكرت رام الله فيفهم أنها أجريت مع السلطة الوطنية الفلسطينية! والمترتب على هذا المفهوم يصبح مع الوقت أن القدس ترمز لإسرائيل لأنها عاصمتها، بينما رام الله ترمز لفلسطين لأنها عاصمتها، وتتناقل وكالات الأنباء مع الفضائيات ومع الصحف الخبر مهتمين بالمحادثات ومتناسين أنهم بدأوا يغرسون مفهوماً خطيراً.

المثال الثاني: **عملية السلام**: فكلمة "**عملية**" هي الترجمة العربية التي اتفق عليها لكلمة PROCESS الإنجليزية، ولها عدة معان، والقاسم المشترك بينها هو الوقت، فسواء استُخدم هذا المصطلح لوصف تحول الغابات المحروقة إلى فحم حجري، أو في المختبر أو في المصنع، فجميع هذه العمليات تحتاج إلى وقت، واستخدام هذه الكلمة لوصف التوصل إلى سلام يعني القبول بإلغاء إلحاح الوضع وفتح الطريق أمام المناورات السياسية.

وهذا ما حدث منذ عام 1967 حتى اليوم، وأقول عام 1967 حينما عين السفير السويدي جونار بارينج مبعوثاً للأمين العام للأمم المتحدة وفق قرار 242، وتخلى عن عمله في نيسان/أبريل عام 1969 حينما أحسّ بالمناورات الإسرائيلية المعطلة التي تلغي الحاجة إلى الحل، وكما تعلمون مضى حتى الآن ما يقرب من 42 عاماً على قرار مجلس الأمن ولم ينفذ.

أما كلمة "**سلام**" في تعبير "عملية السلام" فهو أمر آخر لا يقل أهمية في عملية شراء الوقت.

وسأعود إلى ما ذكره الإستراتيجيون العسكريون وهم يناقشون موضوع تعريف النصر أو الهزيمة باستحضار مفهوم "التماثل" بين القوى المتحاربة.

إن السلام يتم بين دولتين، وليس بين دولة وثوار، أو بين عشيرتين، أو بين عائلتين، أو بين شخصين، لأن للدول جيوشا، وعليها التزامات، لأنها جزء من نظام دولي، أما النزاع الذي يسوّى بين دولة وثوار انفصاليين أو طالبي حقوق فيسمى "صلحا"، وربما كان هذا هو السبب الذي سمّى فيه المؤرخون العرب مؤتمر فرساي بعد الحرب العالمية الأولى "مؤتمر الصلح في باريس" وليس "مؤتمر السلام" بينما كان مسماه بالإنجليزية PEAU CORFERENEE عملاً بما نعهده عن التاريخ العربي.

المهم في ذلك أن استخدام مصطلح "سلام" بين إسرائيل الدولة وفلسطين السلطة عمل مضلّل يجعلك تعتقد أن السلطة دولة، وأن مشكلتها مع الجار هي مشكلة حدود أو ما شابه، فيمكن أن يستمر الوضع كما هو ما دام كلٌّ في فضائه، ومشكلة الحدود ستحل بالمفاوضات، وهذه هي تصريحات رئيس دائرة المفاوضات الفلسطينية صائب عريقات التي تراجع عنها بعد معركة غزة.

أما المثال الثالث الذي يتصل بموضوعنا، فهو يطرح شعار "المفاوضات والمقاومة" كثنائية، الواحد منهما نقيض الآخر، مثل الخير والشر، والنور والظلام ... الخ.

والحقيقة أن نقيض المفاوضات هو المقاطعة، ونقيض المقاومة هو الخنوع والاستسلام، وكلاهما- أي المفاوضات والمقاومة- وسائل للوصول إلى هدف، وهما في حالات الحروب والنزاع متكاملان؛ فطرح المقاومة نقيضا للمفاوضات أو العكس أمر مضلل أدى إلى جعل نبذ المقاومة مؤهلاً لمن يتجه للمفاوضات فقط، وكما نعلم فإن هذا الانحراف أدى إلى تعميق الانقسام الفلسطيني الذي يستخدم بدوره وسيلة من وسائل شراء الوقت، فمثلا يقول لك الطرف الثالث من نادي "الراعي الغربي": إن الانقسام الفلسطيني هو السبب في عدم التقدم بعملية السلام، ويشارك الإسرائيلي بصدد الدفاع عن عدم التقدم في القول بأنهم منقسمون.

قلنا إن إسرائيل تستعمل عدة تكتيكات لشراء الوقت، تحدثنا عن الأول: وهو التلاعب بالمفهوم والمصطلح.

التكتيك الثاني: صرْف الاهتمام عن المشكلة الأساس

وهي الاحتلال وإنهاؤه، وصرْف ذلك إلى آثار الاحتلال وتركيز الاهتمام عليها، وتحويل كل أثر إلى قضية بذاتها، مثل الحواجز، والسور العازل، وتوسيع المستوطنات، وتصاريح الانتقال ... الخ.

ونحن اليوم حينما نتناول انعكاسات معركة غزة على علمية السلام إنما سنفعل ذلك في ضوء "خارطة الطريق" وما وضعته الرباعية الدولية من أطر ومعايير للمتفاوضين، وسنعرض فيما يلي ما نعتقد أنه موقف كل طرف:

موقف السلطة الفلسطينية والفلسطينيين

1- إن عملية السلام هي سر استمرارهم، فهي التي تبرر دفع المعونات من قبل الغرب، وبدونها لا تستطيع السلطة السيطرة والإدارة.
2- إن الوظيفة أو الراتب الشهري هي وسيلة كسب قلوب الناس وألسنتهم.
3- دون النظر إلى فشل عملية السلام، فإن العملية أصبحت كلمة مألوفة مثل الحديث اليومي عن ضخ المياه أو سعر الخضار، وبشكل عام فهي تعني للجمهور العمل على إنهاء الاحتلال، أي مدخلاً لحياة أفضل وفرص عمل أكثر، وحرية تنقل واختيار، ونقصان في المعاناة، وعليه فإن السلطة والناس يريدونها، أي المفاوضات.

موقف الإسرائيليين

هم أيضاً بحاجة إلى عملية السلام للأسباب التالية:

1-للإبقاء على حد أدنى من شروط استمرارهم دولة عضواً في الأمم المتحدة ولها مكانة في المجتمع الدولي.
2-لإدامة لعبة شراء الوقت.
3-لإرضاء وعدم إحراج الغرب الراعي، وبالذات الولايات المتحدة التي توفر

لإسرائيل الحماية السياسية من خلال الفيتو أو إسكات مصادر الضغط المحتملة عليها، فإسرائيل هي الدولة الوحيدة خارج نادي الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الحرة من الضغوط والعقوبات، وهي الدولة الوحيدة التي تعتدي ولا تعاقب، وتحتل لأطول مدة بالتاريخ الحديث وتذبح الشعب الذي تحتل، ويقال إنها تمارس حق الدفاع عن النفس، إنها PTESSUTE- FREE COUNTRY، بفضل الغرب الصانع والراعي والكفيل.

موقف الراعي الغربي

هو أيضاً بحاجة إلى عملية سلام، فهو لا يحب أن يحرجه الحلفاء والشركاء الاقتصاديون العرب بالعتب عليه بأنه لا يعمل شيئاً بالنسبة للشقيق الفلسطيني، إن عملية السلام هي الجواب لهؤلاء الحلفاء والشركاء مثلما هو جواب الحلفاء والشركاء لشعوبهم.

موقف الأنظمة العربية

العرب بحاجة إلى عملية السلام لكي لا يبقوا ساكتين خاملين، ويتعرضون للانتقاد من منافسيهم أو معارضيهم، وبالتالي للمحافظة على الاستقرار وتغطية العجز، وتمرير الموقف السياسي على الشعوب، وإسرائيل تستجيب لمطالب الراعي في هذا الخصوص، ولكن بشروطها هي؛ فلا تقبل من الراعي الغربي أن يضغط عليها، وإذا أحست بأن أحداً من أعضاء النادي الراعي يريد أن يخرج عن حدود المقبول تتحرك بسرعة وتطلق كل أسلحتها لوقف هذا، فضلاً عن الاحتياط الدفاعي الذي اتخذته إسرائيل ممثلا بالتشريعات القانونية التي شرعها أعضاء النادي الراعي، أو ضغط من اللوبي اليهودي في كل بلد عضو تحت عنوان وقف العداء للسامية.

وهذه التشريعات هي السيف المسلط فوق رأس كل سياسي في البلدان الديمقراطية، فكل من يخطئ وينزلق كفرد يقضى عليه سياسياً، وأي مخالفة لإسرائيل لن تكون آمنة، ما لم تكن جماعية أو حزبية أو حكومية، ومع ذلك فالأمر صعب لأن اللوبي اليهودي منتشر

في كل الأحزاب، ويستطيع أن يشم رائحة التغيير، ويتخذ الإجراء الوقائي بسرعة قبل أن تصبح الفكرة تياراً.

موقف الأمم المتحدة

هي الأخرى بحاجة إلى عملية سلام، أليست هي الهيئة الموكول لها حفظ السلام والأمن للدولتين! إن العمل من أجل حفظ السلام أو الوصول إليه هو مبرر وجودها، لكن الأمم المتحدة محكومة بتوجيهات مجلس الأمن وبتوجيهات من يدفع أكثر لموازنتها وموازنة قوات حفظ السلام، والصناديق والبرامج الأخرى، وهذه الحقيقة هي إحدى مصادر النفوذ الأمريكي، فإذا أرادت أمريكا أن تفعّل الأمم المتحدة فإنها تستطيع، وإذا أرادت أن تهملها فإنها تستطيع أيضاً، وبخاصة في العقدين الأخيرين بعد نهاية الحرب البادرة، فبالنفوذ الأمريكي تصبح الأمم المتحدة لاعباً ضعيفاً حينما يتصل الأمر بإسرائيل التي تفرض أجندتها على الولايات المتحدة.

لقد نجحت إسرائيل في تحويل قضية حق الشعب الفلسطيني بالحرية والاستقلال وتقرير المصير على ترابه الوطني إلى قضية أمنية إسرائيلية، ومن خلال الراعي الغربي تمكنت إسرائيل من فرض أجندتها الأمنية على كل القوى النافذة.

موقف روسيا

تريد عملية سلام لأنها ستكون وسيلتها لتأمين حيّز لها في الفضاء السياسي الشرق أوسطي الذي غابت عنه بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

إذن، فكل اللاعبين الشرق أوسطيين يحتاجون إلى عملية سلام ويشاركون فيها، وعليه فإن عملية السلام ستستمر من حيث المبدأ، وأود إثارة الانتباه إلى أن بوصلة كل المهتمين بعملية السلام هي "خارطة الطريق".

لكن السؤال المهم بعد معركة غزة: هل تؤيد حركة حماس عملية السلام؟ وإذا كانت تفعل ذلك، فهل تريد أن تنخرط فيها؟ وكيف؟ الإجابة على هذه الأسئلة هي التي ستقرر مسار الحركة في الأشهر والسنوات القادمة.

وبالنسبة لموضوع الندوة علينا أن نسأل: هل زاد فشل إسرائيل في غـزة مـن الحـس بالحاجة إلى استئناف عملية السلام؟ والأهـم مـن ذلـك هـل زاد مـن الحـس بالحاجـة إلى تعديلها؟

صحيح أن الأطراف المعنية بعد معركة غزة منشغلة بمعالجة الحالـة الإنسـانية التـي نشأت عن العدوان، وإعادة الإعمار عنوان الملتقى للمساعدات، وعنوان من سيشرف عـلى العمـل، وجمـع التبرعـات ومعالجـة الجرحـى وتـوفير الـدواء والمعـدات الطبيـة والسـلع الضرورية ومواد البناء وغير ذلك، لكن الصحيح أيضا أن مثل هذا الانشغال سـيكون مؤقتـا وسرعان ما سيعود اللاعبون إلى حكاية الصراع وحله.

ويطرح السؤال من جديد: هـل مـن نتـائج العـدوان عـلى غـزة أن حـماس فرضـت نفسها من جديد بملء المشهد السياسي الفلسطيني كلاعب سياسي بحكم الأمر الواقع بعـد أن أنكـر عليهـا (الغـرب الراعـي) وإسرائيـل هـذه الصـفة التـي اكتسـبتها مـن صـندوق الانتخابات وتعمدت إلى محاصرتها وعزلها؟! وفي العدوان على غزة أرادت إسرائيل إنهاءهـا كلاعب يحكم وإضعافها كمقاوم، ولكنها فشلت.

هل فشل إسرائيل في تحقيق هدفها سيفتح الطريق أمام تغيير في مواقـف (الغـرب الراعي) والأمم المتحدة؟

في الأدبيات الصحفية والسياسية المتداولة، هـذه الأيـام، تطـرح أفكـار عديـدة منهـا المتشابه ومنها المتناقض، ومنها ما يشير إلى ضرورة التعامل مع حركـة حـماس بشـكل غـير مباشر، وذلك عن طريق إشراكها في إدارة المعابر كجزء من السلطة الوطنية.

ومنها من يدعو للتعامل معها مباشرة باعتبارها قادرة على تنفيذ ما تلتـزم بـه عـلى خلاف رئيس السلطة الضعيف، وبخاصة أن إسرائيل أمام صواريخ المقاومة.

ومنها من يتناول شدتها في ضرب خصومها أثناء العدوان، وبالمقابل منهـا مـن يـذكر لها قدرتها على ضبط النظام وتشغيل المرافق رغم الدمار، ومنها مـن يعمـل عـلى مواصـلة عزلها ومقاومتها، ومنها من يطالب بالتزامها بشروط الرباعية حتى يتعامل معها.

وكل هذا يعني أمرين:

الأول: أن حركة حماس حقيقة لا يمكن إنكارها ولاعب سياسي بحكم الأمر الواقع.

الثاني: أن لحركة حماس دورا يعتمد في شكله وجوهره على قرارها، ومشاركتها في المشهد له عدة مداخل، منها إعادة الإعمار، ومنها اتفاقية التهدئة وتبادل الأسرى والإشراف على المعابر، والدخول في منظمة التحرير والحكومة الوطنية ... إلخ.

سيمضي بعض الوقت قبل التحرك نحو استئناف عملية السلام التي يطلب البعض مراجعتها بسبب عيب جوهري فيها، ومن المفكرين من يعتقد أنه آن الأوان لفرض الحل من المجتمع الدولي.

أمامنا احتمالات وسيناريوهات كثيرة لعل الأسئلة السابقة والأجوبة تبلورها.

الورقة الثالثة

التفاعلات الإقليمية والدولية بعد المعركة

عدنان عمران*

مقدمة

للعدوان على غزة وجهان: وجه إسرائيلي قدم أبشع أشكال المجازر والمحارق، معيداً إلى أذهان العالم الجرائم التي ارتكبتها قوى عنصرية على مر التاريخ، والوجه الآخر نضال شعب غزة البطولي الذي قدم أعلى وأبهى صور التضحية والفداء، والتي حركت المواطن العربي في أرجاء الوطن الكبير، بل وبعثت الخوف لدى الساسة العرب من اتساع الهوة بين إرادة الشعب العربي التي ظنها البعض أنها تجمدت واختفت، وبين التقصير بالمبادرة لدعم الشعب المقاوم، وما يمكن أن يتركه ذلك من آثار.

لقد قصر الموقف العربي الرسمي عن الارتقاء إلى مستوى المسؤولية التي من المفترض حملها و الدفاع عنها، وكان انتصار المقاومة في غزة، انتصاراً للبطولة والإيمان رغم التحالف العنصري الدولي ضدها، ومحاولة تضعيفها لإسكات المطالبة باسترجاع الحقوق كاملة.

الواقع العربي الراهن والعدوان على غزة

الحاجة ماسة لإجراء تقييم موضوعي للعدوان وظروفه الإقليمية والدولية، لكي يمكن تحديد المؤثرات، بل والمسؤوليات عن حالة الضعف التي اتصفت بها مواقف النظام الرسمي العربي، ورغم أن هذا العدوان كان الموضوع الرئيس لاجتماعات عربية وزارية إلا أن النتائج كانت حالة ضياع، سواء في تقديم الدعم أو في الجهود الدبلوماسية لوقف العدوان، وفي هذا الإطار نتوقف أمام مسألتين خطيرتين:

---

* **أ. عدنان عمران،** وزير الإعلام السوري الأسبق- سوريا.

1- الخلاف الفلسطيني-الفلسطيني

حيث تجاوز الحدود المقبولة والمعقولة، فهناك طرف يرفض تقديم التنازلات متمسكاً بحق المقاومة إلى أن يتم استرجاع الحقوق، وطرف سار في طريق التفاوض من أجل الحقوق وفق إطار مرسوم هو اتفاقية أوسلو 1993، والرأي العام الفلسطيني كان موزعاً من خلال مواقف الفصائل المختلفة، وأبرزها حركتا فتح وحماس، وهو تنافس حاد أدى إلى تشتيت الجهود وعدم تركيزها تجاه العدو الأساس وهو الاحتلال.

لا يتسع هذا البحث للدخول في تفاصيل الخلافات، ولكن يمكن القول إن حالة من لامبالاة بالظروف الخطيرة سادت سلوك بعض أطراف النزاع الداخلي، وساهمت في تعميق الخلافات العربية في الوقت ذاته.

وهذه الصورة القاتمة تحتاج إلى حلول جذرية، ونأمل أن تنجح المحاولات المبذولة في القاهرة وعواصم عربية بوضع أسس راسخة لحالة وفاق تقوم على العمل لتحرير الأرض الفلسطينية المحتلة وفق قرارات الشرعية الدولية، وعدم التنازل عن أي أراض أو حقوق.

والسؤال الذي يطرح نفسه مباشرة والمختلف عليه، هو: ما هي الأراضي الفلسطينية الواجب تحريرها، وما هي حقوق الشعب الفلسطيني المطلوب استعادتها؟ والإجابة على هذا السؤال يجب أن تستند إلى قرار يتخذه الشعب الفلسطيني، من خلال انتخابات تتم بكامل الحرية والنزاهة، ويتعهد الجميع باحترام نتائجها.

2- العلاقات العربية-العربية

وصلت هذه العلاقات أدنى مستوياتها، والعوامل التي دفعت إلى ذلك كثيرة، بعضها نتيجة عوامل خارجية، وأخرى لاعتبارات مزاجية أو رؤى خاصة، والمواطن العربي عبّر في كل فرصة أتيحت من خلال مظاهراته الحاشدة ومن خلال مواقف الاتحادات والنقابات العربية وهيئات المجتمع المدني أنه ليس جزءاً من هذه الخلافات وليس طرفاً فيها، بل هي مواقف تمثل القيادات العربية المتنافرة.

إن استمرار حالة الخلافات العربية يجب أن يذّكر المختلفين بواقع روما وهي تحترق، وببيزنطة وهي تحت الحصار وتبدد طاقتها في حوار بيزنطي عبثي، ويجب أن يذكّر بملوك

الطوائـف في الأنـدلس الـذين بـددوا كـل طاقـاتهم في خلافـات مجنونـة والعـدو يـتربص بالجميع، ولم ينفع أياً منهم بعد ذلك الاستسلام والخضوع أو دموع ذرفوها كالنسـاء عـلى ملك ضائع.

فشل النظام العربي في الامتحان رغم المواثيق التـي أقرهـا منـذ قيـام الجامعـة عـام 1945، مروراً بمعاهدة الدفاع العربي المشترك عام 1950، وانتقالاً إلى المواثيق الأخـرى التـي أنشأت قيادات عربية مشتركة، وفشل أيضا أمام الحالـة العربيـة الراهنـة: فـالعراق تحـت الاحتلال، وفلسطين تحترق، والسودان يمزق ويهدد رئيسه، والصومال لا يمتلك آفاقاً واعدة.

يحتاج الواقع العربي الراهن إلى إعادة نظر جذريـة، وبخاصـة بعـد مأسـاة غـزة، ولا أعني بعبارة إعادة نظر إحداث تعديلات سطحية في مواثيـق العمـل العـربي المشـترك كـما حـدث خـلال السـنوات الخمـس المنصرمـة، وهـي تعـديلات إيجابيـة، إلا أن مثـل تلـك التعديلات كمن يعالج مرضا عضـالاً يعـاني منـه الجسـد العـربي ولـه علاجـه الـذي يعرفـه العارفون، بينما حالة المرض يعيشها الجميع، وعلاج ذلك المرض يدركه الجميع.

وهنا أجـد مـن الضروري المبـادرة إلى القـول: إن الحلـول المطلوبـة لمواجهـة الحالـة الراهنة في أكثر من مكان في وطننا أن نتوجه وعاجلاً إلى وضع أسس بناء الحالة الاتحاديـة، فعبارات التنسيق والتعاون وما شابه ذلك مـما تضـمنه ميثـاق الجامعـة، لم تجلـب لـدول الأمة سوى النزاع والتباعد والخلاف، ولقد أدركت شعوب سبقتنا في الخـبرة والتجربـة، بـل وسبقتنا في ارتكاب جرائم الحروب المدمرة التي ذهب ضحيتها ملايين، كما وقع في الحـرب العالمية الأولى والثانية في القـرن المـاضي، أدركـت الأطـراف الرئيسـه في تلـك الحـروب أنهـا ستواجه مستقبلاً أكـثر خطـورة أمـام التبـدلات الدوليـة إن لم تحـول حروبهـا إلى التعـاون وتآمرها إلى التكامل، وهكذا بدأت أوروبا المسـيرة الاتحاديـة انطلاقـاً مـن منظمـة السـوق الأوروبية المشتركة التي أنشئت عام 1958، أي بعـد 13 عامـاً فقـط عـلى الحـرب الكونيـة الثانية التي أزهقت أرواح أكثر من أربعين مليونا من شـباب القـارة، ودمـرت كـل أطـراف المعركة، الخاسر منها والرابح، لقد أدركـت أنهـا يجـب أن تمنـع تكـرار مثـل ذلـك الانتحـار

الجماعي، وأن تستبدله تعاوناً يزيدها قوة سياسية، وقدرة اقتصادية، ويمكنها من حماية مصالح شعوبها في عالم لا مكان فيه إلا للأقوياء.

انتشرت الحالات الاتحادية والتكتلات التكاملية من حولنا وفي جميع القارات، ولم يبق سوى دولنا التي تعاني نتائج التجزئة، ومع ذلك ما زالت تفكر بعقلية الجاهلية وحروب داحس والغبراء، ولذلك فإن المطلوب عاجلاً أن يتصدر موضوع الشروع في وضع أسس الحالة الاتحادية جدول أعمال القمة العربية القادمة في الدوحة في نهاية شهر آذار/مارس 2009، لا سيما أن على جدول أعمال القمة عنوان كبير هو الأمن القومي العربي، وأزعم أن هذا العنوان يقتضي حتماً لتحقيقه والعبور إليه إقامة الحالة الاتحادية.

مسألة العلاقات العربية-الدولية

لتبسيط عرض هذه الفقرة نتناولها تحت العناوين التالية:

أ- العلاقات العربية- الأمريكية.

ب- العلاقات العربية- الأوروبية.

ج- العلاقات مع الدول الكبرى والكتل الدولية.

د- العلاقات العربية الإقليمية.

- **العلاقات العربية-الأمريكية**

هذه العلاقات بشكلها الراهن تقدم مثالا على سياسة عدم التوازن، بل هي موضوع تندر للساسة في العالم، لقد قدّم العرب مثالا للسخاء والكرم العربيين بالعطاء لمن يأخذ منهم، والإحسان لمن يسيء إليهم، والعناق لمن يطعنهم في الظهر، يتباهون بموعد يمنح في واشنطن، يتخذون القرارات ولا ينفذون، يواجهون التدخل في شؤونهم ولا يحتجون، يتلقون العقوبات والحصار والعدوان والاحتلال، واحداً بعد الآخر، ولا يحرك ذلك قدسية الالتزام القومي.

لم يدركوا أنهم جميعاً يدفعون الثمن ولكن بالدور واحداً بعد الآخر، يفضلون استيراد الأمن من الخارج عوضاً عن تلقيه من شعوبهم، يتخذون قرارات حول السلام مدفوعين إليها بالضغوط والتخويف.

جاءت مبادرة السلام العربية عام 2002 المستندة إلى قرارات وافقت عليها دول العالم ليجابَهوا بخارطة الطريق، والرباعية، ثم أنابوليس، وليتسابقوا بعد ذلك للإعلان أن المبادرة العربية قد ماتت، وأكثرهم تفاؤلاً رأى أنها في غرفة الإنعاش.

العلاقات العربية- الأمريكية فشلت في التعامل معها الأساليب المعهودة والقرارات المتخذة، لأن تلك القرارات تم اتخاذها دون آليات، ودون ربطها بالمواقف والإمكانات الداعمة لها، نسيها الآخرون ثم نسيها العرب أنفسهم دون التفكير بأي بدائل.

العلاقات العربية- الأمريكية تحتاج إلى قمة طارئة، وأن يكون القرار كامل الوضوح مطالباً الإدارة الأمريكية بوقف انحيازها لإسرائيل، ووقف دعمها للعدوان والعداء للأمة العربية، مقابل صداقة وتعاون عربيين، وإذا تم رفض ذلك فلا بد من وضع أسس لعلاقات أخرى نستخدم فيها كل ما يملكه العرب من إمكانات سياسية واقتصادية، وغيرها.

إن العالم كله يحمي مصالحه ومواقفه بما يملك من إمكانات وقدرات، فلماذا يتهرب العرب من ذلك؟ لماذا يقبلون الإساءة والإهانة والهيمنة، ويقدمون لأعدائهم كل شيء على طبق من خضوع؟!

- **العلاقات العربية-الأوروبية**

أوروبا قارة اتحادية تضم عدداً من الإمبراطوريات السابقة، جمعت قدراتها في اتحاد كي تحافظ على مصالحها، ولكن السياسة الأوروبية، وخاصة سياسات الدول ذات الماضي الاستعماري محكومة بعقدتين: الأولى ذكريات العهود الغابرة التي تدغدغ بعض الأمل بإمكانية استعادة نفوذ قديم، والعقدة الثانية الخوف من الضغوط الأمريكية.

بريطانيا وحدها تنفرد بعقدة أخرى هي الاعتقاد بأنها تمت بصلة قربى للولايات المتحدة تخولها الحصول على مكاسب دولية أكبر، وتترجم ذلك أكثر الأحيان بتبعية غير مشروطة للسياسة الأمريكية.

فالمواقف الأوروبية بصورة عامة كانت في غالبيتها انعكاساً للمواقف الأمريكية، وكان ذلك انحيازاً لإسرائيل، وأوروبا المستقلة غير مستقلة تماماً في سياساتها الشرق

أوسطية، كما تظهر القرارات الصادرة عن المفوضية الأوروبية خلال السنين الأخيرة، بل وهنالك تنسيق يكلف فيه الاتحاد الأوروبي بالقيام بأدوار تكميلية أو فرعية لخدمة الإستراتيجية الأمريكية والمصالح الإسرائيلية، وفي هذا الإطار أسوق مثالين:

الأول: إعلان برشلونة عام 1995

أي بعد عامين على اتفاقية أوسلو، والذي يبدو منه أنه أُنشئ أوروبياً كإطار من أجل تطبيع عربي- إسرائيلي مجاني، وأيضاً تقسيم العرب إلى أجزاء، العرب المتوسطيين – مع استثناء ليبيا التي تمتلك أطول شواطئ على المتوسط-، وإشراك إسرائيل وتركيا وقبرص، بينما أصر الاتحاد الأوروبي أن تكون أوروبا كلها بدولها الخمسة عشر آنذاك في الجهة المقابلة، والغالبية تتفق أن إعلان برشلونة قد انتهى إلى الفشل كما كان متوقعاً.

الثاني: الاتحاد من أجل المتوسط

وهو المشروع الأكثر غرابة، وهو في تركيبته وهيكله معادلة فاشلة أخرى وهدفها الرئيس أيضاً التطبيع دون أن يمتلك هذا الهيكل الجديد أي قدرات لتحقيق تعاون فعال.

والتعاون الصحيح والمنطقي هو بالعودة إلى الحوار العربي- الأوروبي وهياكله، وتطوير ذلك ليتحول إلى حالة تعاون تكاملي بين الاتحاد الأوروبي بكل دوله، وجامعة الدول العربية بكل دولها، وأن يشمل التعاون في إطاره جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، تماماً كما تضمن ميثاق الحوار الذي تم إقراره بين المجموعتين عام 1975، إلا أنني أشك بإمكان تحقيق ذلك إذا لم تمتلك المجموعتان الإرادة والقدرة على رفض الضغوط الأمريكية المتوقعة ضد مثل هذا التعاون.

- **العلاقات العربية مع الدول الكبرى والكتل الدولية**

عالم القطبية الواحدة قد لا يكون كذلك في الأعوام القادمة، لا سيما بعد مظاهر الضعف والتقهقر التي تحكمت في البنية الأمريكية، ولذلك كان من الطبيعي الحديث عن دول عظمى قادمة، **عودة روسيا**، وبخاصة في المجال الأمني والقدرات العسكرية، **ودخول الصين** بقوة مع تزايد قدراتها الاقتصادية والعسكرية، ثم السياسية، مع **عدم إغفال اليابان**

كقوة اقتصادية رغم الظروف الراهنة.

وهنا لا بد من وضع استراتيجيات تعاون عربية مع هذه الدول تعزز العلاقات السياسية والأمنية، والتعاون الاقتصادي معها.

الكتل الدولية الأخرى تتصف بالأهمية، وللعرب علاقات مميزة مع بعضها، وعلى الأخص الاتحاد الأفريقي، ومنظمة الدول الإسلامية، وآسيان، والمجموعة اللاتينية، وفي هذا الإطار يجب ألا يهمل العرب هذه الكتل التي تزداد أهمية.

- **العلاقات العربية-الإقليمية**

وهنا نشير بالخصوص إلى تركيا، وإيران، وإثيوبيا، فالعلاقات الإقليمية لأي دولة تتصف بأهمية خاصة، لأن دول الجوار قد تكون سنداً أو تكون عدواً، والأفضل أن تعيش دولنا في إقليم يسوده التعاون الوثيق، ولا بد أن نتذكر أن الدول العربية تشترك مع الأمة التركية والأمة الإيرانية بعلاقات ثقافية وتراثية بالغة الأهمية، تشكل أرضية لعلاقات إستراتيجية لمصالح الأطراف كلها.

صحيح أن هناك إشكالات وصعوبات بل وحروبا قامت بين هذه الدول الإقليمية، وظهرت جلياً نتائجها المدمرة على الأطراف كلها، ولكن الأكثر صحة هو أن رصيد التعاون، الذي يسانده مخزون مهم في الوجدان الثقافي والتراثي لهذه الأطراف، كفيل بأن يوفر أهم الأطر التي يحتاجها التعاون الاستراتيجي.

1. تركيا

كانت تركيا إمبراطورية ربطها بغالبية دولنا ماضٍ من السيطرة، وإن اختلف البعض حول التسمية، إلا أن تلك المرحلة كانت أحد أوجه العلاقات السائدة بين القوى المتجاورة، حيث يملأ القوي الفراغ الذي يخلفه العجز والضعف، إلا أن تلك المرحلة لم تتمكن من تدمير الروابط والعلاقات العميقة بين الأمتين العربية والتركية، وفرضت على تركيا سياسات معينة منذ الحرب العالمية الأولى أن تكون في الطرف المعادي لنا، ثم تحولت مع قيام الكيان الصهيوني إلى دولة متعاونة معه.

لكن تركيا تتألف من شعب مسلم لم ينس في أي مرحلة القيم المشتركة التي جمعت العرب والأتراك عبر القرون، وكان طبيعياً مع التحولات السياسية الأخيرة في تركيا التي أزاحت الضغوط الخارجية عن السياسة التركية وأفسحت المجال للمشاعر والعواطف التركية أن تعرب عن نفسها، فقد نقلت تركيا من حالة العداء إلى حالة التعاون ثم حالة الصداقة، وموقف رئيس وزراء تركيا في اجتماع دافوس الأخير يقدم ببلاغة صورة معبرة عن واقع جديد.

2. إيران

دولة جارة يتشابه واقعها الإقليمي مع تركيا إلى حد كبير، مع اختلافات تتعلق بحساسيات وإشكالات كانت دائماً قائمة، فقد كان شاه إيران الشرطي الأمريكي في الخليج، وتأثرت العلاقات العربية مع إيران الشاه بهذه الحقيقة، حيث كانت علاقات غالبية الدول العربية مع إيران جيدة قبل الشاه رغم احتلال إيران للجزر العربية.

وبعد حكم الثورة الإيرانية اختلفت العلاقات، بأخطاء من أكثر من طرف، ودخلت مباشرة مرحلة التوتر التي أججتها بعض التصريحات الإيرانية غير المسؤولة حول تصدير الثورة، وانتهت إلى الحرب الإيرانية- العراقية، وبمشاركة مهمة من بعض الدول العربية.

وفي عقد التسعينيات، تميزت العلاقات العربية- الإيرانية بالمد والجزر بين التعاون والتهديدات حتى الحالة الراهنة.

إن المصالح العربية العليا تتطلب عملاً جاداً بين الأطراف العربية وإيران لإزالة أسباب الخلافات، ومن المفترض أن تتجاوب إيران مع القرارات التي تم اتخاذها في إطار جامعة الدول العربية التي حددت وسائل حل مسألة الجزر العربية الإماراتية.

3. إثيوبيا

هي دولة جوار، وإن أهملتها السياسات العربية، وكانت عبر السنين مركزاً مهماً للنفوذ الأمريكي في القرن الأفريقي، وبرج المراقبة الأمريكية المسيطر على البحر الأحمر وباب المندب وممر هرمز إلى الخليج، كما أولتها إسرائيل اهتمامات خاصة لاعتبارات إستراتيجية، منها التأثير على السياسات المائية لإثيوبيا فيما يتعلق بروافد نهر النيل.

وهذا البلد وهو المنطقة المجاورة للقرن الإفريقي يتميز بأهمية كبيرة ستزداد مع توسع العلاقات العربية- الإفريقية وتطورها، مما يرتب مسؤولية وضع إستراتيجية عربية بعيدة المدى.

العرب في مواجهة التحديات العسكرية بعد معركة غزة

تحت هذا العنوان أسجل الملاحظات التالية:

1. كان صمود غزة العزلاء- إلا من الإيمان والاستعداد للتضحية حمايةً للحقوق- النتيجة الأبرز التي تجب دراستها واعتمادها نموذجاً، وتطوير ذلك في مواجهة العدوان والتفوق العسكري الإسرائيلي.
2. تضعضع واضطراب قيادات العدو في مواجهة الصمود البطولي هو بدوره نتيجة ثانية لا تقل أهمية.

ويمكن من هاتين الملاحظتين الخروج بحقيقة مهمة بأن هزيمة إسرائيل ممكنة، ووضع حد لعدوانها في متناول اليد الفلسطينية والعربية، وهاتان الحقيقتان تضعان العرب في مواجهة تحديين رئيسيين:

- **تحدي السلام**

فانتصار غزة يجب أن يكون حافزاً لرسم الإستراتيجية العربية القادمة في أي مفاوضات سلام، آخذين في الاعتبار سقوط عقلية المساومة والاستعداد للانخداع والتسليم في إطار حالة الضعف والانقسام التي استغلها العدو الصهيوني، حيث كانت اتفاقية أوسلو عام 1993 قد اعتمدت أسلوب الخضوع للضغوط، ولأكثر من 16 عاماً مرت على الاتفاقية والموقف الفلسطيني ومعه العربي يضيع في دهاليز الاستجداءات الدولية والمواقف المكررة، والمطالبات العربية الهزيلة التي افتقدت الآليات والرؤى الإستراتيجية السليمة.

وخلال الأعوام الطويلة من عمر النضال الفلسطيني بين أوسلو وغزة مرت مواقف مختلفة، من ضعف وتنازلات غير واجبة في المفاوضات، فهي كما أظهرت مذكرات

المسؤولين المشاركين بأنها لم تكن نتيجة إشكاليات في كفاءات المفاوضين المصريين، بل كانت في مكان آخر.

لقد مارس العرب دبلوماسية ساذجة اعتمدت على وعود إسرائيل وأكاذيب السياسات الغربية المساندة لها، مما دفع العرب في قمتهم عام 1996 في القاهرة إلى تبني مواقف، وإعطاء مؤشرات على هشاشة الموقف العربي وضعفه.

لقد أكد العرب في قمة 1996 أن السلام هو خيارهم الإستراتيجي، وكأنهم يؤدون قسماً حول ذلك، ولم يفكروا في تأكيد استعدادهم لاستخدام جميع الوسائل المتاحة تنفيذا للمادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك، فيما لو أن السلام الموعود تبددت أحلامه، وخلال الفترة بين أوسلو وغزة جاءت مبادرة السلام العربية عام 2002 في قمة بيروت لتضيع مباشرة في خريطة طريق فرضها اللوبي الصهيوني والتحق بها العرب، ثم الرباعية، ثم أنابوليس، وخلال هذه السنوات تم ابتلاع المزيد من الأراضي، وإقامة المزيد من المستوطنات، وإنشاء الجدار العنصري، واغتيال الرئيس ياسر عرفات، كل ذلك والأحلام باستعادة الحقوق المشروعة تضيع وتتلاشى.

إن انتصار غزة يجب أن يكون جرس الإنذار الذي يذكر الجميع بأن العدو الإسرائيلي الذي حقق انتصارات في الماضي وسقط في امتحانين بارزين في جنوب لبنان عام 2006 وفي غزة عام 2009 لا يمتلك اليوم قدرات النصر.

والدرس الأهم الذي يجب الخروج به بعد غزة، هو أن يتعلم عرب التفاوض أن مفاوضات يخوضها طرف في صراع لا يمكن أن تحقق له شيئا إلا بمقدار ما يمتلك من معطيات يطرحها بقوة على طاولة المفاوضات، بما فيها قدرات المقاومة المسلحة وإمكاناتها، فتاريخ الثورات المنتصرة لسائر الشعوب تقدم الأمثلة والدروس، بما في ذلك انتصار المقاومة الأمريكية ضد الاستعمار البريطاني أو المقاومة الأوروبية ضد الاحتلال النازي، فلماذا لم يدرك العرب أن نهجهم لم يسفر إلا عن الفشل، بل والكوارث واحتقار الآخرين.

المطلوب اليوم هو أن تتألف إستراتيجية استرجاع الحقوق من شقين: من مفاوض لا يثير الاشمئزاز بعناقه لعدوه الذي يقتل أطفاله ويدمر دياره، ومن مفاوض تسنده في المفاوضات مقاومة مسلحة تفرض وجودها، وتحقيق ذلك ممكن إذا توافرت الإرادة والسيادة ووحدة الشعب الفلسطيني خلف قيادة مفاوضة ومقاومة في الوقت ذاته، وبمساندة فعالة بكل الإمكانات من الشقيق العربي.

- **تحديات بناء القدرات الدفاعية**

هذا التحدي يتصل بالأمن القومي العربي الذي تحدثت عنه القيادات العربية طويلاً، بل ومنذ توقيع معاهدة الدفاع العربي المشترك والتعاون الاقتصادي وإنشاء مجلس الدفاع المشترك، ولكن لم تتخذ بشأنه أي مواقف جادة، سواء في إطار كل دولة عربية، أو في إطار العمل العربي المشترك.

إن القدرات الدفاعية العربية تعتمد في غالبيتها على أسلحة أقل تطوراً وفاعلية، ومكبلة بالنسبة لدول معينة بشروط تحد من قيمتها ودورها لأسباب تتعلق بما يسمى أمن إسرائيل.

المطلوب اليوم عمل عربي جاد وملح وعاجل، لبناء صناعة سلاح عربية، هدفها بالدرجة الأولى توفير وسائل الدفاع ضد أي عدوان تتعرض له أي دولة عربية، لا سيما أن الصناعات العسكرية توسعت دوائرها لاعتبارات اقتصادية - تجارية، واستطاعت دول كثيرة في العالم، حتى صغيرة الحجم ومحدودة الإمكانات، بناء قدرات متطورة، بما فيها الصواريخ العابرة، بل وبعضها امتلك القدرات النووية العسكرية، والغريب المستهجن أن العرب هم جغرافياً وسط إقليم يضم قوى أخرى استطاعت كلها أن تبني صناعة سلاح متطورة، سواء تركيا أو إيران أو إسرائيل، وظل العرب، وهم الممتلكون لقدرات علمية ولقدرات مالية، ظلوا وحدهم يراوحون في المكان، ويبددون جزءاً مهماً من ثرواتهم في شراء أسلحة من الدرجة الثانية، وبعد توسلات ورجاءات تقبل أحياناً وترفض أغلب الأحيان.

المسألة النووية

هذا الموضوع بالغ الخطورة، ويتلخص بامتلاك إسرائيل لقدرات نووية قادرة على تدمير المنطقة كلها، وامتلاكها لصواريخ كفيلة بإيصالها إلى كل مكان في الوطن العربي، وهذه التكنولوجيا أقيمت بتضافر جهود دولية بدأتها فرنسا، وتبنتها بعد ذلك الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ودول أخرى، ويتولى الذين ساعدوا إسرائيل في بناء قدراتها النووية اليوم ممارسة إرهاب سياسي وعسكري على دول المنطقة، بحجة توافر معلومات عن احتمالات امتلاك هذه الدولة الإقليمية أو تلك ما يمكن أن يتحول إلى تكنولوجيا نووية عسكرية.

لقد دُمِّر العراق بحجة هذه الأكاذيب، وربما إيران وكذلك سوريا تتعرضان لنفس السيناريو، وربما يتم إشهار حرب إعلامية وإرهاب سياسي ضد دول أخرى، والحجة المعلنة أن ذلك يمكن أن يشكل يوماً ما خطراً على أمن إسرائيل، هذا ما رددته وزيرة خارجية الولايات المتحدة كوندالزا رايس في زياراتها الثماني عشرة للمنطقة، والتي لم تذكر خلالها ولو مرة واحدة الحالة النووية الإسرائيلية.

المسألة النووية في الشرق الأوسط عالجها العرب بضعف وتخاذل كبيرين، فاكتفوا بقرارات في إطار جامعة الدول العربية، بدعوة مجلس الأمن لاتخاذ قرار بإعلان منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من جميع أسلحة الدمار الشامل، ويقابل هذا الطلب العربي حتى الآن بالرفض واللامبالاة.

الحاجة اليوم باتت ماسة لاعتماد العرب مواقف وأساليب تعتمدها دول جادة، وهي إبلاغ دول مجلس الأمن والدول دائمة العضوية بالخصوص، أن الدول العربية لم تعد قادرة على إهمال أمن شعوبها، وأنها تمهل مجلس الأمن مدة لكي يتحمل مسؤولياته، وإذا فشل في تحقيق ذلك فإن الدول العربية ستكون ملزمة، انسجاماً مع إرادة شعوبها، بتجميد عضويتها في معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، واتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة بتوفير حالة دفاع عن هذه الشعوب، عملاً بحق الدفاع عن النفس الذي هو أحد أهم المبادئ في ميثاق الأمم المتحدة.

الأمن القومي العربي

هذا الموضوع الكبير والخطير رافق العمل العربي المشترك منذ 1950بعد عامين على قيام إسرائيل بتوقيع اتفاقية الدفاع العربي المشترك، ولكنه ظل عبر السنين أفكاراً وأمنيات، وظلت المعاهدة حبراً على ورق باستثناء حالة واحدة لاعتبارات سياسية، ولكن بعد الحرب العراقية- الإيرانية، واحتلال العراق للكويت عام 1990 ثم تحرير الكويت عام 1991، تحركت الجهود في إطار الأمانة العامة للجامعة العربية لوضع ما يسمى بإستراتيجية الأمن القومي العربي، ولكن تلك الجهود المبذولة والدراسات الموضوعة اصطدمت بحالة الفرقة العربية، وبما يسمى تضارب المصالح الوطنية مع المصالح القومية.

ومع بداية القرن الجديد وأحداث 2001/9/11 في الولايات المتحدة، واحتلال العراق عام 2003، وإستراتيجية الهيمنة الأمريكية من خلال مشروع الشرق الأوسط الجديد، والتحرك العربي لإجراء إصلاحات في هياكل العمل العربي المشترك عام 2004، عاد موضوع إستراتيجية الأمن القومي من جديد، ليتحول إلى أحد البنود المهمة على جدول أعمال قمة الرياض عام 2007، ثم تحول إلى جدول أعمال قمة دمشق عام 2008، وهو أيضاً على جدول أعمال قمة الدوحة عام 2009.

هذا الموضوع الكبير يحتاج إلى إرادة كبيرة، وقد يمضي زمن ضائع وهو ينتقل من قمة إلى قمة، إلا إذا تحولت القيادات العربية من حالة العجز الراهنة إلى حالة فاعلة وإرادة سيادية، وقرأت مخاطر المستقبل بموضوعية، وعندئذ فقط ستدرك تلك القيادات أن وضع إستراتيجية فاعلة حقيقية للأمن القومي العربي تلتزم بها دول الأمة هو حاجة مصيرية، وأن الأمن الوطني لأي دولة عربية يكون قوياً بمقدار وحدة الإرادة العربية، وقوة إستراتيجية الأمن القومي.

إن ما بعد معركة غزة لا بد أن يكون مختلفاً نوعياً عما كانت عليه الأمور قبلها، سواء في مجال العلاقات بين فصائل الشعب الفلسطيني أو بين دول الأمة الواحدة، إن الأمل أن يكون صمود غزة إنذاراً لإسرائيل، وحافزاً لنا نحن العرب يقربنا من القناعة

والإدراك أننا نمتلك كل مقومات النصر إذا اقتربنا في قراراتنا من إرادة المواطن العربي، وإذا ترجمنا هذه الإرادة عملاً جاداً فاعلاً لتحقيق أهداف الأمة، وبخاصة بناء الحالة الاتحادية.

الورقة الرابعة

انعكاسات المعركة على مستقبل العلاقات الفلسطينية الداخلية

أنيس قاسم فوزي*

ربما كان في الفصل بين الانعكاسات الاستراتيجيه الداخلية من العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، على المستويين الفلسطيني والعربي، بعض التعسف، لأن النظام الفلسطيني وما ينطبق عليه هو في الواقع جزء لا يتجزأ من النظام العربي وما ينطبق عليه، ومن هنا نود أن نتجاوز الحدود المرسومة في هذا المجال على أمل أن تكون الصورة أوضح عند تحليل الأبعاد الإستراتيجية لنتائج العدوان على غزة.

من الصعب البحث في نتائج معركة غزه، دون الدخول أولاً في وصفها، وما أحدثته من ردود فعل فلسطينيه وعربيه أثناءها وبعدها، وما كشفت عنه من مواقف ربما كانت دفينة أو واقعه في المناطق الرمادية ولم تتضح معالمها بعد، على أساس أن خفايا العدوان ومواقف بعض الأطراف الفلسطينية والعربية ما زالت غير معلنة أو غير واضحة، ولهذا فإنه عند معالجة ما حدث في غزة، لا بد من استعادة معركة جنوب لبنان في صيف 2006 ومواقف البطولة للمقاومة ومواقف العار لبعض رموز النظام العربي.

ليس من الصواب البحث في السؤال الذي أرّق الجميع، وهو: هل انتصرت حركة حماس في معركة غزه أم هُزمت؟ وهل حقق الجيش الإسرائيلي أهدافه؟ وفي الواقع لم تكن الأهداف الإسرائيلية واضحة ومحددة بل كانت متقلبة، وأصابها الإرباك، ولا أدل على ذلك من مقاربة تصريحات رئيس الوزراء أولمرت مع تصريحات وزير الحرب باراك مع تصريحات وزيرة الخارجية ليفني، لأن الانتصار هنا لا يُقاس بالمقاييس التقليدية للانتصار والهزيمة، ولا أتصور أن قياده المقاومة الفلسطينية كانت تتصور أن تهزم الجيش الإسرائيلي، وربما كان الأهم من هذه المفاضلة، هو التأكيد على أن قوات الاحتلال

* **د. أنيس قاسم فوزي:** محام وأستاذ قانون دولي- الأردن.

الإسرائيلي قد خرجت من غزة وهي مثقلة بالخزي والعار، والإدانة الدولية بسبب الجرائم التي ارتكبتها بحق المدنيين العزّل في القطاع، وهذا هو"العار"الذي سيظل يلاحق إسرائيل وقادتها وجيشها.

وعند النظر إلى معركة غزة من هذه الزاوية، نقول: لقد انتصرت المقاومة الفلسطينية في غزة، وألحقت المقاومة العار بالسلاح الإسرائيلي الذي تطاول على الأطفال والمدنيين العزّل.

حرب غزة والترددات العربية والفلسطينية

لا شك أن معركة غزة قد أحدثت ترددات عميقة وواسعة فلسطينياً وعربياً، ومن الصعب جمع هذه الترددات هنا، ولكن ربما يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

أولا: قد تكون معركة غزة في جوهرها الفصل الثاني من معركة بدر الكبرى، ذلك أن التاريخ العربي وفي بدايات البعثة النبوية شهد في تلك المعركة انهيار رابطة الدم ونشوء رابطة الفكر والسياسة، حيث إنه ولأول مرة اصطف الأخ الكافر ضد أخيه المسلم، والولد الكافر ضد أبيه المسلم، والعم الكافر ضد ابن أخيه المسلم، فلم تبدأ عملية الاصطفاف الجديدة في المجتمع العربي آنئذٍ على أساس الدم والعشيرة والقبيلة والفخذ، بل على أساس الفكر الجديد والمنهج الجديد والسياسة الجديدة التي أوجدها الإسلام.

وجاء العدوان الإسرائيلي على غزة وكأنه تكرار للتجربة السابقة نفسها، فقد أعيد الاصطفاف العربي على أساس الفكر والسياسة والمبدأ، فقد اصطفت بعض رموز النظام العربي، بما فيه النظام الفلسطيني، في صف العدوان والاحتلال والهمجية الإسرائيلية، بل نقل عن بعضهم أقوال شماتة في أوج المعركة، وكرر قادة الاحتلال الإسرائيلي، من مدنيين وعسكريين، بأن عمليتهم العسكرية تتفق مع رغبات بعض رموز النظام العربي بمن فيهم الفلسطيني، ولم تصدر تصريحات من الجانب العربي والفلسطيني تنفي ذلك، مع العلم أن بعض القرائن كانت شديدة الدلالة، بل كانت ناطقه تؤكد هذا التواطؤ العربي والفلسطيني مع العدوان الإسرائيلي، وما علينا إلا

مراجعة ومقاربة ما جرى في قمتي الدوحة والكويت والمؤتمر الدولي في شرم الشيخ، ومن الجهة الأخرى كان الانحياز الشعبي والمجتمع المدني وقادة الرأي والفكر واضحاً في صف المقاومة، بل وأكثر من ذلك، ثبت على وجه اليقين، أن هناك دولاً إقليمية وغير إقليمية، وغير عربية، وإسلامية وغير إسلامية أخذت مواقف وأطلقت تصريحات منددة بالعدوان ومؤيدة صمود الفلسطينيين في قطاع غزة أكثر جرأة مما قاله بعض رموز الاعتدال العربي والفلسطيني.

ثانيا: لقد كان العدوان الإسرائيلي على غزة، يشبه إلى حد بعيد العدوان الذي قام به جيش الاحتلال الإسرائيلي على جنوب لبنان في صيف عام 2006، من حيث أنه أماط اللثام عن مواقف عربية رسمية ظلت متدثرة بعباءة العروبة، فإذا بإسرائيل تنزع هذه العباءة وتفضح الموقف العربي الرسمي، حيث قال بعضهم إن حزب الـلـه قد قام بمغامرة، وإنه جرّ لبنان إلى حرب هو في غنى عنها، وإن قرار الحرب يجب أن يكون في يد الدولة وكذلك قرار السلم، وإنه لا يجوز لفصيل أو حركة أن تجرّ الدول العربية إلى مواقف لم تُستشر فيها، وتتكرر هذه الأطروحات أو أطروحات مماثله فيما يتعلق بما جرى في غزة وذلك بقصد تجريد حركة حماس من مبرراتها الوطنية والنضالية، فقد شنت بعض وسائل الإعلام الرسمية العربية هجومها على حماس، إلى حد تبرير العدوان الإسرائيلي بأنه جاء ردا على صواريخ المقاومة الفلسطينية التي تطلقها حماس والتنظيمات الفلسطينية الأخرى باتجاه المدن الفلسطينية في جنوب فلسطين المحتلة.

إن الظاهرة المذهلة التي انكشفت خلال المعركة، والتي انزاح عنها الستار هو أن النظام الفلسطيني الرسمي، كان في صفوف رموز النظام العربي الذي تخفّى خلف يافطة الاعتدال العربي، وهو الاسم الحركي الجديد لرموز نظام عربي متواطئ أمريكيا وإسرائيليا، إنه معسكر الجاهلية الجديدة، وأقول إنها ظاهرة"مذهلة" ومخزية، لأن شلال الدم الدافق في غزة الذي سال خلال المعركة، لم يشفع لهؤلاء الضحايا لدى أوساط البلاط الفلسطيني الرسمي، وأن ممثلي السلطة الفلسطينية

فشلوا في إيجاد أعذار يختبؤن خلفها لتبرير مواقفهم المذّلة المتواطئة مع الاحتلال، إنها حقاً ظاهرة مذهلة لأن حجم الجريمة التي ارتكبتها قوات الغزو لم يكن مسبوقاً أو مبرراً أو مفهوماً، وظاهرة مخزية لأن أركان السلطة الفلسطينية وبعض رموز النظام الرسمي العربي كشفت المعركة القناع عنهما وعجزا عن تبرير مواقفهما أمام الجماهير الفلسطينية والعربية.

ومن الواضح، أن النظام الفلسطيني- كما كشفت عنه معركة غزة- هو أخطر ما يهدد القضية الوطنية أو ما تبقى منها في الضفة الغربية، أليس غريباً أن هذا النظام الفلسطيني هو نفسه الذي جرّ العربة الفلسطينية إلى أوسلو؟ وهل صدفة أن الترويكا الفلسطينية التي فاوضت على أوسلو وعايشت محرقة غزّه هي نفسها التي تمسك حالياً بزمام القرار الفلسطيني وتمسك كذلك بتلابيب القضية، وتحظى بكل هذه الرعاية الدولية والمجاملات العربية الرسمية؟ إن معركة غزه تدق جرس الإنذار للفلسطينيين في الداخل والخارج، وإنه إذا ما أرادوا إنقاذ قضيتهم فإن عليهم التخلص من أوسلو ورموز أوسلو وفرز قيادة تليق بمعركة غزة.

ولكي يخفي النظام الفلسطيني عوراته التي لا تنفع فيه الآن كل أوراق التوت، فإنه يلوم حركة حماس على قيادتها للمقاومة في غزة، بحجة أنها جلبت الدمار لأهلنا في غزة، وأن ما قامت به حركة حماس ليس إلاّ خدمة لأجندات إقليميه، وهذا التعبير يعني إيران، بدلا من توجيه اللوم لإسرائيل على ما ارتكبته من محرقة ضد الفلسطينيين في القطاع، وهكذا يساهم النظام الفلسطيني في تدوير أوراق التوت العربية ويصطنع لنا عدواً وهميا اسمه إيران، بينما العدو الحقيقي للشعب الفلسطيني هو إسرائيل، وأنا لست في موقف الدفاع عن إيران بداية، إلاّ أنه من الرشاد القول إن المنطقة العربية تعاني من فقدان القدرة العربية، بمعنى أنه لا توجد حالياً كتلة عربية ذات وزن إقليمي أو دولي، أي إن فراغاً خطيراً قد حدث في المجال العربي، وهذا الفراغ لا بدّ من إشغاله بالقوة الإسرائيلية أو بالقوة الإيرانية، وإن كان للعرب- غير الرسميين وغير ممثلي النظام العربي- من خيار، فإن العقلانية تقتضي دائماً الوقوف في وجه الخطر

الصهيوني، ذلك أنه خطر استيطاني، وهذا أشدّ أنواع الاستعمار، ولا أود أن أضيف أن ما يجمعنا مع إيران أكثر بكثير مما يفرقنا، إلاّ أنه بالتأكيد لا يمكن وضعه في الميزان مع الخطر الصهيوني، لست غافلاً أن هذا الرأي يتعارض مع مواقف النظام العربي"المعتدل" الذي يعتبر الخطر الإيراني أشد من الخطر الصهيوني، وقد رددت تسيبي ليفني في أكثر من مناسبة على لسان رموز هذا النظام أنهم يشتركون مع إسرائيل في القناعة أن الخطر عليهم وعلى إسرائيل هي إيران، وللغرابة، لم نسمع بيان شجب أو استنكار أو تكذيب لما ادعته ليفني.

إن النظام العربي المعتدل هو الذي اخترع لنا في أواسط القرن الماضي"الخطر الشيوعي"، وأرهبنا النظام بمقولة إن ذلك هو الخطر الذي يجحد وجود اللـه ويتعارض مع مبادئنا وتقاليدنا، إلى آخر مسلسل الموبقات التي ألصقت بالمعسكر الاشتراكي حينئذ، ثم نكتشف أن تلك لم تكن حرباً عقدية، بل كانت ذريعة تبرر الانهزام والتستر خلفها لستر عورات المصالح الشخصية لممثلي النظام، إن ذاك النظام المعتدل ما زال معتدلا في العصر الحالي إنما على نحو أخطر وأشدّ ألماً، ذلك أنه يتحالف مع أخطر عدو للأمه وأشرس شكل من أشكال الاستعمار، إنه الاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

إن هذا الانحدار الشديد في موقف النظام العربي المعتدل، بما في ذلك موقف قيادة السلطة الفلسطينية، هو نذير شؤم وبؤس لمستقبل هذه المنطقة، ولا سيما للقضية الفلسطينية، وإذا وصلت الموازنة بين إيران وإسرائيل، ثمّ تنحاز لإسرائيل، فإن القضية الوطنية تعيش أكثر أيامها بؤساً ونكداً.

ثالثا: أما ثالث هذه الترددات فهي حالة الفصام التي أصابت حركة فتح، وهي الفصيل الأهم في الساحة الفلسطينية وقائدة النضال الفلسطيني لأكثر من أربعة عقود، نتيجة هذه المعركة التي ارتفع فيها منسوب الجريمة الإسرائيلية إلى حدود غير مسبوقة وهزت مشاعر العرب والفلسطينيين بل والعالم أجمع، ما هو دور حركة فتح وما هو

موقفها وماذا اتخذت من مواقف وإجراءات؟ ليس صعباً أن نتصور حالة الغليان والارتباك التي وقعت في أوساط الحركة، إلاّ أنه، ولسوء الحظ، لم تخرج الحركة من إطار هزيمتها في الانتخابات التي جرت في كانون ثاني/يناير عام 2006، ولا زالت تعيش حالة الكابوس، وعدم تصديق ما جرى لها من خسارة، وهي التي تعتبر نفسها "أم النضال" الفلسطيني.

لا شك أن قيادة فتح قد حازت على الشرعية الثورية عبر نضالات طويلة ومعارك بارزة في المسيرة الفلسطينية، وكان حصار بيروت لما يقارب 3 أشهر ملحمة مضيئة في الجسارة والثبات، وحازت فتح على الشرعية الدستورية بنجاحها في الانتخابات العامة التي جرت عام 1996، وكررت حماس التجربة ذاتها، إذ حازت على شرعيتها الثورية بالنضال القاسي والدموي، وعبر معارك وتضحيات، كما حازت على شرعيتها الدستورية في انتخابات عام 2006، وبرغم من يختلف مع هذه ويتفق مع تلك، فإن تداول السلطة أمر مقبول ومرغوب فيه، ولا يجوز الانقضاض عليه بغير صناديق الانتخاب، وإلاّ أصبحنا مراوغين وملوّنين بألوان الديمقراطية الأمريكية والمقاسات الصهيونية، وما لم تقتنع حركة فتح أن الذي يحسم الخلاف هو صناديق الاقتراع، فإن مستقبل العلاقة بين الأطراف الفلسطينية سيظل يراوح مكانه، نسمع خلاله كثيراً عن الخطوط الحمر، ولا نرى إلاّ كثيراً من الدماء والرياء.

الانعكاسات الاستراتيجية

إن أولى الانعكاسات الاستراتيجية لمعركة غزة هو وجوب إعادة النظر فيما يسمى "المبادرة العربية"، لقد سبق وأن تمّ نقد هذه المبادرة، وما زالت تجري عليها مراجعة وإعادة نظر، كما حدث في مؤتمر الدوحة، إلاّ أنه يجب سحبها نهائيا، واتخاذ قرار استراتيجي بذلك، حيث إن معركة غزة، وقبلها معركة جنوب لبنان، أثبتتا بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا العدو الإسرائيلي عدوٌّ فيه توحّش فطري وغريزة عدوانية لا تنزع منه، وعلى العرب، أنظمة بكل ألوانها، وشعوباً بكل طوائفها، أن تستقرّ على هذا وتتعامل مع هذا العدو على أساسه.

إن كان يليق بدول عربية أن تعقد هدنة مع هذا النظام العنصري المتوحش لمتطلبات المرحلة وضروراتها، فإنه لا يليق بذي الحِجى أن يتحدثوا عن سلام معه، فالسلام وإسرائيل- كما أثبتت ستة عقود من الممارسة- عنصران لا يمتزجان، كما الماء والزيت.

وعلى الحركات المقاومة لهذا العدو المتوحش أن تنحاز نهائياً إلى أطروحة مؤداها أن جزءاً من النظام العربي لن يخرج عن طوق الباب العالي، وسيظل رهيناً له، لا طوعاً ولا اختياراً وإنما ثمناً لوجوده ... إن بعض رموز الاعتدال، ومنذ ستة عقود، لم يتغيّر ولم يتبدل، وليس ذلك بلادة في التفكير ولا تخلفاً في الاستيعاب، بل انسجاماً مع سبب وجوده واستمراريته، وإن محاولة جرّه إلى خارج سربه هي إضاعة للجهد والوقت، وإرباك لخطط المواجهة وحشد الطاقات.

وختاماً، فإن معركة غزه تفرض على حركة فتح إعادة النظر في ذاتها كحركة وطنية أصابها شلل أوسلو، وفي استراتيجيتها من أن مقاومة الاحتلال هي البديل الأقرب إلى الصواب والأكثر انسجاماً مع مصالح شعبها، ولا بدّ لذوي الرأي من أهل الحل والعقد في فتح من إدراك أن هذا العدو المتوحش لم يتغيّر منذ مؤتمر بازل، وللتدليل على صحة ذلك، فإن الرأسمالية تغيّرت وتبدلت من رأسمالية أمريكا إلى الرأسمالية الإسكندنافية، وإن الشيوعية تغيرت من مجتمع روسيا إلى الصين إلى يوغسلافيا إلى كوبا وفنزويلا، أما الصهيونية، فما زالت ثابتة، بل تزداد جنوحاً نحو اليمين وتزداد غطرسة وعنصرية، وتأبى إلا تشترط على العرب الآن الاعتراف بإسرائيل "دولة الشعب اليهودي"، فهل أدركت فتح أبعاد هذا الشرط ومخاطره على مستقبل الأمة قبل حاضرها؟!

الورقة الخامسة

نتائج المعركة وانعكاساتها الداخلية والخارجية

إسحاق الفرحان*

تأتي هذه الندوة "معركة غزة" بأبعادها الاستراتيجية المختلفة العسكرية والسياسية والإعلامية والاجتماعية، في الوقت المناسب للتفكير في مرحلة أو مراحل ما بعد هذه المعركة التي تعد انتصاراً لأهلنا في غزة بخاصة وفلسطين بعامة، بل وللعرب والمسلمين بصورة أعم، في عصر ذقنا فيه كثيراً من الهزائم والانتكاسات لعقود عدة مضت، ولكن الأمل يتجدد، وبعد معركة غزة، معركة الفرقان، رغم التضحيات الكثيرة من الشهداء والجرحى، وجرائم تدمير الحرب غير الإنسانية، مما يمكن أن نعتبرها من طرف العدو "هولوكوست غزة"، ومن قبلها هولوكوست القدس، وبل منذ الانتداب البريطاني على فلسطين، ودعم الحركة الصهيونية من قبل الإمبراطورية الأمريكية حتى يومنا هذا، ويمكن اعتبار جرائم الحرب الإنجليزية والصهيونية والأمريكية في فلسطين هولوكوست فلسطين.

لا بد من التركيز على بعد واحد، هو بعد الانتصار في معركة غزة في أوائل الشهر الأول من هذا العام 2009، وقد مضى على نكبة فلسطين عام 1948 ستون عاماً، وعلى حرب الأيام الستة أو إن شئت الساعات الست عام 1967 أربعون عاماً، وبالأمس القريب عام 2006 انتصر حزب الله على آلة الحرب الإسرائيلية في جنوب لبنان بعد 33 يوماً، كما انتصرت حركات حماس والجهاد والمقاومة الوطنية في غزة على العدو الإسرائيلي وآلته الحربية التي تعد من أقوى خمس قوى عسكرية في العالم بعد 23 يوماً، "وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ من ينصره إن الله لقوي عزيز".

واعتبار المعركة انتصاراً لطرف من أطراف المعركة قد يختلف فيها الباحثون

* **د. إسحاق فرحان/** رئيس ملتقى القدس الثقافي

والمؤرخون، ولكن المحلل الاستراتيجي لا يقيمها بمقدار القوة العسكرية للجيش الغازي أو للدمار وعدد القتلى للشعب الذي يتلقى الضربات، ولكن ينظر إلى ما جرى أثناء المعركة من دوافع وعوامل ومظاهر، وما بعد المعركة من آثار وعواقب ونتائج.

أما ما جرى بالقياس الكمي العددي، فشعب غزة محاصر منذ عامين، جوا وبحرا وبرا، حتى في معبر رفح إلى مصر العروبة والإسلام، نتيجة عوامل سياسية وكوابح إقليمية ودولية، ومؤامرات اشترك فيها القاصي والداني على تعميق الفجوة بين أبناء فلسطين في الضفة والقطاع، وأما الآلة العسكرية عند أهلنا في غزة فمتواضعة أشد التواضع بالنسبة إلى الآلة العسكرية الإسرائيلية المدمرة، ومساحة أرض القطاع ضيقة، حوالي 400 كم^2، والكثافة السكانية عالية 1.5 مليون، أي 4 آلاف نسمة في كل كم^2، مما يجعل السكان المدنيين من أطفال ونساء وشيوخ هدفا سهل المنال للحملة العسكرية الصهيونية الباغية، إضافة إلى استهداف المؤسسات المدنية غير العسكرية من مستشفيات ومدارس وجامعات ودوائر خدمات حكومية، وحتى مؤسسات الأونروا التابعة لهيئة الأمم المتحدة.

وأما جيش العدو، خامس جيش عسكري في العالم من حيث القوة، فمزود بأحدث الأسلحة الأمريكية من طيران عسكري وسفن حربية وأسلحة برية فتاكة، ومنها محرمة دولياً، فالمقارنة العسكرية ليست واردة في حسابات المقارنة مع شعب أعزل، عدته الأساسية الإيمان بحقه في الحياة، وإرادة الصمود والمقاومة الباسلة للمحتل الغازي، حتى النصر أو الشهادة.

لقد علمتنا دروس التاريخ أن النصر النهائي لا يكون للمحتل الغازي ولا للمتعدي الباغي، ولكنه لصاحب الحق المؤمن بحقه، وصاحب الإرادة الصابرة والمجاهدة في الدفاع عن حقه في الحياة والعيش بكرامة، وهذا ما تعلمناه من معركة غزة.

وفيما يلي بعض الملاحظات العامة حول شعارنا اليوم "وانتصرت غزة":

أولاً: لا مجال للمقارنة بين قوى العدو الإسرائيلي العسكرية، وبين قوى الشعب المجاهد

في غزة، ولذلك لا يمكن أن يقاس النصر بمقارنة هذه القوة وآثارها بين الغازي الظالم المدجج بالسلاح والشعب الأعزل من السلاح، فآثار التدمير للبشر والحجر والشجر كبيرة، ولكنها ليست هي مقياس النصر، فرغم كل هذا الدمار، لم تهزم إرادة الشعب، ولم تتحطم معنوياته، بل بقي صامداً طيلة أمد الحرب، حتى ارتد العدو على عقبيه، ومن هنا فإن ارتداد العدو الذي لم يحتل جوهر الأرض، بل بقي يراوح على أطرافها مخلفاً الدمار البشع، لا يعد انتصارا له، بل مقاومة المجاهدين وصبر الشعب على الدمار يعد انتصارا للمقاومة.

ثانياً: رغم الدمار الذي ألحقه العدو بالأهداف المدنية لأهلنا في غزة، إلا أنه لا يمكن اعتبار هذا الدمار انتصاراً له، بالمقاييس الإنسانية العالمية، لأن الانتصار العسكري يكون على الجيوش المتحاربة، وليس على المدنيين العزّل، ولذلك فالمعركة غير متكافئة لأنها كانت بين جيش عسكري غازٍ، وشعب مدني أعزل محاصر، ولذلك تعد المعركة طعنة نجلاء في إنسانية الجيش الغازي، ولا تعد انتصاراً عسكرياً بين قوى غير متكافئة.

ثالثاً: إن صمود الشعب في غزة أثناء الحرب، وثباته على ممارسة الأخلاق الحضارية، وعدم حدوث الفوضى والبلبلة نتيجة كثرة الشهداء والدمار، وصبره على الحصار بعد المعركة يعد انتصارا لأخلاق الشعب، وارتباطه بخيار المقاومة مهما بلغت التضحيات، الأمر الذي له ما بعده في الحياة المستقبلية لهذا الشعب، ولانحطاط المعنويات لدى الغزاة الذين باتوا يدركون أن القوة العسكرية لن تحل القضية الفلسطينية لصالحهم، والذين سيكتب عليهم الرحيل ولو بعد حين ومهما طال الزمن.

رابعاً: لقد كان الشعور عند أهل الضفة الغربية تجاه إخوانهم في غزة، مليئاً بالحماس والمشاركة الوجدانية، ولم تتح لهم فرصة القيام بانتفاضة ثالثة مستثمرة وضع الحرب في غزة، ولو تم ذلك لكان له أثر كبير لدى إخواننا في غزة، وعلى المستقبل

السياسي للوضع المأساوي في الضفة، من حيث التسلط الأمني الإسرائيلي- الأمريكي على الشعب الأعزل هناك، واحتجاز آلاف الأسرى والمجاهدين، بحجة التنسيق الأمني السياسي من أجل التسوية السلمية العبثية.

خامساً: أما التوعية الشعبية في العالم العربي والإسلامي والجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا فقد كان متنامياً ومتواصلاً طيلة أيام الحرب الثلاثة والعشرين، مما ولَّد وعياً عربياً وإسلامياً وإنسانياً لدى جميع هذه الشعوب، بحيث زاد الوعي والإدراك بالجرائم الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، بل ضد حقوق الإنسان وحريته وكرامته، مما زاد من التعاطف مع الشعب الفلسطيني وزاد من انتقاد الممارسات الإسرائيلية على جميع المستويات الرسمية والشعبية، وسيكون لذلك تأثيرات سياسية واستراتيجية مؤثرة على مستقبل القضية الفلسطينية، والمأمول أن يبقى هذا الوعي الشعبي لدى الأمة العربية والإسلامية مستمراً، لرفع منسوب التعاطف مع القضية والمساندة العملية لشعب فلسطين المحتل.

سادساً: المأمول كذلك، أن يكون من نتائج هذه الحرب إيجاد صيغة للحوار والتوافق بين أبناء فلسطين، في الضفة والقطاع، والاتفاق على حكومة وحدة وطنية، تجمع بين خيار المقاومة الدائم والسعي إلى تحقيق مكتسبات سياسية وتفاتوضية مرحلية، يرضى بها الجميع، حتى يفرج الله الكرب عن هذه الأمة، ومهما كانت صيغة التوافق، ينبغي أن يكون خيار المقاومة أولاً خياراً استراتيجياً، حتى يتحقق النصر للأمة في نهاية المطاف.

سابعاً: كما أن المأمول أن تؤدي نتائج هذه الحرب إلى إدراك عربي رسمي بضرورة توحيد الموقف العربي والجامعة العربية تجاه التعامل مع العدو الإسرائيلي، وعدم تجزئة الموقف العربي إلى اعتدال وتشدد، فالكل يجب أن يكون موقفه واضحاً إزاء ثوابت القضية الفلسطينية، وبخاصة موضوع القدس، وتطبيق حق العودة، وإزالة المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة عام 1967، وإزالة الجدار العنصري،

وسائر الإجراءات الإسرائيلية التي قضمت ما يزيد على 88% من أرض فلسطين العربية.

ومن هنا، فإن نصرة فلسطين من جانب الحكومات العربية تعني وقف التطبيع وتجميد العلاقات الدبلوماسية، تمهيداً لقطع العلاقات السياسية، حتى يعود الحق إلى نصابه وإلى أهل فلسطين، ولو بعد حين، "ولينصرن اللهُ من ينصره، إن الله لقوي عزيز".

الملاحـــــــــــق

- كلمات الافتتاح
- الكلمة الختامية
- التعريف بالمشاركين
- برنامج الندوة

كلمة الافتتاح الأولى

غزة حققت الانتصار وعلى الأمة أن تقطف الثمار

جواد الحمد*

أصحاب الدولة والمعالي والعطوفة والسعادة،،

الإخوة الأعزاء الخبراء والباحثين،

الحضور الكرام،

نرحب بكم اليوم في هذه الندوة التي نعقدها خصيصا للبحث في اتجاهات البوصلة الفلسطينية والعربية في التعامل مع مستقبل الصراع العربي- الإسرائيلي، وللبحث في تجربة الصراع وآفاقه المستقبلية خلال السنوات القادمة، ويسرني في بـدايتها أن أرحـب بكـم مـن كل الوطن العربي على أرض الأردن الصامد المرابط، ويسرني أن ينظم مركزنا مركز دراسـات الشرق الأوسط هذه الندوة بالتعاون مع نقابة المهندسين الأردنيين ممثلة بمجلسها ونقيبها المهنـدس وائـل السـقا، ولنعقـدها في صرح مـن صروح الأردن الوطنيـة مجمـع النقابـات المهنية، فأهلا وسهلا بضيوف الأردن وبالحضور الكريم من أردن العرب.

الإخوة الحضور،،،

نلتقي اليوم مع هذه الثلة المتميزة من الخبراء والسياسيين والناشطين في دعم قضية فلسطين لنتلمس معا ملامح المستقبل الذي اختطته دماء الشهداء وبطـولات الفـدائيين في غزة، نلتقي اليوم لنتعلم من درس معركة غزة ما يفتح لهذه الأمـة آفـاق العـزة والكرامـة، نلتقي اليوم لنحتفي بانعطافة وتحول كبيرين سطرتهما معركـة الشرف التـي خاضـها أبنـاء غزة هاشم، نلتقي اليوم لنصد الهجمة السياسية والإعلامية التي مـا فتئـت تفـت في عضـد الأمة لتقزِّم كل انتصار وتضخم كل هزيمة، نلتقي اليوم لنحدد ملامح مرحلـة التغيـير التـي دخلها تاريخ المنطقة بانتصار المقاومـة والجهـاد في غـزة عـلى الاحـتلال والظلـم والتخـاذل

* **أ. جواد الحمد/** مدير مركز دراسات الشرق الأوسط

والإرجاف، نلتقي اليوم لنحمي إنجاز البطولة والكرامة والشجاعة والإرادة والإيمان في قطاع غزة، نلتقي اليوم لنقطف أو نحدد للأمة كيف تقطف ثمار انتصارها، نلتقي اليوم لندرس انعكاسات هذا الانتصار العظيم وتداعياته على مستقبل الصراع مع المشروع الصهيوني، ولنحدد ملامح انتهاء دولة إسرائيل، ولنحدد الدور المطلوب من الأمة بكل أطيافها ومستوياتها، نلتقي اليوم لنجسر بين الماضي والحاضر، ولنطلق معالم المستقبل المشرق لهذه الأمة الذي يبشر بتحرير فلسطين، نلتقي اليوم لنقول للعالم أن عليه أن يعيد قراءة درس غزة مرات ومرات، فقد أفل الزمن الذي كانت فيه يد الاستعمار والصهيونية الطولى، فقد أصبح للأمة يد طولى أيضا، نلتقي اليوم لنقول للعالم إن نهاية الظلم والظالمين وإرهابهم في المنطقة قد أذنت بالرحيل، وإن عليه أن يستعد للتعايش مع أمة تحكم نفسها وشرق أوسط ليس فيه إسرائيل، وإن عليه التسليم بالحقيقة التاريخية التي تفرض عليه التعامل بالاحترام والمصالح المشتركة والاعتراف بالآخر مع أمتنا، ولنقول له لقد ولت أو تكاد تلك الأيام التي نجح فيها بسلب إرادة الأمة منها. نلتقي اليوم لنعبر وندرس ونستشرف ونتطلع ونتفهم الاتجاه الاستراتيجي الذي أدخلتنا فيه معركة غزة وانتصار أبطالها.

الإخوة والأخوات،،،

لقد مثلت معركة غزة ونتائجها باستسلام قادة إسرائيل للواقع الذي فرضته المقاومة في الميدان واستعصائها على الانكسار- برغم الإرهاب والتدمير غير المسبوق الذي مارسه المحتل وبرغم الضغوط السياسية والحصار الذي يمارس ضد المقاومة، وبرغم التخذيل والإرجاف الذي يسود أجواء محيطة بالمعركة عربيا وفلسطينيا- برغم ذلك فقد مثلت هذه المعركة نقطة تحول وانعطاف كبيرة في تاريخ الصراع، وأعتقد أن الخارطة السياسية العربية والفلسطينية والشرق أوسطية لن تكون كما كانت قبلها، وقد سطرت هذه الصفحة المشرفة من تاريخ الأمة اليوم بدماء الشهداء في فلسطين كما تفعل الشعوب الحرة على مدى التاريخ.

وتعد الحرب على غزة ونتائجها تعبيرا عن فشل كل محاولات التوصل إلى سلام

في المنطقة برغم توقيع اتفاقات سلام مع ثلاثـة أطـراف عربيـة، وهـي تعبـير كـذلك عـن القدرة الكامنة في الأمة العربية وفي الشـعب الفلسـطيني في الانتفـاض عـلى غبـار الفشـل والاستسلام بين مرحلة وأخرى، وهي تعبير عن تنامي الصراع مـع تنـامي الأجيـال ووعيهـا، وتعبير عن القدرة والاستعداد للتضحية والتحمل في مواجهة آلة الحـرب الصـهيونية بـرغم قوتها وتفوقها.

لقد كشفت هذه الحرب عن حجم العجز الفكري والسياسي ناهيـك عـن الـدبلوماسي والعسكري الذي يلف قرار النخب السياسية الحاكمة في الوطن العـربي، وكشـفت عـن عـدم مصداقية التعبئة الانهزامية التي يروج لها الكثير من الدبلوماسيين والسياسيين وبعض النخب المثقفـة العربيـة إزاء التفـوق الإسرائـيلي وعجـز القـدرات والتراجـع والتخلـف الـذي يعيـق مجتمعاتنا في مواجهتها، فغزة تعد من أكثر المنـاطق العربيـة افتقـارا لعمليـة التنميـة، وهـي الأقل إمكانيات، والأكثر كثافة سكانية، والمحاصرة أصـلا بـدون فـرض الحصـار- وفـرض عليهـا حصار تاريخي غير مسبوق لعام ونصف العام قبل الحرب، وحشدت إسرائيل للمواجهـة مـع المقاومة فيها سنة ونصفا من التخطيط الحربي المتكامل بتعاون دولي وعربي وفلسـطيني كـما تثبت الوثائق والمعلومات المتواترة، ومع ذلك لم يكن للخوف والاستسـلام سـبيل إلى المـواطن العادي ناهيك عن المقاومين والقيادات السياسية التـي تقـود المعركـة في قطـاع غـزة، ولـذلك فنحن اليوم نقف أمام انعطافة تاريخية فكرية واستراتيجية واجتماعية سيكون لها ما بعدها، وهو إن شـاء اللــه مسـتقبل مشرق ومشرف وعهـد تحـرر واسـتقلال وإحيـاء جديـد للأمـة ومشروعها ورسالتها الحضارية.

لقد شكلت معركة غزة واحـدة مـن الحـروب الرئيسـة والاسـتراتيجية التـي خاضـها العرب ضد العدوان والمشروع الصـهيوني، فهـي الحـرب السـابعة بـالمفهوم الحـربي، وهـي الثالثة الرئيسة بين المقاومة والكيـان الصـهيوني، والثالثـة كـذلك التـي تهـزم فيهـا إسرائيـل هزيمة عسكرية محققـة تسـتنجد بالعـالم لوقـف إطـلاق النـار فيهـا، وتعتـبر الثانيـة عـلى الشعب الفلسطيني في الـداخل بعـد الأولى في عـام 2002 التـي اجتاحـت الضـفة الغربيـة وأخضعتها ودمرت السلطة فيها.

لقد كانت الحرب شاملة، وخطط لها على مدى عام ونصف، وتواطأت فيها أطراف كثيرة قريبة وبعيدة، وكانت لها أبعاد إعلامية وعسكرية واستخبارية وسياسية وشعبية واقتصادية، كانت فيها المقاومة في حالة الدفاع عن النفس وكان الاحتلال قوة الاعتداء والعدوان والإجرام، ارتكبت فيها أبشع جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة الجماعية، استخدمت فيها إسرائيل أكثر من ثلثي قواتها النظامية، ومعظم قواتها البرية والبحرية والجوية، واستخدمت فيها أسلحة حديثة معظمها محرمة دوليا، فشلت قوات الاحتلال فيها بالمرحلة الأولى من الحرب الجوية، وفشلت فيها بالمرحلة الثانية من الحرب البرية، وتردد قادة الاحتلال بالاستمرار بالحرب للمرحلة الثالثة التي بدت معالم الفشل فيها على سفوح وشوارع معركة تل الهوى، المعركة التي حسمت المواجهة، ودفعت العدو ليتخذ قرار وقف إطلاق النار من جانب واحد تعبيرا عن الهزيمة والفشل، وتعبيرا عن عدم القدرة على الاستمرار في حرب بدأت تراوح مكانها، وأبدت فيها المقاومة والشعب الفلسطيني في غزة صموداً وثباتا منقطع النظير .

هزمت إسرائيل في الميدان ولم تحقق أيا من أهدافها، وهزمت في الحرب الاستخبارية التي أعلن الكثيرون من قادتها أنها كانت مضللة، وأن المقاومة تمكنت من تفكيك عشرات خلايا العملاء في اليوم الثالث للمعركة، لقد فشلت إسرائيل في السيطرة على الميدان، كما في فشلت في إدارة قواتها داخل القطاع وهم يتعرضون للكمائن والعبوات الناسفة والبيوت الخالية المفخخة، وفشلت في الحرب الإعلامية حيث خرج عشرات الملايين في العالم منددين بجرائمها لتعود صورتها إلى حقيقتها كدولة إرهابية وراعية للإرهاب ترتكب جرائم ضد الأطفال والنساء على شاشات التلفزة، وكما قال أحد كتابهم بأن هذه الحرب كلفت إسرائيل مئات المليارات من الدورات التي صرفت طوال ستين عاما لبناء صورتها في الغرب.

وفتحت نهاية المعركة الميدانية بواكير المعركة السياسية التي تمارس فيها الضغوط على قيادة المقاومة، ويستمر فيها الحصار العربي لغزة قبل الحصار الإسرائيلي لابتزازها بمواقف وتنازلات لم تفلح كل هذه الحرب في انتزاعها منها، وتخلط الأوراق بين التهدئة

وفك الحصار والمصالحة الوطنية وإطلاق الجندي الصهيوني والإعـمار، لتمنـع هـذه القـوى المقاومة من قطف ثمـار الـنصر، ولتمنـع الأمـة أن تتمتـع بهـذا الـنصر وتعتـبر منـه لرسـم مستقبلها، أي تحاول أن تجهض الانتصار وتنتقص منه وتضعف نتائجه، وهو ما يمـلي عـلى مثلكم مسئولية كبيرة في حماية المقاومة وحماية الانتصـار الـذي حققتـه، وحمايـة ملامـح المستقبل الواعد التي رسمتها دماء أطفال غزة في وجه الإرهاب والعنف والإجرام الصهيوني المدعوم دوليا.

السادة الكرام،،،

إن درس غزة الكبير والعميق هو أننا نستطيع أن نهزم إسرائيـل حتـى ونحـن تحـت الحصار الدولي! ونستطيع أن نزيل إسرائيل لو كان معنا إخواننـا في المعركـة! ونسـتطيع أن نسترجع العزة والكرامة أمام العالم لو توحدنا على المواجهة بعيدا عن الإرجـاف والتخـذيل الذي استمرأه البعض، لقد سقطت الأسطورة للمرة الثانية في أقل من ثلاثة أعوام أسـطورة إسرائيل التي لا تقهر والجيش الصهيوني الذي لا يهـزم والاسـتخبارات التـي لا تخيـب، وان صناعة التاريخ ممكنة بإرادة الشعوب التي تصمم عـلى التحـرر والاسـتقلال وتقـديم ثمـن الحرية من دماء أبنائها، لقد كـان للإيمـان والإرادة والتخطـيط الفضـل الأسـاس للنجـاح في المعركة في غزة، فقد هزم العدو وحاول الاسـتنجاد بـالبعض ليشـجع المقاومـة عـلى إعـلان وقف إطلاق النار إلى ما قبل ساعة من إعلان رئيس وزراء الكيـان الصـهيوني بيـان الهزيمـة والفشل في إعلان وقف إطلاق النار من جانب واحد والذي لم يقدم له تبريرا واحـدا حتـى اليوم.

لقد علمتنا غزة أن المشـكلة في النخـب الحاكمـة وليسـت في الشـعوب، وفي الإرادة السياسية، وفي تقديم المصلحة الخاصة على المصـلحة العامـة، وفي خطـأ القـراءة السياسـية والتاريخية والاستراتيجية للمتغيرات، لقـد أحـدثت معركـة غـزة تحـولا مهـما في المنظومـة الفكرية العربية السائدة بين النخب المثقفة حول وزن المعادلات بـين العـرب وإسرائيـل في الصراع، وأنتجت مجموعة ومنظومة جديدة من المسلمات والمعطيـات لا تـزال بحاجـة إلى إعادة نظر واسعة ودراسة متأنية من النخب المثقفة.

لقد توقع مؤتمرنا الذي عقدناه في عام 2005- وشارك فيه عدد منكم- تحولات كبيرة في الصراع لصالح المشروع العربي وعلى حساب المشروع الصهيوني، وتوقع أن يستغرق الأمر عشر سنوات لتشكيل الخارطة الجديدة التي ربما يتلاشى فيها الخطر الصهيوني على حد تعبير صياغات الاستراتيجية الختامية للمؤتمر، وجاءت انتخابات السلطة في عام 2006 ومن ثم حرب تموز/يوليو 2006 لتؤكد هذه التوقعات، ثم جاءت معركة غزة على مشارف عام 2009 لتؤكد صحة البوصلة في تراجع المشروع الصهيوني وانكفائه وانسداد الأفق أمامه، وأنه وصل إلى الحائط، وبدا يدافع عن مجرد الوجود بعد التبجح عقودا بالتوسع والعدوان على كل العرب بل والتهديد المتواصل لدول عربية بعيدة عن الحدود ودول إسلامية أخرى كباكستان والجزائر وليبيا وإيران، ويعد هذا التحول تصديقا وتأكيداً لما توقعه العلامة المرحوم الدكتور عبد الوهاب المسيري عندما قال ووافقناه في ندوة في عمان "بأن الانتفاضة الفلسطينية الثانية، انتفاضة الأقصى أدخلت الصراع في مرحلة جديدة تختلف مقاييسه عما كان قبلها، وذلك في كانون أول/ ديسمبر 2000.

واليوم نؤكد بأن المعركة الجديدة التي تخوضها إسرائيل لأول مرة داخل الأرض المحتلة وتحقق فيها هزيمة قواتها المدججة النظامية والاحتياط بقوام لا يقل عن خمسين ألف جندي من مختلف التشكيلات البرية والبحرية والجوية، والتي دفعت وزيرة خارجية العدو للتجول في العالم وهي هلعة تطالب بالعمل على حماية إسرائيل من صورايخ حماس ومقاومتها !! ولتستنجد بالولايات المتحدة وقوات النيتو لمنع وصول السلاح إلى المقاومة في غزة المحاصرة، أن هذه الحالة تشكل مسارا جديدا لمستقبل الدولة الصهيونية، وتكشف الضعف الذي تبديه القيادات العسكرية والاستخبارية الإسرائيلية، كما أكدت أن درس حرب تموز/يوليو 2006 لم يتم استيعابه في الجيش الصهيوني، وأن الترميم الذي جرى عنه حديث مطول لم يحقق قوته الردعية، بل على العكس فقد تنامت قوة المقاومة وصلب عودها، وخرجت منتصرة برغم الجراح، ويبدو أنها خرجت أقوى مما كانت خصوصا في مجال التكتيك العسكري والعمل الاستخباري والإعلامي.

لقد بدأ عهد جديد من مراكمات هزائم القوات الصهيونية وفشـلها الاسـتخباري، في مقابل تراكم انتصارات ونجاحات عسكرية واستخبارية لمقاومة والمجاهدين، ليهيل الـتراب على تراث غير مشرف من مسار التسوية السياسـية قادهـا في امتنـا ثلـة ممـن لا يقـرؤون التاريخ بشكل علمـي دقيـق، ولا يفهمـون حقيقـة قـوة أمـتهم وقـدراتها، ويسـتندون إلى الخارج في التقوي على الداخل، لكنهم لا يصمدون في محاربة عصابات الإجـرام الصـهيونية قبل الدولة ولا بعدها، وهو مـا يؤكـد التقـدم الكبـير في مشروع المقاومـة والتفـاف الأمـة حوله، وتراجع مشروع التسوية وخياره، الأمر الذي يدعو القادة العرب والنخب التي تقف حولهم أن يعيدوا النظر بفلسفة الخيار الوحيد العدمية لمشروع التسوية، وأن يبدأ التفكير الجاد بتبني خيار المقاومة ودعمه بدلا من محاصرته وتجفيف منابعه حسـبما تطالـب بـه الولايات المتحدة وإسرائيل، وأن الذي يؤمن بالمقاومة وبحقوق الشعب الفلسطيني يـدعم المقاومة ولا يمنع عنها السلاح ناهيك عـن المسـاعدات الإنسـانية والطبيـة ولـوازم التجـارة والاقتصاد، بل يمدها بالمال والسلاح والرجال والخبرة إن لـزم ومـا أكثرهـا في العـالم العـربي، وهي كافية لتطوير المقاومة وتهديد مستقبل إسرائيل.

وثمة تساؤل يطرح عن هدف التسوية وهـدف المقاومـة، حيـث أن التسـوية تعنـي المحافظة على الكيان الصهيوني ونمائه، فيما تعني المقاومة اجتثاثـه مـن المنطقـة وتحقيـق الوحدة العربية والإسلامية والاستقلال للأمة والحرية، فهل يعتقد البعض أن بقـاء إسرائيـل جزء من الأمن القومي العربي؟ أم أنهـا جـزء مـن الأمـن الخـاص القطـري أو أمـن النخـب الحاكمة؟

ما جرى في عدد من الدول العربية والإسلامية من تخلي الولايات المتحدة عن أقرب أصدقائها لصالح ألد أعدائها يؤكد أن ما يحلم به بعـض الساسـة لا أسـاس لـه مـن السـند التاريخي والمنطقي، ولذلك فإن خيار المقاومة والجهاد هو التعبـير الطبيعـي عـن الانـتماء للأمة والانحياز لمصالحها ولمواجهة الإجـرام الصـهيوني، وهـو الخيـار الـذي أثبـت صـدقيته وفاعليته.

وبهذه المناسبة لا بد أن أؤكد في كلمتي هذه على أن التيار الحامل للمقاومة المعاصرة ولجمهورها هو التيار الإسلامي وحلفاؤه من التيارات التحررية والقومية الأصيلة، فقد أثبت التيار الإسلامي قدرته الفائقة على استنهاض التضحية وعلى تشكيل عناصر التحمل والصمود، كما أثبت مصداقيته وشفافيته في تبني قضايا الأمة، وتقديمه للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وأنه قادر على مواجهة المشروع الصهيوني الامبريالي باقتدار، ويقدم قياداته وأبناءهم في صفوف الشهداء الأولى، ولذلك فإنني اقترح بين يدي حضراتكم ومن منطلق الحرص على المصلحة العامة تدارس فكرة تسليم القيادة للتيار الإسلامي ليقود الأمة نحو النصر والتحرير والنهضة، وذلك على أسس وقواسم مشتركة تضمن حقوق الجميع وإشراك الجميع وعلى قاعدة تعدد القوى والاتجاهات في الأمة وعدم الاستفراد، لأن بعض ما يجري من استنزاف في معارك بين التيار الإسلامي وغيره إعلاميا إنما يخدم المشروع الصهيوني وحلفاءه في المنطقة، كما أدعو العقلاء في النخب الحاكمة في الوطن العربي إلى التعجيل بمصالحات واسعة النطاق أيضا مع التيار الإسلامي السياسي المستنير لحماية الأمة ووقف الاستنزاف الداخلي فيها، وتجربة غزة اكبر مثال على ذلك حيث أضاعت تيارات أخرى الزمن في صراعات فراغية مع حركة حماس بعد وصولها إلى الحكم لنرى أن قيادة المقاومة بزعامة حماس كانت هي الأقدر في كل الحروب التي خاضتها المقاومة الفلسطينية من قبل، والتاريخ شاهد حي على ذلك، فماذا كان يضير هؤلاء إن كانوا صادقين في معاداة المشروع الصهيوني أن يقفوا خلف مثل هذه القيادة التي تهزم إسرائيل وترفع السقف السياسي للأمة وللسلطة الفلسطينية؟

السادة الكرام،،

وقبل أن أختم كلمتي أحب أن أشير إلى ما اطلعت عليه من معلومات تتعلق بالبعد الاقتصادي للمعركة الأخيرة، والتي تفسر حماسة البعض لمحاصرة المقاومة ولمنع فتح المعابر، ولمنع حرية غزة، وهو أن مياه غزة الإقليمية تتمتع بمخزون كبير من الغاز المتميز النقي، والتي بلغت في حوضين فقط حفرا في عام 2000 حوالي 1200 مليار م^3، وكانت

تبلغ قيمتها السوقية حسب شركة الغاز البريطانية حوالي 2 مليار دولار عام 2000، وهو ما يفسر الاندفاع الأوروبي لحماية سواحل غزة بحجة منع تهريب السلاح.

ختاما،

أعيد الترحيب بكم، وأدعوكم إلى مناقشات معمقة في بعض الأفكار التـي أثرناهـا في هذه الكلمة بعيدا عن الحساسيات الحزبية أو الإيديولوجية الضيقة، لنعرف كيف هزمت المقاومـة في غـزة الجـيش الصـهيوني المـدجج بالسـلاح؟ وكيـف انـتصرت غـزة وشـعبها ومقاومتها! وانتصرت الأمة في المعركة!

أشكر وسائل الإعلام وعلى رأسها قناة الجزيرة على تغطيتها المتميـزة لهـذه النـدوة، وأشكر الطاقم العامل في الإعداد لهذه الندوة.

والسلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته

كلمة الافتتاح الثانية

وائل السقا*

الزميلات والزملاء

الحضور الكرام جميعًا مع حفظ الألقاب

السلام عليكم ورحمة الـلـه وبركاته،،،

إنه لمن دواعي غبطتي وسروري أن أرحب بكم باسم نقابة المهندسين الأردنيين التي أتشرف بحمل الأمانة في تمثيلها والمساهمة في تحقيق أهدافهما و خدمة مهندسيها، كما أرحب بجميع الحضور ضيوفـًا ومحاضرين ومشاركين في هذه الندوة من خارج الأردن وداخله.

نحن اليوم من أكناف بيت المقدس نزجيها تحية للشعب الفلسطيني الصامد المرابط في المسجد الأقصى بمجاهديه وأبطاله عامة، ولشعبنا في غزة الصامدة خاصة، هذا الشعب الذي لا زال يخوض هذا الصراع الطويل والمرير والمليء بالتضحيات الجسام فوق أرض الرباط المباركة دفاعا عنها وعن مقدساتها وفي الخندق الأول دفاعاً عن أمتنا العربية حتى لا تضيع فلسطين أرضنا، وأرض الآباء والأجداد، والمباركة للعالمين، يدافع ويناضل من أجل حريته وأرضه ومقدساته وهو في رباط إلى أن تقوم الساعة.

كما أتوجه بالتحية إلى أرواح الشهداء الأبطال الذين أطلقوا بدمائهم الزكية بصمودهم في فلسطين عبر السنين وصمودهم مؤخرا أمام العدوان الصهيوني الهمجي الشرس على أهلنا في غزة، والتحية موصولة لشهداء شعبنا جميعًا وأسراه وجرحاه، ولكل قوى المقاومة الحية التي تواصل طريقها شامخة أبية نحو القدس والعودة والتحرير.

الحضور الكرام،

من ظلام الليل يولد الفجر، ومن صخور الظلم تتفجر ينابيع العدل، ومن بين

---

* **م. وائل السقا/** نقيب المهندسين الأردنيين.

الأشلاء وبحور الدم يخرج النصر، ومن تلال الخزي والذل والهوان تخرج قمم الصمود والعزة، ومن بين نيران الحقد ودانات القهر والغل الدفين تخرج سيول المقاومين.

إنه صمود غزة والمقاومة الشريفة هذا الصمود الذي أثبت للعدو الصهيوني، أن ترسانة أسلحته لم ولن تثنى أبناء فلسطين عن مشروعهم التحريري المقاوم، المقاومة التي أظهرت حقيقة الجيش الذي قيل عنه أنه لا يقهر، ويكفى أنه مع الساعات الأولى للاجتياح البري قام رجال المقاومة بالنيل من العدو الصهيوني، وانهالت صواريخ القسام على المغتصبات الصهيونية، إنها ملحمة المقاومة التي جعلت من غزة مقبرة للصهاينة.

إنه الصمود الذي يستوجب على الشارع العربي والإسلامي استمرار هبتهم وضغوطهم على الحكومات، من أجل دعم غزة ونصرتها.

إنه الصمود الذي جعل كل الشرفاء يكفرون بماراثونات السلام المزعومة، بداية من كامب ديفيد ومرورا بأوسلو وخارطة الطريق واجتماعات شرم الشيخ المتوالية، فوهم السلام مع عشاق الدم خطيئة لابد أن يعترف بها كل من شارك في هذه الاتفاقيات التي ما زادتنا إلا غرقا في دمائنا، وفقدانًا لعزتنا وكرامتنا.

إنه الصمود الذي يفرض علينا كعرب ومسلمين حكاما ومحكومين أن نرسخ لدينا مفاهيم جديدة حتى نجد لنا مكانا على خريطة العالم الذي لا يعترف إلا بالقوة، ومنها أن التفريط في المقاومة جريمة، وأن العزة لن تأتى من البيت الأبيض، وأن ترسانات أسلحتنا التي علاها التراب قد جاء دورها لكي تصحح الأوضاع.

وعلينا أيضا أن نتعلم دروس التضحية والثبات على المبدأ من الأم الفلسطينية التي تودع شهيدها وهى في الوقت نفسه تجهز ابنها الثاني للشهادة، وعلى حكوماتنا أن تعلم أن بني صهيون أضعف بكثير من الصورة التي رسخها الأمريكان لهم في ذاكرتهم، وخير دليل على ضعف هؤلاء المجرمين الملاحم المستمرة مع المقاومة التي لقنوا من خلالها الجيش الذي لا يقهر دروسا قاسية لن تنسى.

الحضور الكرام،،،

ما جرى في غزة هو القديم الجديد..القديم هو عدوانية الكيان الصهيوني من قتل وتهجير وتشريد وهدم للبيوت واقتلاع للأشجار وحصار ومنع للماء والكهرباء والدواء وحتى رغيف الخبز وهذه القضايا والفظائع عرفها تاريخ هذا الكيان منذ زراعته في المنطقة وإعلانه عام 1948 من مجازر قبية، ودير ياسين، وحيفا، وعكا، وجنين، وقانا إلى العديد العديد وكل يوم.

والجديد في العدوان على غزة هو /النوع الإجرامي/ الجديد فطائرات إف16 وإف18 وهي الأحدث ودبابات الميركافا والمدفعية الثقيلة تدك بيوت الآمنين أطفالاً ونساءً وشيوخاً وتطوق المدن والقرى والمعابر ولا تستثني من بطشها حتى سيارات الإسعاف والمدارس.

شعب صامد ومقاومون أشداء امتلكوا الإرادة والعزيمة والإيمانية والجهادية العالية وفي المقابل جبروت آلة الحرب الصهيونية من طيران ودبابات ومدفعية وحصار وقتل وتدمير.

الحضور الكرام،

تتفاوت النظرة بين الناس لما شاهدوه و ما جرى في غزة الصمود، غزة الثبات، غزة العزة، نظرات متفاوتة .. تتأرجح:

بين الأمل ... والألم

بين التفاؤل .. والتشاؤم

بين العزة .. والذلة

بين النصر والتمكين .. والهزيمة والخذلان

لكننا نجزم أن نظرة الأمل والتفاؤل والعزة والنصر والتمكين هي النظرة الصائبة، كما يحكي لنا التاريخ، وتثبث ذلك سنن الـلـه في الأرض، على مر العصور والأزمان.

ها هو صمود غزة الصابرة التي صبرت بصمود أهلها والتي تعلمنا منها دروساً

ومعاني عظيمة:

- **علّمنا صمود غزة ..** أن الابتلاء يلزمه التقدم نحو الأمام، لا الاستسلام والخنوع والخضوع والتقهقر للوراء.
- **علّمنا صمود غزة ..** أن الثبات هو ثمن العزة والكرامة والحرية.
- **علّمنا صمود غزة ..** أن الثبات هو ثمن السيادة والريادة في فردوس عزّ الدنيا، ليقودنا إلى فردوس الآخرة.
- **علّمنا صمود غزة ..** أن البكاء يجب أن يكون على الكرامة، لاعلى الحجارة والبيوت التي هدمت.
- **علّمنا صمود غزة** .. أن نبكي على أنفسنا المقصرة، لا على الشهداء الذين أخبرنا الـلـه عنهم أنهم "... أحياءٌ عند ربهم يرزقون".
- **علّمنا صمود غزة** .. أن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الـلـه الحياةَ العزيزةَ في الدنيا والنعيمَ الخالدَ في الآخرة بإذن الـلـه.
- **علّمنا صمود غزة** .. أن التمحيص يسبق التمكين والنصر والانتقام من العدو، قال تعالى : "وليمحص الـلـه الذين آمنوا ويمحق الكافرين" آل عمران 141.
- **علّمنا صمود غزة** .. أن النصر ليس سهلاً بدون تضحيات، ودون ألم وأذى في سبيل الـلـه .
- **علّمنا صمود غزة** .. أن النصر مع الصبر، وأن بعد العسر يسرا، وأن النصر آتٍ مهما طال الزمن واعتلى الظلم، وتخاذل المتخاذلون، وداهن المنافقون، وهو لا يأتي بمجرد الكلام والحديث عنه، بل باتخاذ الأسباب .
- **صمود غزة .. علمنا الكثير والكثير.**

وختامًا لا يسعني إلا أن أشكر أصحاب الشرف مقـدمي أوراق العمـل لهـذه النـدوة بمختلف عناوينها كما أشكر مركز دراسات الشرق الأوسط لتنظيمه لهـذه النـوة وللحضـور الكرام، متمنياً أن تتحق الفائدة المرجوة للحضور.

وأهلا وسهلاً بالضيوف الكرام متمنياً لهم طيب الإقامة في بلدنا الأردن..

فلا نامت أعين الجبناء ..

والخزي والعار للمتخاذلين ..

والرحمة للشهداء الأبرار ..

والنصر للمجاهدين الصامدين ..

وإنه لجهاد نصر أو استشهاد..

والسلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته

كلمة الافتتاح الثالثة

حسن خريشة*

باسمي واسم زملائي أعضاء المجلس التشريعي، وتحديدا المختطفين منهم، وعلى رأسهم د. عزيز دويك، نتوجه بالتحية إلى الذين صنعوا الصمود الأسطوري، والذين أفشلوا كل الأهداف الصهيونية لعدوانهم على قطاع غزة، من مقاومه ومقاومين ومواطنين.

فالرحمة للشهداء والشفاء للجرحى والعزة والكرامة لغزة وأهلها، والشكر الجزيل إلى كل من وقف وتظاهر وانتفض تأييدا لفلسطين واستنكارا وغضبا للمجازر ضد شعبنا، تحية إلى هؤلاء جماهير وقوى وأوطاناً.

لن نتحدث لنستعيد ما خزن في الذاكرة من صورة غزة وهي تحترق، ولا عن مئات المنازل والمساجد والجامعات ومقر المجلس التشريعي وهي تقصف وتهدم، ولا عن الشوارع الفارغة إلا من سيارات الإسعاف تنقل الجرحى والشهداء.

بل سنتحدث عن شهداء شعبنا وجرحانا، عن البطولة في زمن التخاذل الرسمي، عن التضحية والفداء والقدرة العالية على إدارة حرب أرادوها دامية ومدمرة، وعن ماذا بعد غزة.

أيها الإخوة والأخوات،

غزة قالت إن العدو وآلته العسكرية قابله للهزيمة عند امتلاك إرادة الصمود والتحدي والقتال، غزة قالت إن أقصر الطرق لنيل الحقوق هو المقاومة والثبات، غزة قالت إن صواريخها ليس عبثية وإن مفاوضات من يفاوض عبثيه واستسلام، غزة استنهضت الأمة وأيقظت الضمير العالمي، وأحرجت كل أدعياء الديمقراطية وحقوق الإنسان، غزة كشفت عن عورة كثير من الرسميات العربية وأعادت القضية إلى الجذور

---

* **د. حسن خريشة/** النائب الثاني لرئيس المجلس التشريعي الفلسطيني

والبدايات، أعادت الأصدقاء والحلفاء، وأعادت العالمية لقضية شعب مرت على نكبته أكثر من ستين عاما، غزة ستخلد ذكرى الهولوكوست الفلسطيني عاما بعد آخر في مواجهة ما يسمى الهولوكوست اليهودي.

غزة فرزت النظام الرسمي العربي وعززت تيارا ونهجا يؤمن بقدرة الشعوب وحقها في المقاومة ويراهن على إرادة الناس وما بين تيار ونهج يؤكد فقط على خياره والأوحد بالتفاوض.

ولكي نضع النقاط على الحروف نؤكد على النقاط التالية:

1. إن مجلس الأمن قد أسس من قبل الدول الدائمة العضوية ليخدم مصالحها وتحالفاتها وليس لتعزيز الأمن والسلم للشعوب الفقيرة، وهذا ما يؤكده عجزه عن تنفيذ قراراته وتحديدا عندما يتعلق الأمر بالابن الشرعي للاستعمار القديم والإمبريالية الجديدة.
2. إن استمرار الرهان على الإدارة الأمريكية باعتبارها وسيطا في ما يسمى بالصراع العربي- الصهيوني هي مجرد أوهام، وهنا لا بد من استذكار رؤية جورج بوش في حل الدولتين قبل نهاية العام 2008، لينتهي العام في مجزرة ضد الشعب الفلسطيني، فكل الرؤى للإدارات الأمريكية هي رؤى تخدم الاحتلال ومسخرة لتقوية العدو لضرب كل قوى التحرر والتطور بالعالم وتحديدا بالمنطقة العربية.
3. إن تحركات وكلاء الإدارة الأمريكية من أوروبيين وعرب كانت في الأيام الأولى للحرب على غزة لإعطاء مزيد من الوقت في انتظار تحقيق الأهداف الصهيونية، وليست خدمة لشعبنا ولا لأمتنا، وهذا ما أكدته المبادرة الفرنسية واجتماع شرم الشيخ الذي كان غطاءً لجرائم الاحتلال ومحاولة لإنقاذ ماء وجه الاحتلال الذي فشل على المستوى الأخلاقي، لا سيما أن العالم كله قد رأى مجازره ونازيته في حق أطفال غزة.
4. إن ما يسمى بالنظام الرسمي العربي، ونظام القمم العربية، هي مجرد تسميات لا تلامس الواقع وإنما تعمل على تخدير الشعوب العربية بهدف امتصاص نقمتها وإجهاض انتفاضتها، وليست استجابة لإرادة هذه الشعوب، لأن انتفاضه العرب

والمسلمين قالت وبصوت عال إن هذه القيادات ليست منها ولم تأت من صناديق الاقتراع، وإنما جاءت وبقيت لأنها تخدم كل التوجهات عدا توجهات شعوبها وقضاياها.

5. إنه لا خوف على القضية الفلسطينية رغم مرور أكثر من ستين عاما على نكبه الشعب الفلسطيني، لأنها عادت لتحتل مكان المركز للشعوب العربية والإسلامية ولأحرار هذا العالم، حتى إنها أعادت أدوار من تخلوا لعشرات السنوات عن تاريخهم، فأردوغان تحدث عن أنه وريث للعثمانيين، وتصرف كعربي ومسلم وكأنه رئيس للجامعة العربية وناطق باسم العرب حين صمت أمين عام جامعه الدول العربية ولم يغادر المكان حيث يجب أن لا يكون أصلا.
6. أعادتنا المعركة لسنوات الستينيات والسبعينيات حين كان طرد السفراء من هذه العاصمة أو تلك تعبيرا عن موقف، وقد فعلها تشافيز وهو الأمريكي الجنوبي، ولم يفعلها عرب الطوق لا في مصر ولا في الأردن.
7. لقد خاضت وسائل الإعلام العربية، وتحديدا المرئي منها، معركة غزة بجانب المقاومة والمقاومين، فكشفت وفضحت بالصوت والصورة المجازر والجرائم التي ارتكبت بحق شعبنا وبالتالي ضد الإنسانية، فشكرا لكل هؤلاء، ولنقف معهم ضد محاولات وزراء إعلام عرب مدجنين عبر اجتماعاتهم بالجامعة العربية؛ فقد كشفت غزة أنه بقدرة الفضائيات العربية سد الطريق على وسائل إعلام العدو الذي فشل في تغطية جرائمه وتحسين صورته القبيحة.
8. تحرير أسرانا يتم فقط من خلال صفقات تبادل الأسرى، ومستندين على قدرة المقاومة على أسر الجنود الصهاينة، وليس من خلال المفاوضات.
9. تمت عملية فرز حقيقي بين من يقف مع نفسه ومع شعبه ومع قضيته، ومن يقف صامتا ومن يقف متواطئا ومن يقف مشاركا، فالتحالفات بدأت واضحة، فجبهة الأصدقاء واضحة، وجبهة الأعداء واضحة وعلى رأسها دولة الاحتلال والإدارة

الأمريكية وكل مـن متـواطئ معهـم، وأصـبح السـؤال الآن مشروعـا: أيهـما سـبب وأيهـما نتيجة؟ الانقسام الفلسطيني أم الانقسام الرسمي العربي.

بعد كل هذا لم يعد مقبولا من أحد تحديدا في الساحة الفلسطينية:

1- الحديث عن استمرار المفاوضات، وهنا لن نتحدث عن سـنوات طويلـة منهـا، وإنمـا عما بعد أنابوليس الذي جمع أكثر من 50 دوله تحت باب وقف الاستيطان وتحقيق حل الدولتين، فـأكثر مـن 18 زيـارة لـرايس وزيـارتين لبـوش وأكـثر مـن 268 لقـاء لم تستطيع أن تحرر أسيرا فلسطينيا واحدا، أو أن تزيل حاجزا إسرائيليا عسـكريا، وهنـا أؤكد أننـا اسـتُخدِمنا مـن خـلال المفاوضـات واللقـاءات لزيـادة الاسـتيطان وأعـداد المستوطنين ولاستكمال بناء جدار الفصل العنصري وللمضي قـدما في تهويـد القـدس والاستمرار في حصار شعبنا.

2- إن أي حوار يفضي إلى المصـالحة يجـب أن يبنـى عـلى مـا بعـد غـزة، وعـلى قاعـدة مقاومـة الاحـتلال والنديـة في التعامـل معـه بعيـدا عـن سياسـة القُبَـل والإمـلاءات والتنازلات؛ فغزة ركّبت مفاصل معدنية لمن فقد قدرته على الوقوف في وجـه أعـداء شعبنا.

وهنا لا بد أن أتقدم بالشكر للسيد خالد مشعل على القنبلة التي فجرها والتي حركت واستفزت كثيرا من القوى والشخصيات للالتفاف والالتفات مرة أخرى نحو منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، هذا البيت والممثل الوحيد الذي تعرض لمحاولات استخدام وتغييب، والذي استخدم اسمه في تغييب حق العودة الذي أسست من أجله المنظمة، والتي تُركت لهيمنة السلطة عليها من خلال شواهد كثيرة، أهمها أنها غدت رقما صغيرا في موازنة السلطة، وهي التي يفاوِض باسمها من هم خارج هيئاتها.

مع كل الموبقات التي ارتكبت بحق الممثل الشرعي والوحيد فإنني أجزم أن بقاء هذا البيت الجامع الممثل الوحيد لكل أبناء الشعب الفلسطيني أينما كانوا، من يوافق على برنامجها ومن يعارضه ومن يتفق معه، لأنها التاريخ الحديث والكيانية المعنوية الفلسطينية،

والهوية المعرَّفة للفلسطينيين أينما وجدوا، فالحفاظ عليها حاجة وضرورة فلسطينية تاريخية ومعاصرة، وحتى تبقى كذلك علينا التأكيد على أن أي حوار ومصالحه قادمة يجب أن تكون على الآتي:

1. إعادة الاعتبار للمرجعية السياسية للمنظمة عبر إعادة الاعتبار لميثاقها.
2. إدراك الجميع أن عام 1964 يختلف عن عام 2009؛ فهناك قوى صـاعدة يجـب أن تمثل بحجومها، وهناك قوى مندثرة ما زال أصحابها يصرون عـلى تمثـيلهم للشـعب الفلسطيني.
3. يجب معاقبة كل مـن اسـتخدم المنظمـة لتقـزيم حـق العـودة أو الالتفـاف عليـه مستندين إلى وجـودهم في هيئاتهـا القياديـة، وهنـا لا بـد مـن محاسـبة أمـين سر لجنتها التنفيذية.
4. البدء الفوري والعاجل في تنفيذ اتفاق القاهرة عام 2005.

وبذلك نستعيد وحدة شعبنا وننهي حالة الانقسـام، ونتفـق عـلى مرجعيـه سياسـية للمنظمة قد تكون وثيقة الوفاق الوطني ووثيقة الاستقلال واتفاق القاهرة أساسا لذلك.

للمرة الأولى في تاريخ نضال شعبنا لم يستطع الدم الفلسطيني والعدوان أن يوحد قيادات الفصائل، وهذا شكل صدمة للجميع وتحديدا من يؤمن بالمقاومة طريقا.

لذلك ندعو هؤلاء جميعا للبدء الفوري في حوار جاد ينهي حالة الانقسام، وهذا لن يتم إلا من خلال قرار وإرادة سياسيه لإنهاء الانقسام، ويحتاج إلى مقدمات، أهمها:

1. وقف الحملات الإعلامية والتراشق الإعلامي والاعتماد على إعلام تصالحي.
2. إطلاق سراح المعتقلين السياسيين والتوقف عن استخدام الفلسطيني رهينـة وحالـة ابتزاز.
3. عقد جلسة للمجلس التشريعي باعتباره بيتا للشـعب الفلسـطيني في الـداخل مـن أجل أن يبدأ الحوار كما كان في خيمة فلسـطينية، وبعـدها لينقـل إلى أي عاصـمة، ولتفتح كل الملفات الخلافية من المنظمـة (م.ت.ف) إلى النظـام السـياسي إلى قـوى الأمن مستندين على قاعدة المقاومة ونموذج غزة الكفاحي.

ختاما، لقد صمدت المقاومة وصمد المقاومون، وفشل الاحتلال، ومرة أخرى يعاد تأكيد انتصار المشروع العربي الإسلامي على المشروع الصهيوني الذي بشر به انتصار تموز/يوليو عام 2006، فتحية إلى كل المقاومين في فلسطين ولبنان والعراق، والرحمة للشهداء كل الشهداء.

عشتم وعاش شعبنا والنصر لنا والهزيمة والزوال للاحتلال.

وشكرا

كلمة الافتتاح الرابعة

منير شفيق*

أيها الإخوة والأخوات،

السلام عليكم ورحمة الـلـه وبركاته وبعد،

فكل ما قيل عن عالم ما بعد الحرب الباردة في تسعينيات القرن الماضي أصبح اليوم ملغى، فأمريكا لم تستطع أن تنفرد في حكم العالم، وتقيم نظاماً عسكريا سياسيا اقتصاديا ثقافياً أحادي القطبية، وذلك رغم محاولتها فعل ذلك، ورغم الحرب النفسية التي استسلم لها كثيرون، فأصبحوا من مروجي ما أسموه بالعصر الأمريكي واستسلموا للسياسات الأمريكية وجعلوا من العولمة قدراً لا يُرَدّ.

لقد أثبتت التجربة والوقائع أن أمريكا أصبحت بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكك حلف وارسو أضعف وليست أقوى، وذلك لسبب أساس، وهو عدم قدرتها على الانفراد بحكم العالم كله، وهذه مسألة موضوعية؛ لأن ذلك فوق قدرتها واستطاعتها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، فكان حالها كمن حاول رفع ثقل أكبر من استطاعته فسقط على قدميه أو هوى تحته وأنقض ظهره.

فلا الدول الكبرى الأخرى قبلت بأحادية القطبية، وما هي بقادرة أن تقبل، وذلك رغم الارتباك الذي اجتاحها أول الأمر، ورغم تفوق أمريكا على كل منها منفردة ولكن ليس عليها جميعاً، ولأنها إن لم تدافع عن مصالحها دمّرت نفسها، أما شعوب العالم فلم تقبل التخلي عن استقلالها ومصالحها وثرواتها، فكان لا بد من أن تقاوم وتمانع وتشق طريقها إلى الأمام.

من ينظر إلى المشهد الدولي الآن يلحظ أن روسيا استعادت كثيراً من قوتها كدولة كبرى، وأثبتت ذلك في جورجيا ومواجهة الدرع الصاروخية مثلاً، والصين غزت كل

* **أ. منير شفيق**/ المنسق العام للمؤتمر القومي الإسلامي

أسواق العالم ودخلت عالم التكنولوجيا العالمية عسكرياً وعلمياً، وخرجت الهند دولة نووية اقتصادية دخلت نادي الكبار علمياً، وكان هنالك في الطريق دول تخطت حاجز التخلف الاقتصادي مثل البرازيل وجنوب إفريقيا وماليزيا وتركيا وإيران وأندونيسيا، وذلك إلى جانب اندلاع موجات شعبية ثورية ضد الهيمنة الأمريكية ومناهضة للعولمة والرأسمالية مثلتها فنزويلا وبوليفيا وكوبا.

أما إذا جئنا إلى الوطن العربي وإيران وتركيا وما أسموها زوراً بمنطقة الشرق الأوسط الكبير، وقد أرادته إدارة بوش محط تركيزها وأولويتها الاستراتيجية فشنت العدوان بعد أفغانستان على الضفة والقطاع منذ ربيع 2002، ثم كانت حرب العدوان على العراق واحتلاله 2003، ثم العدوان على لبنان عام 2006، ثم العدوان على قطاع غزة، وكان الهدف الأمريكي إسرائيلياً بامتياز؛ فإدارة بوش تخلت عن مواجهة منافسيها الكبار لإعادة بناء الشرق الأوسط، بتحويله إلى دويلات فسيفسائية ذات هوية جغرافية من أجل محو هويته العربية الإسلامية، وبهذا يستطيع الكيان الصهيوني الهيمنة عليه وضمان إخضاعه وإذلاله.

ولكن هذا الهدف قوبل بانتفاضة ومقاومة وانتخابات تشريعية فلسطينية خرجت على حسابات إدارة بوش، ثم وُوجه احتلال العراق بمقاومة قلبت كل الحسابات وأدخلت مشروع الشرق الأوسط في المأزق ومهدت لزعزعة إدارة بوش عالمياً، ثم جاءت المقاومة في لبنان 2006، لتنتصر على العدوان الإسرائيلي ثم ليلحقها قطاع غزة في إفشال أهداف العدوان من القصف الوحشي إلى الهجوم البري، إلى كسر الحصار، وهنا اجتمع الصمود الشعبي العظيم والمقاومة الذكية الباسلة التي أفشلت الهجوم البري، ولم تسكت صواريخها ثم الانتفاضات الشعبية شبه الشاملة عربياً وإسلامياً وعالمياً ليكتمل عقد الثلاثي المقاوم والممانع الكبير: الشعب والمقاومة والرأي العام العالمي.

وبالمناسبة لم يكن هنالك مع هذا الثلاثي من ضعف إلا ما تعرضت له الضفة الغربية من قمع وما حدث من تخاذل بعض قيادات فتح ضد قوات الاحتلال في الآن

نفسه مع قطاع غزة، الأمر الذي حال دون إدخال الاحتلال والمستوطنات في مأزق حقيقي، وكان ذلك نابعاً من موقف وزيري خارجية مصر والسعودية اللذين منعا عقد قمة عربية طارئة كان يمكن أن تؤثر في الموقف الأوروبي وتعجل بوقف العدوان، فكان إحباط عقد القمة خطيئة لا تغتفر.

أما المحصلة العامة فكانت عالمياً بانتهاء أسطورة نظام القطب الواحد عمليا ونظريا، ونشوء أقطاب متعددة دون الانتقال إلى نظام متعدد القطبية راسخ المعالم وإنما نظام فوضى قطبية، ونهوض ثوري شعبي دون استقرار أو يقين، وقد جاءت الأزمة المالية لتسير بتوازٍ مع هذا الاتجاه وتنضم إليه ليحدث اضطرابا عظيما في الاقتصاد الدولي؛ فالنظام الرأسمالي العولمي الإمبريالي سقط أرضاً بأبشع مما حدث للنظام الاشتراكي من النمط السوفييتي، ولا منقذ له إلا الدولة واستخدام القوة العسكرية والأجهزة الأمنية وأموال دافعي الضرائب والثروات الخليجية؛ فالرأسمالية العولمية الآن تستنجد بالدولة، وهي التي ادعت بالأمس أن سوقها قادرة على حل أزماتها بنفسها.

المهم، أن العالم اليوم يمر باضطراب عظيم وفوضى شاملة في الاقتصاد، وفي أزمة لم تصل قاعها بعد، ويشهد اختلالاً كبيراً في موازين القوى محلياً وإقليمياً وعالمياً، وكذلك الأمر وبوضوح أشد في منطقتنا العربية- الإسلامية؛ فنحن الآن في مواجهة تغيير ملحوظ حدث في موازين القوى عندنا في غير مصلحة الكيان الصهيوني وأميركا، فالضربات التي نزلت بالكيان الصهيوني أكبر من أن ينكرها من يصرون على أن يروا العدو منتصراً دائماً.

فالانتصار الذي حدث في لبنان عام 2000 بدحر الاحتلال عن جنوبه بلا قيد أو شرط لا يمكن إنكاره، والانتفاضة التي دامت 6 سنوات في فلسطين وانتهت بانسحاب قوات الاحتلال وتفكيك المستوطنات من قطاع غزة، وبلا قيد أو شرط، لا تحتمل مكابرة وجدالاً، ثم المأثرة التي حققتها المقاومة في العراق، وتحققها المقاومة في أفغانستان، أكبر من أن يشكك فيهما، ثم من يستطيع المجادلة في انتصار المقاومة بقيادة حزب اللـه عام

2006 في لبنان، وقد هوت بهيمنة الجيش الصهيوني الذي أفقدته لقب الجيش الذي لا يقهر.

وجاء انتصار غزة بالصمود والمقاومة والانتفاضات الشعبية عربيا وإسلامياً وعالمياً ليكرس عجز الجيش الإسرائيلي عن احتلال حي في مدينة فضلا عن إنجاز تاريخي استراتيجي نتيجة ما لحق بسمعة الكيان الصهيوني من دمار سمعة ولصوق سمة مرتكب جرائم الحرب والإبادة عليه، وهذا بُعْدٌ خطير لأنه ضرب الكيان في أهم نقاط قوته، وهو الرأي العام الغربي، إذ تسوء الوجوه أو قل لهم "ليسوءوا وجوهكم"، فاعتزازاً أو إكباراً يا أهل غزة ويا مقاومة غزة، وتحية لكل جهد صادق بذل ضد العدوان ووقف إلى جانب الصمود والمقاومة.

أيها الإخوة والأخوات

بيد أن هذه المتغيرات الإيجابية تظل جزئية وسلبية في ظل ميزان قوى عالمي وإقليمي واجه اختلالاً ويواجه اضطراباً وكلفة لم يصل إلى حد أن يُترجم ما حدث إلى واقع يحقق ثباتاً واستقراراً؛ فالقوى التي يمكن أن نسميها القوى المهزومة في المرحلة السابقة أخذت تستعد لشن الهجوم المضاد العام على المستويين السياسي والعسكري، بل يمكن اعتبار العدوان الوحشي على غزة وما صحبه من أدوار ومواقف يمثلان بداية مرحلة بقدر ما مثلا نهاية مرحلة، وما الحصار المستمر على قطاع غزة ومحاولات الابتزاز إلا الدليل على المرحلة الراهنة القادمة، فحرب غزة تمت باطلاع باراك أوباما وموافقته، وقد دلت مواقفه أولا على موافقته على ذلك في أثنائها، أما الدليل الأقوى فمشاركة فريقة في الاتفاق الأمني الذي وقعته ليفني وكونداليزا رايس، وتعهد قبل أسبوع بتنفيذه.

فإدارة أوباما تتابع الأهداف السياسية التي فشل العدوان على تحقيقها عسكرياً، وهو ما تدل عليه زيارة ميتشيل وما يجري من مساومات مع روسيا والصين، وأمريكا "الجديدة" القديمة التي غيرت لون بشرة رئيسها لا أكثر، بدأت بشن الهجوم عبر المفاوضات والمساومات والصفقات من أجل إعادة ترتيب الأوراق السياسية المتجهة إلى

إعطاء الأولوية الاستراتيجية لنزع البرنامج النووي الإيراني وتغيير السياسات الإيرانية إزاء المقاومتين في فلسطين ولبنان.

فالمفاوضات التي ستفتح مع إيران ستنتقل إلى العقوبات والمواجهة السياسية مع إبقاء الخيار العسكري على الطاولة أو تحتها.

ومن هنا سيعمل ميتشيل بأعلى درجات الجدية لإنجاز تسوية تصفوية للقضية الفلسطينية تبدأ من حيث انتهت المفاوضات الثنائية السرية، وذلك بهدف تحويل العداء باتجاه إيران بدلاً من الكيان الصهيوني.

فالمتغير في إدارة أوباما هو في الأساليب وأشكال إدارة الصراع ونوع الخطاب، ولكن ليس بالأهداف والاتجاه العام، وإذا كان الحديث عن المفاوضات والدبلوماسية قد أخذ يطفو على السطح فتحت السطح يجب أن يرى التوجه العسكري الأمني نحو أفغانستان إلى جانب تنفيذ الاتفاق الإسرائيلي- الأمريكي الأمني الذي هو نشر أساطيل عسكرية من باب المندب إلى البحر المتوسط، وهذا لا علاقة له بالادعاء أن الهدف محاصرة شواطئ غزة ومنع تهريب السلاح، لأنه يدخل ضمن مخطط إستراتيجي عسكري أطلسي.

ولنتذكر أنه لا إمبريالية بلا حروب وقهر أمني وعسكري مهما لبس الرئيس من قفازات حريرية، فالرئيس الأمريكي يجب أن يكون جنرالاً.

ومن هنا سيكون عام 2009 عام مواجهات سياسية وعسكرية وانقسامات داخلية، وعربية- عربية، وإسلامية- إسلامية، وستكون المعركة حول ما يسمى "حل الدولتين" في مقدمة المواجهات السياسية، لا سيما حول القدس والمسجد الأقصى وحق العودة وضد التوطين والوطن البديل ومؤامرة "يهودية دولة إسرائيل"، لما تعنيه من تهجير عرب فلسطين المحتلة 1949/1948، وفي هذه المعركة ستظهر حقيقة مواقف المتواطئين والمتخاذلين كما موقف المقاومين والممانعين، بل مواقف الذين يضعون قدماً هنا وقدما هناك، ولكن كما في المرحلة السابقة فإن الفشل سيكون من نصيب أمريكا والكيان

الصهيوني ومن يقف إلى جانبهما، أما أمتنا فستنتصر بإذن الـلـه، ستنتصر قوى المقاومة والممانعة وستنتصر الجماهير وسينجو بنظامه كل من لا يقف إلى جانب أمريكا وعدو الأمة الأولي الكيان الصهيوني.

وأخيراً، وبصراحة، أقول: إذا أردنا أن نختصر المسافة ونخفف من التضحيات فعلى مصر والسعودية والرئيس محمود عباس أن يغيروا سياساتهم التي طبقوها قبل العدوان وفي أثنائه وبعده حتى الآن، ثم يعودون إلى تضامن عربي يقف ضد العدوان ويراعي إرادة شعوبنا العربية، فهل من مُراجعٍ للتجربة والنتائج، أم على قلوب أقفالها؟!

كلمة الافتتاح الخامسة

موسى أبو مرزوق*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين،

الإخوة الأحبة، السلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته

لا شك أن المعركة التي شنّها العدو الصهيوني في 2008/12/27 لم تُستكمل بعد، ومعروف أن هذه الحرب كانت لتغيير المعادلة السياسية في المنطقة، ولقطف فوائد انتخابية لقادة العدو الصهيوني، وإبراز قوة الردع الإسرائيلية من جديد، وإعادة نفسيات اليهود التي سقطت في حربهم مع لبنان عام 2006، وغيرها من الأهداف الخاصة للعدو التي يريد تحقيقها ليوصل رسالة إلى كل الأطراف بأنه ما زال يمتلك زمام المبادرة، وإدارة الصراع.

أولوياتنا في الوقت الحاضر هي إعادة اللحمة للشعب الفلسطيني وإنهاء حالة الانقسام التي تهدد قضيته بقوة، وتوجيه الصراع نحو العدو الصهيوني، وإنهاء الحصار عن قطاع غزة، وفتح المعابر بشكل كامل، ثم بعد ذلك نتحدث عن السعي للوصول إلى التهدئة مع هذا العدو، ونحن بذلك نسعى إلى استكمال ما كنا قد كسبناه أثناء المعركة لإعادة البسمة لأبناء شعبنا وتضميد جراحه وإعادة إعمار ممتلكاته ومنازله ومؤسساته، مما دمّره الاحتلال الصهيوني في غزة.

وفي الوقت نفسه هناك أولويات مباشرة للعمل، ومنها الوحدة الفلسطينية وإنهاء الانقسام الفلسطيني، لأن الشعب الفلسطيني لا يمكنه أن يقدّم قضيته في ظل هذه الحالة، ولا يمكن له أن يبرز حقوقه وأهدافه وحاجياته في ظل هذا الانقسام، وأي شرط للانتصار الشامل هو أن يكون في ظل إطار عمل كبير شامل يشارك فيه كل أبناء الشعب الفلسطيني.

* **د. موسى أبو مرزوق/** نائب رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية- حماس.

ورغم وجود بعض الأصوات الشاذة هنا وهناك، إلا أن شعبنا- بل أمتنا- كانوا على قلب رجل واحد في هذه المعركة أمام العدو الصهيوني.

ولذلك فلعل الوحدة الوطنية تكون بداية لانتهاء حالة الانقسام العربي إن شاء الله، وتقديم القضية الفلسطينية بصورة غير التي كانت في السابق، ولذلك ومنذ الانقسام الفلسطيني في 13 حزيران/يونيو عام 2007، نحن تقدّمنا بهذه الرؤية لأطراف عربية كي تبذل من الجهد ما يُعيد الوحدة الوطنية، ويُنهي حالة الانقسام، وألا تتجذّر في الشارع الفلسطيني، إذ ليس من المعقول واللائق بقاء هذه الحالة على ما هي عليه، وقد كان أمامنا في الطريق بعض ما يعيق هذه الإرادة أو البدء بحوارات أولية، نحن نعلم أن هناك أطرافاً خارجية وتدخلات أجنبية تسعى إلى إعاقة هذه الحركة نحو الوحدة الوطنية، ولذلك فإن من أهم نتائج المعركة التي خضناها في قطاع غزة، أن موضوع الوحدة الوطنية وإنهاء حالة الانقسام والالتفاف حول مشروعنا الساعي إلى تحقيق الحقوق أصبح مطلباً شاملاً لكثير من الأطراف الفلسطينية.

الوحدة الوطنية ستخلق في النهاية ظروفاً أخرى وقناعات جديدة، والمعركة بلا شك أوجدت طابعاً وشعوراً في الساحة الفلسطينية بضرورة الالتفاف نحو مشروع المقاومة، ولا يمكن تجاوزه، لأن الذي فشل بكل أدواته وأساليبه- من عدوان وحصار في التأثير في شعبنا وتغييره نحو ما يريد- لن ينجح في التأثير به وتغييره من خلال عناوين كالوحدة وإعادة الإعمار وما إلى ذلك من قضايا.

القضايا التي نود طرحها بدأها وفدنا مع الإخوة في القاهرة، لأننا نشعر أن هذا الموضوع مهم، وإن كانت بعض الظروف لا تخدم هذه الحوارات أو تحقيق أهدافها، فلا بد أن تكون الأجواء مهيأة للحوار من جانب حركة فتح، وهنا أركّز على ثلاث قضايا في ذلك:

1. اتخاذ خطوات حقيقية على الأرض- وبإرادة سياسية- لإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه في الضفة الغربية، من إعادة فتح المؤسسات، وإطلاق سراح المعتقلين، علماً أننا تحدثنا من جانبنا مع أطراف عربية حول إطلاق سراح المعتقلين السياسيين في قطاع

غزة، مع أن عددهم قليل جداً، وهذا ليس من قبيل المساومة أو المقابلة بين الواقعين، ولكن من باب أن هذا الموضوع خطير جداً في الضفة الغربية.

2. البدء الجاد في البحث في القضايا التالية:

أ- منظمة التحرير الفلسطينية وإعادة بنائها.

ب- تشكيل الحكومة الفلسطينية التي تمثل الشعب الفلسطيني.

ت- الملف الأمني بكل تفرّعاته وتفصيلاته.

ث- موضوع الانتخابات الرئاسية والتشريعية.

وكل ذلك ضمن رعاية عربية عبر لجنة من سبع دول عربية، لتتابع اللجان الفلسطينية التي تتحاور في المواضيع السابقة كلها، ولتحلّ أي إشكالية تطرأ بين هذه اللجان، مع ضمان إنهاء كل لجنة لأعمالها ضمن جدول زمني متفق عليه حتى لا نعود إلى الحالة نفسها التي مررْنا بها بعد اتفاق مكة، حيث إننا لم نخطُ أي خطوة إلى الأمام بعد تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، لأن موضوعاً مثل الملف الأمني تمت معالجته بطريقة فردية كاملة من جانب حركة فتح، دون الاتفاق معنا على أي أمر، وكانت هذه الأعمال بمثابة دق مسمار في نعش الاتفاق الوطني، ولذلك فإننا نعمل بكل قوة لإنهاء حالة الانقسام الفلسطيني، لأن هذا الانقسام كان غير مقبول، بل وغير مطلوب أو مرغوب فيه، وها نحن قد رأينا التيارات كافة في العالم العربي والإسلامي، سواء أكانت في الحكم أم في المعارضة، توحّدت معاً في خدمة القضية الفلسطينية وفي مواجهة المشروع الصهيوني وعدوانه الوحشي، ولم تكن القضية الفلسطينية موضع خلاف بين أي من هذه التيارات.

أنا أعرف أن هناك تياراً متصهيناً في عالمنا العربي يسعى دائماً للوقوف أمامنا، وله صوت عال بسبب الظروف الإعلامية المهيّأة له ولغيره، ولكن الحال العام للأمة لصالح المقاومة ولصالح القضية الفلسطينية، ولذلك فإنني أرى أنه إذا عدنا إلى حالة الوحدة الوطنية الفلسطينية فسيكون لذلك انعكاس قوي واضح على وحدة الشارع العربي، وخاصة عندما يكون وراء العمل الفلسطيني المشترك، وسيكون له أيضاً انعكاس على توافق فلسطيني على المشروع الفلسطيني، وقد كان اتفاق مكة ووثيقة القاهرة مثالين على

ذلك، خاصة في ظل صمود غزة الأسطوري وانتصارها أمام العدوان الصهيوني الذي أُعدّ له منذ زمن، وفي ظل فشل عدوّنا الصهيوني الذي كان يواجه جيوشا عربية وينتصر، ويواجه الآن مقاومة ويفشل.

بلا شك، سيكون لكل هذا انعكاسات كبيرة، خاصة أن هذه أول معركة على أرض فلسطينية يخوضها الشعب الفلسطيني دون أي مدد أو أدنى مساعدة، سوى ما شاهدناه من مسيرات شعبية، إلا أن الشعب الفلسطيني في غزة بقي صامداً في وجه كل هذه الآلة العدوانية، ولذلك فلهذا انعكاساته على الواقع، فالشعب الفلسطيني لم يعد يقبل التهديدات والإملاءات، مما يعني أن الشعب الفلسطيني الآن هو من يقرر الواقع.

3. والقضية التالية التي طُرحت قضية استمرار المقاومة، وهي قضية مهمة تشكل عنواناً ضد مشروع أوسلو، وهي مشروع مستمر، لأننا على قناعة تامة أنه لن يحصل الشعب الفلسطيني أي حق من حقوقه دون مشروع المقاومة، سواء في المرحلة الراهنة أو في المستقبل، لا سيما أن المقاومة حققت في المرحلة الراهنة إنجازات على أرض الواقع، وأنّها الآن تقف أمام شعارات جوفاء عند كل الأطراف الصهيونية من اليسار أو الوسط أو اليمين وتسعى إلى نتيجة واحدة، وهي عدم إعطاء الفلسطينيين أي حق من حقوقهم، سواء بدولة أو حكم ذاتي، عبر المفاوضات بعملية السلام، ومنذ سنوات.

نحن الآن أمام مشروع عظيم ومهم لصالح القضية الفلسطينية، وهو مشروع المقاومة، سواء أكانت في القطاع أم في الضفة.

4. والقضية الأخيرة في هذا الإطار هي مجابهة العدو الصهيوني قانونياً بمختلف الوسائل، لأن هذا الكيان الذي جلب كل التأييد الغربي بسبب المجازر التي ارتكبها لا بد أن يواجَه في هذه المرحلة مواجهة قوية على الصعد كافة.

كانت معركة غزة فيصلاً بين الماضي من جهة والحاضر والمستقبل من جهة أخرى، حيث تعرّى الكيان الصهيوني أخلاقياً، ولم يعد قادراً على الاستمرار في ادّعاءاته التي

يسوقها في كل المراحل التاريخية السابقة التي عاشها ليجلـب تعاطفـاً وتأييـداً، وهـو الآن يفعل بالشعب الفلسطيني ما يدّعي أنه تعرّض له من النازيين وغيرهم، ولذلك فإن كل ما يتعلق بالحرب القانونية الأخلاقية لا بد أن يكون أولوية في المرحلة القادمة، وهنا لا بد أن أوجّه كل التحية والتقدير للجهات الرسمية والشعبية في عالمنا العربي الإسلامي وفي أوروبـا وأمريكا، التي تسعى كلها وتبذل جهوداً من أجـل هـذه المعركـة القانونيـة، وفي إثبـات أن العدو الصهيوني غير إنساني في تعامله مع أهل فلسطين، وقطاع غزة خاصـة، وبخاصـة مـع وجود شهادات متعددة حول الأعـمال الإجراميـة التـي قـام بهـا في القطـاع، وقبـل معركـة القطاع أيضاً.

ولذلك لا بد مـن محاكمـة هـذا الكيـان وتعريتـه، ولا بـد أن تكـون لهـذه المعركـة القانونيـة أولويتهـا، وبخاصـة أن هـذه المعركـة- إن كسـبناها- سـتكون لصـالح القضـية الفلسطينية وضد التأييد الأوروبي والأمـريكي لهـذا الكيـان، إذ إن هـذا العـدو بـدأ يُخفـي جرائمه، أو بدأ أيضاً يُخفي أسماء قادة جيشه العسكريين حتى لا يُلاحقوا.

هذه أولويات قريبة بالنسبة لنا، وستكون على أجنـدتنا وبرامجنـا القادمـة، ولـذلك فإننا نطلب من الجميع أن يعيننا على العمل في هذه الأولويات، وأن يبذل جهده بكل مـا يستطيع.

وفي الختام أتقدم لكم جميعاً بالشكر الجزيل على جهودكم.

والسلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته

الكلمـــــــة الختاميـــــــــــــــــة

والتوصيـــــــــــات

في ختام هذه الندوة يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل من أعماق القلب لكل الزملاء الباحثين ورؤساء الجلسات والسادة المشاركين الذين أغنَوا موضوع ندوتنا هذه، وتناولوا أكثر مما توقعنا فيها، ومن خلال الأوراق التي قدمت، فقد أظهرت الندوة أن التخطيط للحرب الإسرائيلية على غزة كان قبل ثمانية شهور على أقل تقدير، وأن نية العدوان كانت منذ أكثر من عام ونصف، وواصلت قوات الاحتلال المعركة وهي تعتقد أنها تعلمت من دروس حرب لبنان عام 2006، وأنها تمتلك خبرة كافية للنصر في معركة غزة، ولكنها حسب ما تسرب وصدر عن الجانب الإسرائيلي كانت على غير ما توقعت، فقد فوجئ الجيش الصهيوني باستعداد كبير للمقاومة وبتكتيكات غير متوقعة، كما فوجئ بحجم السيطرة والقدرة على إدارة القطاع مدنياً وعسكرياً واستخبارياً، بما في ذلك الإدارات الحكومية، كما أكد خبراء أن قيادة الجيش قد صُدِمت من خطة الدفاع التي أعدتها حركة حماس ضد هذه الحرب في مختلف محاور الهجوم، بما في ذلك خطة الاكتفاء الذاتي في كل مدينة أو قرية أو مخيم، ناهيك عن الخنادق والأنفاق التي كانت معسكرات للمقاتلين، وناهيك عن ضعف القدرة الاستخبارية الإسرائيلية بسبب المعلومات غير الدقيقة التي تم الاعتماد عليها إزاء تسلح المقاومة وقدراتها وخبراتها، فيما استمرت المقاومة بإطلاق الصواريخ بانضباط نفسي وإداري عال من حيث الكم والمدى والمجال الجغرافي، بما في ذلك قصف تجمعات الجيش الإسرائيلي وقواعده البرية والجوية في حدود القطاع وفي النقب.

وبذلك كشفت الندوة عن حجم الإرادة والإيمان والتخطيط الفلسطيني في مواجهة تخطيط صهيوني واسع النطاق وقوات عسكرية كبيرة ومدجّجة، ومع ذلك فقد انتهت المعركة بانسحاب القوات الصهيونية وفشلها في تحقيق أي من أهدافها المعلنة أو التي تسربت عن اجتماعات قيادية.

لقد ركزت الندوة على نتائج المعركة وانعكاساتها بعد شرح طبيعة المواجهة الميدانية والمعركة الإعلامية والمعركة السياسية، وأكدت على أهمية أخذ العبر، وخاصة فيما يتعلق باستثمار الانتصار والاستعداد لأي جولة قادمة، مع التركيز على أهمية إدارة المعركة السياسية بحكمة وقوة تمنع إجهاض الانتصار الفلسطيني، كما تمنع محاصرة المقاومة وتمنع الحد من قدرتها على التسلح، وكذلك لمنع العدو من تحقيق انتصارات سياسية لأهداف لم يتمكن من تحقيقها بالحصار أو بالعدوان.

وقد قدمت الندوة عدداً من التوصيات والمقترحات للتعامل مع نتائج المعركة وتداعياتها، وكان من أهمها:

1. الدعوة إلى مواجهة الهجمة الإعلامية الانهزامية التي تحاول أن تقزّم انتصار المقاومة والشعب في غزة ببث معلومات مغلوطة وإثارة قضايا جدلية لا تخدم المشروع العربي في التحرير.
2. الدعوة إلى إعادة النظر، بل التخلي عن مسارات التسوية التي لم يكن لها من عمل إلا إطالة أمد الاحتلال وتقوية الدولة الصهيونية، وذلك لصالح دعم المقاومة والجهاد والانتفاضة كسبيل استراتيجي لإنهاء الاحتلال وربما إزالة مصدر الخطر الصهيوني على المدى البعيد.
3. الدعوة إلى دعم تمسك حركة حماس بموقفها القاضي برفع الحصار العربي والدولي، وفتح المعابر كافة، والحق في التسلح كحركة مقاومة ضد الاحتلال، وحق الشعب في غزة بالتنمية وإعادة الأعمار والتعويض في مواجهة الضغوط المختلفة التي تهدف إلى كسر إرادتها لتقديم تنازلات في هذه المسائل على المدى القصير.
4. أكدت الندوة على أهمية إعادة بناء البيت الفلسطيني بما يحقق الوحدة الوطنية، ويصلِّب الموقف السياسي للشعب الفلسطيني، ويستند إلى إستراتيجية المقاومة والجهاد، وإعادة بناء النظام الفلسطيني وفق ما يلي:

أ- إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية سياسياً وتنظيمياً وفق اتفاق القاهرة واستناداً إلى الميثاق الوطني الأصيل وعبر الانتخابات.

ب- إعادة بناء السلطة الوطنية وتوحيدها استناداً إلى النظام الأساسي "الدستور" والالتزام به.

ت- بناء استراتيجية مقاومة مشتركة لإنهاء الاحتلال وإزالة الخطر الصهيوني.

ث- تحديد أسس صحيحة وفاعلة لعلاقات فلسطينية- عربية تستند إلى إستراتيجية تحرير فلسطين، ودون الدخول في سياسة المحاور.

ج- تحديد قواعد وأسس التفاعل مع المجتمع الدولي وبناء العلاقات الدولية الشعبية والرسمية للشعب والقضية الفلسطينية.

5. الدعوة إلى تنظيم العمل السياسي والشعبي والعربي المساند للمقاومة في فلسطين، على أسس وقواسم مشتركة تجمع بين النخب من مختلف الاتجاهات ليكون التيار الشعبي منظماً في دعم المقاومة والشعب الفلسطيني خلال السنوات القادمة.

6. توقفت الندوة بإكبار عند صمود المقاومة والتفاف الشعب الفلسطيني حولها في غزة، كما توقفت عند الحراك الجماهيري العارم في الوطن العربي والإسلامي والعالم المؤيد لمقاومة غزة وضد العدوان الإسرائيلي، ودعت إلى استثمار هذا الحراك والمحافظة عليه سنداً لمشروع التغيير العربي والإسلامي الذي يسعى إلى مواجهة الصهيونية وخطط الهيمنة الأمريكية وتحقيق الحرية والاستقلال للأمة.

7. دعوة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي إلى التعلم من درس غزة أن إسرائيل دولة ترتكب جرائم إبادة جماعية وجرائم حرب ضد الإنسانية، وأنها دولة عاصية بمفهوم القانون الدولي، ولذلك فإن عليها أن تعيد النظر بانحيازها إلى إسرائيل، وألا تتورط في هذه السياسات العدوانية وعمليات التطهير العرقي، وأن تحافظ على علاقات مصالح حقيقية مع الوطن العربي.

8. الدعوة إلى استناد المقاومة والقضية الفلسطينية والمشروع العربي الداعم لها إلى

إستراتيجية قانونية تحقق اختراقاً مهما على الصعيد الدولي لصالح القضية مستفيدة من بعض الوعي والإدراك الذي ساد الإعلام الدولي والشارع الغربي، والسعي لمحاكمة مجرمي الحرب الصهاينة على الصعيدين الدولي والوطني.

وأخيرا، أعبِّر باسم **مركز دراسات الشرق الأوسط ونقابة المهندسين الأردنيين** عن الشكر الجزيل لكم جميعاَ، ونخص بالذكر **قناة الجزيرة** الناقل الحصري للندوة، وكذلك الإعلام الأردني والعربي الذي تفاعل معها، كما أشكر المؤسسات الراعية للندوة، كل من **منتدى الأعمال الفلسطيني، وشركة انسجام للمفروشات،** والشكر العميق والجزيل لضيوفنا العرب ولزملائنا الأردنيين الذين أسهموا في إنجاح هذه الندوة وتحقيق معظم أهدافها.

ونهاية نتوجه باسمكم إلى شعبنا في غزة بالتحية والإكبار على البطولة والصمود والانتصار، وعلى تحمل التضحية والفداء لتحقيق ذلك، وهو الذي حطم نظرية الأسطورة التي حاولت إسرائيل استعادتها، ومنعها من استعادة قدرتها الردعية، ونتمنى عليه المحافظة على الوحدة والالتفاف حول المقاومة وتبنيه لخط المقاومة حتى التحرير.

والسلام عليكم ورحمة الـلـه وبركاته

قائمة
التعريف بالمشاركين

أولاً: السادة أصحاب كلمات الافتتاح

(حسب الترتيب الهجائي)

الاسم	الصفة
أ. جواد الحمد	مدير مركز دراسات الشرق الأوسط
أ. حسن خريشة	النائب الثاني لرئيس المجلس التشريعي الفلسطيني
أ. منير شفيق	المنسق العام للمؤتمر القومي الإسلامي
د. موسى أبو مرزوق	نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس
م. وائل السقا	نقيب المهندسين الأردنيين

ثانياً: السادة رؤساء الجلسات

(حسب ترتيب الجلسات)

الاسم	الصفة
د. حسن نافعة	أمين عام منتدى الفكر العربي
د. أحمد الخلايلة	مدير مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية
د. عبد اللطيف عربيات	رئيس مجلس النواب الأردني الأسبق
د. علي محافظة	أستاذ التاريخ في الجامعة الأردنية
د. عرفات حجازي	عضو المجلس الأعلى للإعلام، والمستشار الإعلامي الأسبق للملك الحسين
أ. عدنان عمران	وزير الإعلام السوري الأسبق
أ. طاهر المصري	رئيس الوزراء الأردني الأسبق

ثالثا: السادة مقدمو أوراق العمل

(حسب الترتيب الهجائي)

الاســـــم	الصفـــــــــة
د. أحمد سعيد نوفل	أستاذ العلوم السياسية في جامعة اليرموك- الأردن
د. إسحاق الفرحان	رئيس المؤتمر الشعبي للدفاع عن القدس، ووزير تربية وتعليم أسبق-الأردن
د. أمين حطيط	باحث وخبير في الشؤون العسكرية الإسرائيلية- لبنان
أ. إنطوان شلحت	باحث في المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- فلسطين
د. أنيس فوزي قاسم	محام وأستاذ قانون دولي- الأردن
د. رائد نعيرات	أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية- فلسطين
د. صبري سميرة	أستاذ علوم سياسية- الأردن
أ. صفوت الزيات	خبير في الشؤون الاستراتيجية والعسكرية- مصر
د. طلال عتريسي	أستاذ علم الاجتماع، ومدير مركز الدراسات الاستراتيجية الأسبق- لبنان
أ. عدنان أبو عودة	رئيس الديوان الملكي الأسبق- الأردن
أ. عدنان عمران	وزير الإعلام السابق- سوريا
د. محمد الموسى	أستاذ القانون الدولي في جامعة الزيتونة- الأردن
د. مسعود إغبارية	باحث وخبير في شؤون السياسة الإسرائيلية- فلسطين
أ. منير شفيق	المنسق العام للمؤتمر القومي الإسلامي- الأردن
د. نظام بركات	أستاذ العلوم السياسية في جامعة اليرموك- الأردن

برنامج الندوة

اليوم الأول: الأحد 2009/2/15	
حفل الافتتاح – أ. جواد الحمد، مدير مركز دراسات الشرق الأوسط/ الأردن – م. وائل السقا، نقيب المهندسين الأردنيين/ الأردن – أ. منير شفيق، المنسق العام للمؤتمر القومي الإسلامي/ فلسطين- الأردن – د. حسن خريشة، النائب الثاني لرئيس المجلس التشريعي/ فلسطين – د. موسى أبو مرزوق، نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس/ فلسطين	9:15– 10:15
الجلسة الأولى **البيئة السياسية والاستراتيجية للحرب، وموقعها من الحروب السابقة** **رئيس الجلسة: د. حسن نافعة** البيئة السياسية والاستراتيجية التي اندلعت فيها الحرب/**د. رائد نعيرات** موقع المعركة في الصراع ومقارنتها بالحروب الستة السابقة/ **أ. أنطوان شلحت** أطراف المعركة السياسية واتجاهاتها الرئيسة/**د. أحمد سعيد نوفل**	10:20– 12:00
استراحة	12:00– 12:15
الجلسة الثانية **طبيعة المعركة ميدانيا، المواجهة والقدرات والإدارة والأهداف** **رئيس الجلسة: العميد د. أحمد الخلايلة** طبيعة المعركة ومتغيرات المواجهة العسكرية والأمنية/**العميد أ. صفوت الزيات** أنماط إدارة المعركة والتحول في الأهداف/**العميد د. أمين حطيط**	12:15– 14:00
استراحة	14:00– 15:15
الجلسة الثالثة **طبيعة المعركة السياسية** **رئيس الجلسة: د. عبد اللطيف عربيات** طبيعة المعركة السياسية وآثارها على مسار الحرب واتجاهاتها/ **د. صبري سميرة** دور المعركة السياسية في التوصل إلى وضع سياسي جديد/ **د. نظام بركات**	15:15– 17:00

اليوم الثاني: الاثنين 2009/2/16	
الجلسة الرابعة **الإعلام وأثره في المعركة عند الجانبين** **رئيس الجلسة: أ. عرفات حجازي** المعركة الإعلامية قبل وأثناء وبعد الحرب بين الجانبين/د. **إبراهيم أبو عرقوب** أبعاد المعركة واتجاهاتها، وأبرز التطورات الإعلامية فيها عن الحروب السابقة/**د. طلال عتريسي**	9:00– 10:45
استراحة	10:45– 11:00
الجلسة الخامسة **الأبعاد الاستراتيجية لنتائج المعركة** **رئيس الجلسة: أ. عدنان عمران** التفاعلات الإقليمية والدولية والتحول في المواقف فيما يتعلق بدور الأمم المتحدة وانتهاكات القانون الدولي/**د. محمد الموسى** التفاعلات الإقليمية والدولية، وتغير موازين القوى الداخلية في إسرائيل **د. مسعود إغبارية** تغير موازين القوى السياسية لدى الأطراف، والتأثير في ميزان الردع بين إسرائيل والمقاومة/**أ. منير شفيق**	11:00– 13:15
استراحة	13:15 – 15:00
الجلسة السادسة **الأبعاد الاستراتيجية لنتائج المعركة** **رئيس الجلسة: أ. طاهر المصري** الانعكاسات الاستراتيجية على عملية السلام بين إسرائيل والفلسطينيين **أ. عدنان أبو عودة** الانعكاسات الاستراتيجية على مستقبل الضفة الغربية والعلاقات بين الأطراف الفلسطينية/**د. أنيس قاسم**	15:00 – 17:15
الختـــــــام	

إصدارات مركز دراسات الشرق الأوسط

أولاً: البحوث والدراسات والندوات

- احتمالات اندلاع الحرب في منطقة الشرق الأوسط/ ندوات 59.
- العلاقات التركية- الإسرائيلية، وتأثيرها على المنطقة العربية/ دراسات 58.
- معركة غزة ... تحول استراتيجي في المواجهة مع إسرائيل/ ندوات 57.
- الأزمة المالية الدولية وانعكاساتها على أسواق المال والاقتصاد العربي/ ندوات 56.
- التداعيات القانونية والسياسية لانتهاء ولاية الرئيس الفلسطيني/ ندوات 55.
- السياسات العربية في التعامل مع الصراع العربي- الإسرائيلي حتى 2015، (3)/ ندوات54.
- حماس والحركة الإسلامية والحوار مع النظام السياسي في الأردن/ ندوات 53.
- حق عودة اللاجئين الفلسطينيين بين النظرية والتطبيق/ ندوات 52.
- رؤى استراتيجية إسرائيلية لحرب تموز/ يوليو 2006م ضد لبنان/ دراسات 51.
- إسرائيل ومستقبلها حتى عام 2015م/ ندوات 50.
- السياسات العربية في التعامل مع الصراع العربي- الإسرائيلي حتى 2015م/ ندوات49.
- مستقبل وسيناريوهات الصراع العربي- الإسرائيلي/ مؤتمرات 48.
- العرب ومقاطعة إسرائيل/ دراسات 47.
- الاستيطان اليهودي وأثره على مستقبل الشعب الفلسطيني/ ندوات 46
- آفاق الإصلاح والديمقراطية في الأردن/ ندوات 45
- منظمة التحرير الفلسطينية نحو مشروع لإصلاح بنيوي سياسي/ ندوات 44.
- انعكاسات التطورات الإقليمية والدولية على العلاقات العربية–الإسرائيلية/ ندوات43.
- الانتخابات الفلسطينية 2005 ... ظروفها، آلياتها، نتائجها/ ندوات 42.
- تطلعات المجتمع الأردني في الحياة الديمقراطية/ دراسات 41.
- العرب في مناهج التعليم الإسرائيلية/ دراسات 40.

– الأوضاع الاقتصادية والإنسانية في الضفة الغربية وغزة (1998-2002) /(بالإنجليزية)/دراسات 39.

– الاستثمار في الأردن ... فرص وآفاق/ ندوات 38.

– مستقبل اللاجئين الفلسطينيين وفلسطينيي الشتات/ ندوات 37.

– الانتفاضة تغير معادلات الصراع في المنطقة/ دراسات 36.

– انعكاسات عضوية منظمة التجارة العالمية وتطبيق التخاصية على التنمية الاقتصادية في الأردن/ ندوات35.

– انعكاسات العولمة السياسية والثقافية على الوطن العربي/ ندوات 33.

– الأمن القومي العربي في منطقة البحر الأحمر/ ندوات 32.

– المصالح العليا للأردن، المكونات والتحديات/ ندوات 32.

– الدولة الفلسطينية المستقلة/ ندوات 31.

– الديمقراطيات في الوطن العربي، التحديات وآفاق المستقبل/ ندوات 30.

– التوجهات الغربية نحو الإسلام السياسي في الشرق الأوسط/ ندوات 29.

– الأوضاع الاقتصادية والإنسانية في الضفة الغربية وغزة/ دراسات 28.

– دور مراكز الدراسات في صناعة القرار في الدولة الأردنية الحديثة/ دراسات 27.

– مستقبل الحياة المدنية في مناطق الحكم الذاتي الفلسطينية/ ندوات 26.

– أمن الخليج العربي في ظل النظام الدولي الجديد/ دراسات 25.

– قضية القدس ومستقبلها، في القرن الحادي والعشرين، ط3/ دراسات 24.

– القمة الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا(MENA)/ تقارير 23.

– اتفاق الخليل ... نموذج لمنهج الليكود في الحل النهائي/ دراسات 22.

– المدخل إلى القضية الفلسطينية، ط7/ دراسات 21.

– دراسة في الفكر السياسي لحركة (حماس) (1987-1996)،ط3/ دراسات 20.

– عملية السلام في الشرق الأوسط وتطبيقاتها على المسارين الفلسطيني والأردني/دراسات 18.

– إسرائيل تستولي على بيت المقدس وفق مخطط استراتيجي/ دراسات 17.

– مستقبل السياسات الدولية تجاه الشرق الأوسط/ دراسات 17.

– السلطة الوطنية الفلسطينية في عام (1994-1995)، (إنجليزي)./ تقارير 16.

– توجهات أمريكية تجاه الشرق الأوسط/ تقارير 15.

– السلطة الوطنية الفلسطينية في عام (1994-1995)/ تقارير 14.

– التغيرات في النظام الدولي وانعكاساتها على منطقة الشرق الأوسط/ دراسات 13.

– معاهدة السلام الأردنية-الإسرائيلية ... دراسة وتحليل، ط2/ دراسات 12.

– في الذاكرة الإنسانية، المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني (1948- 2000)، ط5/دراسات 11.

– مستقبل الأمن القومي العربي في ظل السلام مع إسرائيل، ط2/ دراسات 10.

– الانعكاسات السياسية لاتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني/ دراسات 9.

– انتخابات الحكم الذاتي الفلسطيني/ ندوات 8.

– أبعاد الاتفاق الاقتصادي الفلسطيني- الإسرائيلي/ حلقات بحث 7.

– المفاوضات الثنائية ومتعددة الأطراف للسلام في الشرق الأوسط (السيناريوهات المتوقعة)/دراسات5.

– مستقبل السلام في الشرق الأوسط/ دراسات 4.

– الانتفاضة الفلسطينية مستقبلها ودورها في التحرير/ ندوات 3.

– المؤتمر الإقليمي للسلام في الشرق الأوسط/ ندوات 2.

– نظرات وتطلعات في واقع ومستقبل الشرق الأوسط/ دراسات 1.

ثانياً: التقرير الاستراتيجي

– الصلاحيات الدستورية والقانونية الفلسطينية، ع 35.

– المأزق الأميركي في العراق ... رؤى في استراتيجيات الخروج ،ع 34.

– اتجاهات الناخبين الفلسطينيين في انتخابات البلديات ورئاسة السلطة، ع33.

– صراع القيم الحضارية ما بعد 11 سبتمبر 2001م، ع 32.

– الحراك السياسي في إسرائيل بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ع 31.

– تداعيات الصراع في القرن الأفريقي على الوطن العربي، ع 30.

- تداعيات المشروع الإسرائيلي في الفصل الأحادي الجانب والجدار الفاصل، ع 29.
- الحرب الأمريكية على ما يسمى الإرهاب، ج2، الحرب على العراق، ع 28.
- الحرب الأمريكية على ما يسمى الإرهاب، ج 1، الحرب على أفغانستان، ع27.
- حلقات العصف الذهني الاستراتيجي (تداعيات الحرب الأمريكية على العراق/ مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء خريطة الطريق).
- المحكمة الجنائية الدولية.. آلية قصاص دولية من مجرمي الحرب، ع25، 2003.
- مفهوم الإرهاب وحق الشعب الفلسطيني في المقاومة، ع 24، 2003.
- انتخابات الكنيست الإسرائيلي2003، الخريطة السياسية والانعكاسات المستقبلية، ع23، 2003.
- الاغتيال جريمة حرب ثابتة في السياسة الإسرائيلية، ع22، 2002.
- الجدار الأمني الفاصل بين الكيان الإسرائيلي والضفة الغربية، ع21، 2002.
- تحولات البيئة التشريعية الدولية في ظل أحداث 11سبتمبر2001، ع20، 2002.
- عملية السلام في الشرق الأوسط.. الدوافع والانعكاسات (1991-2001)، ع 18 و19، 2002.
- الديمقراطية في الوطن العربي مؤشرات وآفاق، ع17، 2002.
- الأردن ورئاسة القمة العربية، التحديات والآفاق، ع16، 2001.
- انتفاضة الأقصى تعيد النظر في مستقبل الكيان الصهيوني، ع14و15، 2001.
- مستقبل القضية الكردية في الشرق الأوسط، ع13، 2000.
- الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان.. مرحلة تحول استراتيجي في الصراع، ع12، 2000.
- الإمكانات النووية العربية، التحديات وآفاق المستقبل، ع10و11.
- توجهات إسرائيل السياسية تجاه الشرق الأوسط في عهد باراك، ع8 و9.
- القدرات النووية الإسرائيلية، الخطر الاستراتيجي على الأمن والسلام في الشرق الأوسط، ع7.
- توجهات السياسة الخارجية الأردنية في عهد الملك عبد الله الثاني، ع6.

– المواجهة بين حماس والموساد، ع4و5.

– نصف قرن على الكارثة الفلسطينية، ع2و3.

– المواجهة بين العراق وأمريكا، ع1.

ثالثاً: مجلة دراسات شرق أوسطية

مجلة فصلية محكمة، يصدرها المركز بالتعاون مع المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، بدأت عام 1996، وصدرت منها حتى الآن الأعداد (1-54)

رابعاً: شهرية الشرق الأوسط

– الدين والسياسة والتحولات في الوطن العربي.

– دور الانتفاضات الفلسطينية في إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وآفاق الانتفاضة الثالثة.

– اتجاهات التحول في توازن القوى السياسية والاجتماعية في الديمقراطية الأردنية.

– نحو توافق فلسطيني لتحريم الاقتتال الداخلي.

– تداعيات حصار غزة وفتح معبر رفح.

– دور مؤسسة القمة العربية ومستقبلها.

– أزمة السلة الغذائية العربية، التحديات واتجاهات المعالجة.

– الفاتيكان والعرب، تحديات وآفاق في ضوء زيارة البابا للمنطقة.

– رسالة أوباما التصالحية والمطلوب عربياً.

– القرن الأفريقي وشرق أفريقيا، الواقع والمستقبل.

– الوطن البديل، آفاق التطبيق وسبل المواجهة.

– التسوية السياسية، التحديات والآفاق.

– تداعيات الهجوم الإسرائيلي على أسطول الحرية.

– تركيا وإسرائيل وحصار غزة.

THE GAZA WAR

A Strategic Shift in the Confrontation with Israel

The views of the contributors does not necessarily stand
to MESC position

First Edition

Amman – 2011

To order our publication:

Middle East Studies Center

P.O.Box 20543 – Amman 11118 – Jordan
Tel: ++962-6-4613451 / Fax: 4613452

E-mail: mesc@mesc.com.jo
http:// www.mesc.com.jo
AND ALL JORDANIAN & ARABIC LIBRARIES

THE GAZA WAR

A Strategic Shift
in the Confrontation with Israel

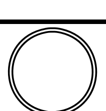
Editor

Ahmed Sa'id Nofel **Jawad El-Hamad**

Participants

Ahmed Sa'id Nofel
Is'haq Farhan
Ameen Hateet
Intwan Shalhat
Anees Qassem
Ra'ed Nu'eirat
Sabri Sumeira
Safwat Al-Zayyat
Talal Atreesi
Adnan Abu-Odeh
Adnan Imran
Mas'oud Ighbariyya
Nitham Barakat

SEMINARS **57**



CONTENTS

Abstract

THE GAZA WAR

A Strategic Shift in the Confrontation with Israel

This book is the fruit of a seminar held in Amman by the Middle East Studies Centre, in cooperation with the Jordanian Engineers' Association, from the 15th to the 16th of February 2009, entitled "The Gaza War: What's Next?"

The publication of such a book is a significant addition to the study of the phases and developments of the Arab-Israeli conflict. A historic victory of the Palestinian resistance led by Hamas was achieved in terms of the steadfastness against the aggression. Nevertheless, several approaches in the official Arab and Palestinian activities have tried to ignore it. They believed that the attempt to harvest its fruits necessarily means the reconsideration of the peace process itself on the one hand, and the nature, philosophy of management and balance of the conflict on the other. The official Arab and Palestinian parties thought that this would load them with a heavy burden on both the political and military levels. Therefore, they preferred to move the political activities to other Palestinian and Arab squares.

The book is hoping to propose useful strategies to Arab thought and planning to confront the Zionist project. It is also a record of a significant strategic shift in the programme of the Arab and Palestinian resistance as a memory of glory for the generations to come.

The book is also an attempt to document important events in the Palestinian issue. Contributions have been made by politicians, researchers and academics from various Arab countries in the form of worthy papers addressing the Israeli aggression on the Gaza Strip.

It also comes to document the war in which Israel failed to achieve its goal of eliminating the Palestinian resistance in Gaza. Furthermore, the book is published in the time when Israel is expected to launch a new aggression in a bid to achieve what it could not in last year's aggression. Therefore, the output of the seminar is extremely significant for the data and analysis of the political, military and media dimensions of the Israeli aggression and their direct impact on the entire Palestinian issue – which is of interest to the decision-makers and those interested in the affairs of the Arab world.

The book is divided into three main chapters as follows:

Chapter One

The Political and Strategic Context of the War and Its Position in the Arab-Israeli Conflict

This chapter deals with the political and strategic situation before the war and their impacts. It also addresses the position of the Gaza war in the Arab-Israeli conflict and a comparison to previous wars. This is in addition to the parties of the political battle and their main stands with regard to the Israeli aggression on Gaza.

Chapter Two

The War's Political, Field and Media Management by Both Parties

Five papers are presented in this chapter addressing all the military, political and media aspects of the war. The political battle is discussed, along with its impacts on the course of the war and the arrival at a certain political situation. Other points discussed include the military dimensions in terms of the nature of the war and its military and security variables, types of war management and the shift of goals, and finally the media battle and its approaches.

Chapter Three

The War's Dimensions and Internal and External Impacts

In this chapter the reactions inside Israel, the surprises of the war and the strategic internal and external impacts on the peace process between the Israelis and the Palestinians are investigated. A review is made of the post-war regional and international reactions and the impacts of the war on the future of the West Bank as well as internal Palestinian relations.

Upon focusing on the output of the papers of the book, it is recognized that the size of the willpower and faith as well as planning on the Palestinian side was very large, especially against the large-scale planning and heavily armed military forces on the Israeli side. However, the war ended with a pullout of the Israeli forces without achieving any of its targets that were made public or those which were leaked from top-level meetings.

It is emphasized that lessons need to be derived from the Gaza War. First, victory has to be invested and preparations should be made for any potential battle. Second, the political battle should be managed wisely and strongly in a way that prevents any abortion of the Palestinian victory, any siege or disarmament of the resistance, or any political triumphs which the enemy could not achieve by means of siege or aggression.

Thus, here are the major practical recommendations to deal with the results and repercussion of the war:

1. Facing the defeatist media campaign which tries to minimize the victory of the resistance and people of Gaza by promoting mistaken data or raising controversial issues of no use to the Arab project of liberation.
2. Leaving aside the settlement issue, which only strengthens and lengthens the life of the Israeli occupation, in favour of supporting the resistance and intifada as a strategic way of ending the occupation and, perhaps, eliminating the very source of the Zionist threat in the long run.
3. Supporting the stand of Hamas in lifting the Arab and international seige, the opening of all border crossings, and the right to arms as a method of resistance against the occupation. Also included is the people of Gaza's right to development, rebuilding and compensation in the face of the various pressures aimed at breaking its will and, therefore, making concessions on such issues.
4. Rebuilding the Palestinian house in way that accomplishes national unity, enhances the political stand of the Palestinian people and plays a large role in the overall resistance. This involves rebuilding the Palestinian ruling system according to the political and organizational restructuring of the Palestine Liberation Organization, rebuilding the Palestine National Authority on the basis of the Basic Law and setting a joint strategy of resistance to end the occupation and eliminate the Israeli threat. Furthurmore it should include deciding on proper, solid foundations for Arab-Palestinian relations based on a strategy for liberating Palestine without resorting to the policy of axes, setting fundamentals of interaction with the international community, and building public and official international relations for the Palestinian people and the Palestinian issue.
5. Regulating public and official Arab activities supportive of the Palestinian resistance based on common principles reconciling the elites from all affiliations. This is so that the public movement would be organized in its support of the Palestinian resistance and people in the years to come.
6. Calling on the US and the EU to learn from the Gaza War that the state of Israel commits genocides and crimes against humanity as well as that it is an outlaw state in regards to international law. They have, therefore, to reconsider their alignment with Israel, avoid involving themselves in such aggressive policies and ethnic cleansing and maintain relations with the Arab World to achieve their interests.
7. Building a statutory foundation for the resistance, the Palestinian issue and its supportive Arab project, in a way that makes a breakthrough on the international level in favour of the issue, thus making use of the awareness that has spread over the global media and the Western street and attempting to prosecute the Israeli war criminals on the national and international levels.

THE GAZA WAR

A Strategic Shift in the Confrontation with Israel

Editor

Ahmed Sa'id Nofel

Jawad El-Hamad

Participants

Ahmed Sa'id Nofel
Is'haq Farhan
Ameen Hteet
Intwan Shalhat
Anees Qassem
Ra'ed Nu'eirat
Sabri Sumeira
Safwat Al-Zayyat
Talal Atreesi
Adnan Abu Odeh
Adnan Imran
Mas'oud Ighbariyya
Nitham Barakat

MESC ♟ Middle East Studies Centre - Jordan

Seminars 57